نَبَأُ يَقين

- نَبَأٌ يَقين
- أدهم شرقاوي
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الأولى ٢٠١٨

دولة الكويت / محافظة العاصمة

تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤

تويتر : @Dar_kalemat

إنستجرام : Dar_kalemat

بريد إلكتروني :

Dar_Kalemat@hotmail.com

info@darkalemat.com

الموقع الإلكتروني :

http://www.darkalemat.com

نَبَأُ يَقين

أدهم شرقاوي
(قسّ بن ساعدة)

٢٠١٨



الإهداء:

منذ سنوات كنتُ أكتبُ بصخب!
فقال لي شيخٍي الذي يُعلمني أحًكامَ التجويد :
هل فكرتَ أن توقدَ شمعةً بدل أن تلعنَ الظلام؟!
قلتُ له : والظلام؟
قال : لا يوجدُ شيءٌ اسمه الظلام
الظلامُ هو غيابُ النور
أوقِدْ شمعتكَ يندثرُ الظلام ، أو امضِ حياتك في العتمة!
هذا الكتاب مهدى للذين يؤمنون أن الظلام هو غياب النور
لهذا بدل لعن الظلام أَوْقَدُوا شموعهم!

من هنا تأتي الهزائم!

كان لسقراط جار طبيب ، استنكرَ على الملك تسمية سقراط بالطبيب الأول ، فسأله الملك عن طريقة يُثبت فيها أنه أكفأ من سقراط حتى يقوم بنقل اللقب إليه!

فقال الطبيب : سأسقيه السُّم ويسقيني ومن يعالج نفسه يكون صاحب اللقب!

وافق سقراط ، وحدد الملك موعد النزال بعد أربعين يومًا

أحضر سقراط ثلاثة من الرجال الأشداء وأمرهم بسكب الماء في أوعية ودقه كل يوم على مسمع الطبيب!

ويوم الواقعة شرب سقراط سُمّ جاره الطبيب ، فاصفرَّ لونه وأصابته الحُمى ، ولكنه عالج نفسه بعد ساعة!

ثم ناول سقراط خصمه قارورة السُّم التي بقي الرجال يعدونه أربعين يومًا على مسامعه ، فلما شربه خرَّ ميتًا!

عندها قال سقراط للملك : لم أسقه إلا ماءً عذبًا وسأشرب منه أمامك! أنا لم أقتله يا سيدي الملك ، لقد قتله وهمه وخوفه!

وفي سياق قريب من هذا الذي نحن فيه ، كتبتُ منذ أيام أقول :

علميًا : تبلغ سرعة الغزال تسعين كيلومترًا في الساعة ، بينما تبلغ سرعة الأسد ثمانية وخمسين كيلومترًا في الساعة ، ومع ذلك تقع الغزلان فريسة للأسود!

لا شيء يُفسر هذا سوى الخوف ، الأسود لا تفترس إلا الغزلان التي تمكن منها الخوف!

الأمر مشابه كثيرًا في عالم البشر ، الهزائم تبدأ من الداخل ، والنصر كذلك!

عندما طرح أمية بن خلف بلال بن رباح على رمال مكة الملتهبة وجلده بالسياط فلم ينحنِ ، ووضع على صدره صخرة كبيرة فلم ينحنِ أيضًا ، وهكذا انتصر العبد المملوك على السيّد الحرّ ، هذا ما تقوله كُتب السيرة ، ولكن في الحقيقة كان بلال هو السيد الحُرّ ، وأمية هو المملوك العبد ، بلال كان قد حرر الإسلام روحه وإن بقي في مُلك أمية ، وأمية كان عبد المعتقدات البالية والعنجهية وإن كان يجلس في دار الندوة وتهابه مكة!

عندما سلمت بريطانيا فلسطين لليهود ، بدأت العصابات الصهيونية تذبح الكبير والصغير ، وتحرق الأخضر واليابس ، ولكنهم في كل قرية يصبون فيها حمم الموت كانوا يتعمدون الإبقاء على بعض الناجين ، ليفروا إلى القرى المجاورة ، ويُحدثوا أهلها عما فعلته بهم تلك العصابات ، وهكذا كانت تسقط القرية تلو القرية لأنها كانت مهزومة نفسيًا ، ومنهارة في داخلها ، وإن لم تكن موازين القوى في صالحها كما في حالة أن الغزال حقيقة أسرع من الأسد!

القضية باختصار:

المهزوم من الداخل لا ينتصر مهما كان لديه من الأسباب ، والمنتصر من الداخل سينتصر فعلاً مهما طال الزمن!

الوطن

٤/ ١٢/ ٢٠١٧

إنَّه استعذابٌ فقط!

منذ سنوات وأنا أكتب على السّبورة في غرفة المعلمين «مقولة اليوم» ثم ودون استئذان طرقتْ بابَ بالي فكرة : لماذا لا أُصوِّرُ مقولة اليوم وأنشرها؟!

راقت لي الفكرة ، وبدأتُ كما تعلمون أفعل هذا في حساباتي في مواقع التواصل . . .

الأمر إلى هنا حدث عادي لا يصح الإخبار عنه فضلاً أن أفرد له مقالاً!

أما الحدث الذي دفعني لهذا ، فهو أن أحد الزملاء في المدرسة سألني مطمئنًا على حالتي ، أو ربما حشرية وحب استطلاع كما هي عادتنا نحن البشر ، إن كنتُ قد تعرضتُ لغدر أو خيانة!

تفاجأتُ من سؤاله أول الأمر ، وسألته عن السبب الذي دعاه ليسألني!

فأخبرني أنه لاحظ أن المقولات في الفترة الأخيرة تندرج كثير منها تحت هذا الباب!

قلتُ له : إن الذي كتب عن موت نبض بهذا الأسى دون أن يفقد حبيبة من قبل ، والذي كتب عن «حمل/ حبل» أسماء في رواية نطفة بهذه الواقعية دون أن يسبق له الحمل ، لا يُسأل عمّا يكتب!

الأمر استعذاب لا أكثر يا صديقي .

وما يصح في حالة الكاتب ، يصح كذلك في حالة القارئ ، ليست كل جملة نقتبسها هي واقع نعيشه ، أو تجربة نمر بها ، إنه استعذاب فقط .

الذي يقتبس جملة : لا شيء أقسى من سقوط قناع حسبناه يومًا وجهًا! ليس بالضرورة أن الأقنعة قد سقطت عن الوجوه التي يعرفها ، كل ما في الأمر أن الجملة راقت له ، إنه استعذاب فقط!

الذي يقتبس جملة : يكرهونك بشدة ، ويراقبونك بدقة! ليس بالضرورة أنه إنسان مبغوض مُراقب ، قد يكون بخير ، يحب من حوله ويحبونه ، وكل ما في الأمر أن الجملة قد راقت له ، إنه استعذاب فقط!

الذي يقتبس جملة : أولاً كرامتي ، وعاشرًا أنت! ليس بالضرورة أن هناك من يراوده عن كرامته ، ويحاول أن يجعله ممسحة! قد يكون معه من تعنيهم كرامته كما تعنيهم كراماتهم وأكثر ، كل ما في الأمر أن الجملة قد راقت له ، إنه استعذاب فقط!

الذي يقتبس جملة : إلى أحدهم ، أنتَ جميعهم! ليس بالضرورة عاشقًا متيمًا ، وليس بالضرورة أنه يريد إرسال رسالة لأحدهم ، قد يكون أحدهم هذا غير موجود أساسًا ، وقد يكون وهو يقول له دون أن تعلم ، لماذا تفترض أن كل من أراد أن يقول شيئًا عليه أن يخبرك به ، كل ما في الأمر أن الجملة قد راقت له ، إنه استعذاب لا أكثر!

الذي يقتبس جملة : تظاهر بالاكتفاء ، حتى لو كنت بحاجتهم! ليس بالضرورة أنه يحتاج أحدًا! قد يكون في قمة اكتفائه ، وقد يملك من المادة أكثر مما تملك ، ومن الحب ما لا يخطر لك على بال ، كل ما في الأمر أن الجملة قد راقت له ، إنه استعذاب لا أكثر!

دعوا الناس وشأنهم ، ولا تبحثوا خلف الكلام عن كلام ، قاتل الله الفضول!

الوطن ٢٠١٧/١٢/٧

لا تقتلُوا المُروءَة بين الناس!

عام ١٨٨٠م ماتت ملكة تايلند غرقًا ، فقد انقلبَ بها القارب ولم يجرؤ أحد من حراسها على إنقاذها ، وقفوا جميعًا يتفرجون عليها وهي تلفظُ أنفاسها لأن القانون كان يقول : لمس الملكة عقوبته الإعدام!

طبعًا لستُ ضد قانون يحفظ لحاكم هيبته إن كان ضمن المعقول ولا يتنافى مع القيم الإنسانية ، ما أنا ضده هي تلك القوانين التي تقتل المروءة بين الناس!

لو أن سائق سيارة صدم أحد المارة وهرب ، وتركه صريعًا يتخبط بدمه ورأيته أنتَ فأبتْ أخلاقُك إلا أن تحمله وتنقله بسيارتك لأقرب مستشفى ومات في الطريق ، هل تضمن ألا يعاملوك كأنك الذي دهسته؟

لو حضرت الشرطة إلى المستشفى ، وأقسمتَ لهم بالله ، وحلفتَ على كل الكتب التي أنزلها أن دورك الوحيد في القضية أنك إنسان ، أتراهم يتركوك؟

هكذا هم الناس ، يقتلون المروءة في الناس ، سيعاقبونك وستدفع ديتهم ، ليمر غيرك بإنسان ملقى على قارعة الطريق ويمضي لأنه لا يريد أن يصيبه ما أصابك!

إن كثيرًا من قوانينا وتصرفاتنا تقتل المروءة بين الناس!

الذي يستدين مالاً ثم يقرر أن يأكله على صاحبه ، إنما يريد من الناس ألا يمد أحدهم يده إلى الآخر ، وكما قال المثل العامي : لم أمتْ ولكني رأيتُ من مات!

الذي يطرق بابًا طالبًا زوجة فيحسن أهلها إليه ، ولا يكلفونه ما لا يطيق ، بل ويساعدونه لإتمام زواجه ، ثم لا يعاملها بالحسنى ، إنما يريد من الناس أن يتعاملوا مع بعضهم على مبدأ من لا يتعب في المهر يسهل عليه الطلاق! كل من كان قد قرر أن يكون شهمًا مع خاطب بناته سيتريث لأن قليل مروءة قد قتل شيئًا من المروءة فيه!

أسوأ ما في الأفعال الخسيسة أنها تجعل الناس ينظرون إلى الخير على أنه مجازفة ، وإلى المعروف على أنه محاولة انتحار!

والأمر أوسع من تصرف فردي ، وأكبر من حادثة شخصية ، إنها سم زُعاف يسري في جسد المروءة حتى يقتلها!

كنتُ صغيرًا عندما حدثتني جدتي عن رجل رغبَ في فرس عند رجل آخر ، فطلب منه أن يبيعها له ، فأبى ، فزاده هذا الرّفضُ إصرارًا ، فتطوّع لصٌّ ليجلبها له ، وذهب حيث يمر صاحب الفرس ، وارتمى على قارعة الطريق يُمثّل أنه يتلوى من الألم ، فنزل صاحب الفرس وأركب هذا المسكين ، وأخذ بلجام الفرس يجرها . . .

فقال له : لا يليق بك أن تجرني .

فقال له : أنت رجل مريض .

فقال له : إن كان لا بد ، فأنا أمسكُ باللجام حفظاً لكرامتك .

وعندما ناوله اللجام ، استوى على الفرس وهرب بها ، فنادى صاحب الفرس عليه ، وقال له : إن سألوك عنها فقل أنك اشتريتها ، ولا تُحدِّثْ أحدًا بما فعلتَ ، إني أخاف أن تموت المروءة بين الناس!

الوطن

٢٠١٧/١٢/١٠

لا تتنازلْ عن كرامتك!

أيام الاستعمار البريطاني في الهند ، صفعَ ضابطٌ بريطاني رجلاً هنديًا على وجهه ، فما كان من الهندي إلا أن لكمه فأوقعه أرضًا!

عاد الضابط إلى الجنرال وقص عليه الخبر ، ثم قال له : قم بإعدامه يا حضرة الجنرال ، لقد اعتدى على جيش صاحب الجلالة!

ولكن الجنرال قال له : خُذ خمسين ألف روبيه وأعطها للهندي عربون اعتذار!

قبل الهندي الهدية التي شكّلت له رأس مال ليبدأ بها تجارة طالما حلم بها ، وعندما كثر ماله ، وأصبح يُشار إليه بالبنان ، قال الجنرال للضابط : الآن اذهب إلى بيته واصفعه أمام حرسه وخدمه!

امتثل الضابط لأمر الجنرال ، وذهب إلى بيت الهندي وصفعه أمام ، حرسه وخدمه ، فابتسم الهندي ولم يفعل شيئًا!

عاد الضابط وأخبر الجنرال بما كان من صاحبه الهندي!

عندها قال الجنرال للضابط : في المرة الأولى لم يكن الهندي يملك إلا كرامته فدافع عنها ، أما عندما باعنا كرامته ، أصبح لديه تجارته ومصالحه التي يدافع عنها بعيدًا عن حكايات العزة والكرامة!

شأن الحياة دومًا أن تراود الإنسان عن كرامته ، وما أكثر بائعيها ، وما أقل ممسكيها بإحسان ، الذين يقولون لكل من ساوم وفاوض وزيّن وأغرى : «معاذ الله»!

نادرًا ما يكون الأمر صارخًا مكشوفًا كحالة المحتل مع صاحب الدار ، رغم أني لا أصنف التنازل هنا في باب هدر الكرامة ، وإنما في باب الخيانة العظمى ، في الغالب تكون كرامتنا على المحك في أغلب ممارساتنا اليومية ، وأدق تفاصيلنا الحياتية!

باسم الحُبّ ، تجد أحدهم قد ارتضى أن يكون ممسحة ، ثم يعزي نفسه قائلاً : لا كرامة بين المحبين! نسي مدعي الحب هذا أن الذين يُخيرون بين قلوبهم وكراماتهم ، فيختارون قلوبهم لا يستحقون أن يكونوا عشاقًا ، ونسي ما هو أهم من ذلك ، وهو أن الذين يحبوننا حقًا لا يضعوننا أمام هذا الخيار أبدًا ، لأن كرامتنا من كرامتهم!

باسم تحصيل الرزق ، تجد أحدهم يريق ماء وجهه ، ثم يعزي نفسه قائلاً ، رغيف العيش صعب! تبًا للخبز المعجون بالذل ، للرغيف الذي يحولنا إلى عبيد ، وكأن الرزق بيد الناس لا بيد الله!

باسم الترقّي في الوظيفة يعمل أحدهم جاسوسًا على زملائه عند ربّ العمل!

باسم معرفة عليَّة القوم يكثر المطبلون وماسحو الجوخ!

باسم فقه المصلحة تُباع اللحى والعمائم بدراهم معدودة ، يتعلمون كلام الله ويمشون به في طريق إبليس!

في بعض المواقف يكون التجاهل فضيلة ، والتغاضي قيمة أخلاقية عليا ، وغض الطرف خلقًا نبيلاً يُندب إليه ، كل هذا محمودٌ إن كان الهدف من ورائه محاولة الاحتفاظ بالآخرين حتى الرمق الأخير طلبًا للأجر من الله ، ولكن متى ما كان هذا طلبًا للأجر من الناس فاعلم أن الكرامة قد تمرغت عند أقدامهم!

إن كرامتك أهم من حبيبك ، وأهم من رغيف خبزك ، وأهم منك أنتَ ، إن الإنسان بلا كرامة لا شيء!

الوطن

١٢/ ١٢/ ٢٠١٨

اُترك العالم وغيّر نفسَك!

تقول الاسطورة :

يُحكى أن ملكًا كان يحكم دولة واسعة جدًا ، وأنه أراد ذات يوم أن يقوم برحلة طويلة يجوب فيها أرجاء المملكة ، فتورمتْ قدماه من وعورة الطرقات وأشواكها ، فأصدر مرسومًا ملكياً يقضي بتغطية كل شوارع المملكة بالجلد ، ولكن أحد مستشاريه قال له : هذا مستحيل أيها الملك ، ولكن ما رأيك أن نجعل لك قطعة جلد أسفل قدمك وهكذا تصبح كل الطرق كما تريد! فأُعجب الملك بالفكرة ، وهكذا وُلدت الأحذية!

الجميع يريدون تغيير العالم ، ولكن لا أحد يريد تغيير نفسه ، مع أنه متى غيّر الإنسان نفسه فإن العالم سيتغير تلقائيًا!

إن هذا العالم حقيقته من العين التي يُنظر بها إليه ، وكلنا نملك العين نفسها ، ولا نملك النظرة نفسها!

وبمثال علّه يُسهل هذا المفهوم الذي يبدو معقدًا :

يفقد رجلان ابنيهما .

يقولُ الأول : ألم يرَ الله غيري ليبتليه!

إن النظر إلى المصيبة من هذه الزاوية سوف يجعل الحياة جحيمًا لا تطاق!

الثاني يحزن لأنه إنسان ، يلتاع لأنه أب ، ولكنه يسلم ويرضى ، ويتأدب مع الله إذا شاء أن يمضي قدره .

لا سخط الأول أعاد إليه ابنه ، ولا رضى الثاني أعاد إليه ابنه ، ولكن العالم في عين أحدهما مختلف تمامًا عن العالم في عين صاحبه .

في قرية صغيرة ، سقوف بيوتها متصدعة ، يهطل المطر ، ينساب الماء من السقف إلى داخل المنزل ، الأول يشتم المطر ، والثاني يحاول أن يصلح سقفه!

وعندما تمطر في المرة القادمة سوف يبقى الماء يتسلل إلى بيت الأول ، ولن يفعل هذا في بيت الثاني

الأول يريد تغيير العالم ، أن تمسك السماء عن المطر لأن سقف بيته متصدع والثاني يعرف أن المشكلة ليست في المطر ، وإنما في سقف بيته لذلك أصلحه!

سوف تبقى الدنيا على هذا الحال ما بقينا عليها ، المطر لن يكف عم الهطول ، والأحبة لن يعيشوا إلى الأبد ، الجامعات لن تصبح مجانية ، والمستشفيات لن تدخلك ما لم تملك المال ، العمل سيبقى شاقًا ، والنجاح سيبقى صعبًا ، المحال التجارية لا توزع بالمجان ، والبيوت تقع فيها الخلافات!

من كان سقفه متهالكًا يريد من المطر ألا يخترقه

ومن كان له أبناء يريد لهم أن يعيشوا إلى الأبد

ومن كان يريد عملاً سهلاً ، ونجاحًا يسيرًا ، وأسواقًا تعطي دون مال

فهو على الكوكب الخطأ ، عليه أن يغير نفسه ، أو يبحث له عن كوكب آخر!

الوطن ١٤/ ١٢/ ٢٠١٨

لستَ سيِّدَ العَالم!

حجمُ الأرض بالنسبة إلى الكون لا يزيدُ عن حجم قطرة ماء في محيط ، ومع هذا فإنّ أحد سكان هذا الكوكب المتخم بالغرور قال يومًا : «أنا ربكم الأعلى»!

المهم أنّ هذا الذي زعم أنه الرب الأعلى ، سقاه ربنا الأعلى من ماء البحر ثم ألقاه على الشاطئ جثة هامدة ليكون لمن خلفه آية! وما أكثر الآيات وأقل المعتبرين! فما زال هناك أشخاص يحسبون أنهم مركز الكون وعلى الجميع أن يدور في فلكهم ، وكي لا تكون منهم ، ضع نصب عينك ما يلي :

١- الطريقة الوحيدة لتحصل على الحُبّ هي أن تقدمه! لتشعر بالحبّ عليك أن تُشعر الآخرين به! إن من الحماقة أن تحمل سلّتكَ ومنجلك وتذهب إلى أرضك التي لم تزرع فيها بذرة واحدة ، ثم تنتظر أن تعود إلى البيت بغلّة وافرة ، لتحصد عليكَ أولاً أن تزرع!

٢- الناس يتغيرون دومًا ، مقاساتك السابقة عنهم تخصك ولا تخصهم ، الخياط الماهر لو فصّل لك ثوبًا ثم جئته بعد شهر لأخذ مقاسك مجددًا ، رغم أن مقاسك السابق عنده!

كن خياطًا ماهرًا أيضًا ، أنتَ اليوم لست الشخص الذي كنته قبل سنة ، فلا تتوقع أن يبقى الآخرون هم أيضًا!

٣- الوحي الذي نزل من السماء لم يوافق عليه كثيرون من أهل الأرض ، هذا وهو وحي ، فلا تتوقع أن يصفّق الناس لكل ما تقوله مهما بدا في نظرك صحيحًا ، وتذكر أنك ترفض كثيرًا من الأفكار التي هي أيضًا صحيحة في نظر قائليها ، فلا تسلب الآخرين حقًا أنتَ ترفض أن تتنازل عن مثله!

٤- الطريق الذي تختار أن تمشيه هو طريقك أنتَ ، ولا أحد من قاطني هذا الكوكب مطالب أن يخطو فيه خطوة واحدة عنك ، صحيح أنه لا شيء في أن يُحسن المرء الظن بالناس ، ولكن إحسان الظن بالآخرين شيء ، وإلزامهم أن يكونوا عند حسن ظنك شيء آخر ، لا تتوقع من أحد أن يكون ملاكًا لمجرد أنك افترضت منه أن يكون كذلك ، امشِ في طريقك كأنك تعيش على الأرض وحدك!

٥- يقول ابن خلدون ، لولا اختلاف الأذواق لفسدت السلع! أولوياتك قد تكون أمورًا ثانوية عند شخص آخر ، تمامًا كما قد تكون أولوياته بالنسبة لك . حياة الآخرين هي ملكهم ، ومن حقهم أن يعيشوها بالطريقة التي يرونها . عوّد نفسك أن الاختلاف جزء أساسي من هذه الحياة ، وليس شيئًا دخيلاً عليها .

٦- البشر أحيانًا لا يفهمون أنفسهم ، فلا تستغرب عندما يُساء فهمك!

٧- أن ترى جزءاً واحدًا من الصورة في حين أن للصورة أجزاءاً أخرى حتمًا أنتَ لا تراها ، فلا تحكم كأنك ترى كل شيء!

عندما كنتُ طفلاً كنت أقول في نفسي : هنيئًا لأبي لا أحد يصدر له الأوامر ، بينما يقوم بإصدارها لنا ، أما اليوم بعد أن صرتُ أبًا ، فأقول ما أسهل أن يكون المرء ابنًا ، وما أصعب أن يكون أبًا!

وعندما كنتُ تلميذاً كنت أقول هنيئًا للمعلم ، لا يدرس ولا يحفظ ويشرح حصته ويمضي ، أما اليوم بعد أن صرتُ معلمًا فأقول هنيئًا للطالب الجالس في مقعده!

٨- الناس يتفاوتون في عقولهم ، ما تراه أنتَ بديهيًا قد يحتاج غيرك وقتًا ليدركه ، أنت أيضًا قد تحتاج وقتًا لتدرك ما يدركه الآخرون ، وقد لا تدركه ، لهذا السبب فإن باولو كويلو هو صاحب رواية الخيميائي وليس أنتَ ، وبيل غيتس هو صاحب مايكروسوفت وليس أنتَ!

٩- إذا كنتَ تستطيع فهذا لا يعني أن غيرك يستطيع!

لاعبو كرة القدم يركضون تسعين دقيقة ، أنا وأنتَ نلهث بعد ربع ساعة ، حتى وإن كنت تركض تسعين دقيقة فإن تسعين بالمئة من سكان الأرض لا يستطيعون فعل هذا!

١٠- قلتُ لك في أول نصيحة :

إذا أردت أن تحصل على الحُبّ عليكَ أن تقدمه ، حسنًا ، حان الوقت لأقول لك ؛ لا تتوقع دومًا أن يعاملك الآخرون كما تعاملهم!

الوطن

٢٠١٧/١٢/١٧

إنّها حياتُكَ أنتَ!

مما يُروى في باب أنّ الناس لا يتركون أحداً في حاله :
أن جُحا وابنه حزما أمتعتهما للسفر إلى مدينة مجاورة لقضاء حوائجهما التي لا تتوفر في القرى المحيطة ، فركبا ظهر الحمار وانطلقا ، وعندما وصلا إلى أقرب قرية عليهما ، قال الناس : يا لهذين القاسيين يركبان ظهر الحمار بلا شفقة ولا رحمة!

فنزل الابن وبقي جحا راكباً ، وعندما وصلا إلى القرية التالية . . .

قال الناس : يا لهذا الأب المستبد يركب ظهر الحمار بينما يتكبد ابنه مشقة المسير!

فنزل جحا وركب ابنه ، وعندما وصلا إلى القرية الأخيرة قبل المدينة

قال الناس : يا لهذا الولد ال
لعاق ، يركب ظهر الحمار ويدع أباه يمشي!

فنزل جحا وابنه يمشيان وليس على ظهر الحمار أحد ، وعندما وصلا إلى المدينة . . .

قال الناس : يا لهذين المغفلين ، يمشيان ومعهما حمار يصلح للركوب!

جحا بالمناسبة شخصية حقيقية ، ليس فيها شيء من العبط الذي يُنسبُ إليها ، ولكن الرجل غدا في الناس أيقونة كلما ألّف أحدهم قصة فيها شيء من الحمق نسبها إليه!

تماماً كما أن كل بيت غزلي لا يُعرف له قائل يُنسب لبني عُذرة قبيلة العرب العاشقة!

وكما أن كل رواية غريبة تُنسب للأصمعي ، حتى غدا الرجل في ظل الناس كذاباً ، وهو في الحقيقة من أوثق العرب رواية وأدقهم أمانة!

وكما أن كل قصة في البخل تُنسب لأهل مرو بعد أن جعلهم الجاحظ قِبلة البخل!

وليس هنا مربط الفرس ، ولا إسطبل الكلام!

لهذا أرجع بكم إلى الحكاية التي بدأتُ بها!

الناس هم الناس في كل عصر! هوايتهم المفضلة التدخل في شؤون الناس! وهم في الغالب يتطوعون لتشخيص مشاكل الآخرين ووضع حلول لها ، على الرغم أنهم لو تفرغوا لتشخيص مشاكلهم وحلها لن يكون لهم وقت لمشاكل الآخرين ، ولكنها اللقافة والحشرية السَّمتُ الأصيل لقاطني هذا الكوكب!

وأسوأ ما في الأمر أنك أحياناً لا تعرف ما الذي يرضي الناس لتفعله!

فالذي يستشير زوجته عندهم محكوم ، والذي لا يستشيرها عندهم مستبد!

والتي تسمع كلام زوجها عندهم ضعيفة الشخصية ، والتي لا تسمع كلام زوجها عندهم مسترجلة!

الذي يعمل بوظيفتين ليكفي نفسه مسألتهم عندهم يريد أن يأكل الدنيا ، ومن يرونه يُسيِّر أموره بالعافية يتساءلون : لماذا لا يبحث عن وظيفة ثانية!

التي تتزوج وتتفرغ لبيتها يقولون عنها مسكينة كانت ذكية وضيّعت نفسها ، والتي تتزوج وتقرر متابعة تعليمها يتساءلون : لماذا لا تتفرغ لبيتها!

الذي له صحبة يرافقهم إلى الملاعب والمقاهي عندهم ضائع وبلا هدف ، والذي يدرس ويجتهد ويمضي وقته بين الكتب عندهم معقد!

هي حياتك أنت ، فعشها كما يحلو لك ، ما دمتَ على قناعة أنك تفعل الصواب ، ولا تبحث عن قيمتك في أعينهم ، يكفي أن تكون كبيراً في عين نفسك!

وإذا كنتَ تعتقد أنه يمكن النجاة من كلام الناس ، بغض النظر عن الحال التي أنتَ عليها ، فأنتَ لم تعرف الناس ، الناس هم الذين قالوا عن النبي ﷺ ساحر ومجنون!

وعندما لم يجدوا للوط عليه السلام ذنباً

قالوا : ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾!

الوطن

١٩/ ١٢/ ٢٠١٧

الواجبات المنزليّة!

في العام ١٩٥٠ ، قام المعلّمُ الإيطالي «روبيرتو نيفلز» بابتكار الواجبات المنزلية كعقاب لطلابه!

وفي حين بقيتْ آلافُ الأفكار والنظريات التربوية الجميلة مثار جدل وأخذ ورد ، تبنّى الكوكب كله نظرية «روبيرتو نيفلز» كأنه نبيُّ المدارس!

أراد هذا الشرير أن يُعاقب طلابه فعاقب طلاب هذا الكوكب جميعاً!

مُذ كنتُ تلميذاً وأنا أكره الواجبات المنزلية ، ولكنّ شأني شأن جميع الطلاب المساكين في هذا العالم كنتُ أقوم بحلها من باب مكره أخاك لا بطل! فأبي وأمي لا يقبلان التفاوض في أمرين هما : المدرسة والصلاة! وما عدا ذلك قابل للأخذ والرد!

وما زلتُ اليوم بعد أن أصبحتُ مدرساً أكره إعطاء طلابي واجبات منزلية ما لم تستدع الحاجة هذا ، وأستغربُ من المدرسين الذين يعتقدون أن الواجبات المنزلية هي حاجة قائمة بذاتها!

وأزيدكم من الشعر بيتاً ، أنني في العام الماضي عندما رأيتُ تهافت المدرسين لإعطاء الطلاب واجبات للعطلة الشتوية ، دخلتُ إلى غرفة الصف ، وحددتُ لهم واجباً ، طلبتُ منهم أن يكتبوه على مفكراتهم ، وكان الواجب كما يلي :

لا تدرسُوا! اجلسُوا حول الموقد ، استمعوا للحكايات واشربوا الشاي ، دفِّئوا أنفسكم ، هناك متسع للدراسة في كل وقت ، ولكن السعادة ليستْ متاحة على الدوام!

طالب المدرسة الإبتدائية في مدارسنا يحمل شنطة تبلغ من حيث الوزن ربع وزنه ، ومن حيث الحجم تشبه حقائب الجنود المتخمة بالذخيرة قبل المعركة! هذا ولم نقلْ باسم الله بعد ، ولم يبدأ اليوم! ثم يقضي الطالب ابن السنوات التي تُعد على أصابع اليدين ثلث يومه في المدرسة ، يُودِّعه مدرس الرياضيات ، ليستلمه مدرِّس العلوم ، ثم تكون الحصة الثالثة في كان وأخواتها ، ثم نتساءل لماذا يكره أولادنا المدرسة!

وبدل أن نعتقهم لوجه الله وندعهم يعيشون طفولتهم نجعلهم يأخذون معهم المدرسة إلى البيت! والمصيبة أن كل مدرِّس يعتقد أنه لا يوجد غيره ويتصرف على هذا الأساس ، وهكذا يتخلص الطالب من المدرسين ليقع في فخٍّ أهله في البيت!

برأيي إن لم يكن ثلث اليوم الذي يقضيه الطالب في المدرسة كافياً ليتعلم ما نريد منه أن يتعلمه ، فهذا لا يدل إلا على شيء واحد هو أنّ مناهج التعليم فاشلة ، وغير انسانية! وأعتقدُ اعتقاداً جازماً لا يخامره شك أنه كما لا يجوز في الشريعة العقاب بالطاعة ، كأن تقول لابنك إذا لم تفعل هذا الشيء سأجعلك تصلي مئة ركعة ، فإنّ الواجبات المنزلية لا تجوز بهذا الكم والكيف لأن فيها إكراهاً ، وتهتم بالمعلومات على حساب الإنسان!

المدارس عندي كالمساجد ، رقع لا يمكنني أن أتصور كوكب الأرض بدونها ، لهذا أنا مع المدارس حتى آخر رمق فيَّ ، ولكنني ضد أن تصبح سجوناً ، وما دامت الواجبات المنزلية تعطى بهذا الشكل فهي قيود ، بينما الغاية من التعليم هي صنع الأجنحة للناس!

الوطن ٢١/ ١٢/ ٢٠١٧

نصائح لحياة أسهل!

مُـذ بدأتُ أفـتحُ عـينيّ على الدنيـا وأنا أسـمع الناس يقـولون : الحياةُ معقدة!

شخصياً أوافق أن الحياة صعبة ، وقد أبدع شوقي حين قال إنها تُؤخذ غلابا! ولكنـي لا أوافق أنها معقدة إذا كان التعقيد يعني أنها غير مفهومة!

الحياة يسيرة الفهم إذا عرفنا كيف ننظر إليـها ، ولكي لا يكون الكلام تنظيراً فارغاً إليك نصائح غلبَ على ظني أنها تساعدك على فهم الحياة بصورة أعمق :

١- آراء الآخرين بك هي وجهة نظرهم عنك ، فلا تجعلها واقعك! قول أحـدهم إنك فاشل ، هو مـجرد رأي لن يصبح حقـيقـة إلا عندما تؤمن في قـرارة نفـسك أنك فـاشل حـقـاً ، فـلا تسـمح لأحد أن يقصَّ أجنحتك!

٢- لا يمكن تغيير الماضي ولكن يمكن الاستـفادة منه ، العيش في الماضي يفسد المستقبل ، والاعتبار منه يجعلك أقوى ، لهذا اطوِ الصفحة ولكن لا تنسَ الدرس!

٣- أحكام الآخرين على الأشياء تكشف حقيقتهم أكثر مما تكشف حقـيـقـة الأشـيـاء! لهـذا لـيس عليكَ أن تقـتربَ من الآخـرين لتفهـمهم ، كُن لماحاً فقط ستجدهم عند كل رأي يميطون اللثام عن دواخلهم!

٤- السـعـادة مـعـدية والكآبة كـذلك ، أحط نفـسك بالإيجـابيين وابتعد عن السلبيين ، فكما يقول آينشتاين : الإيجابيون لديهم حل لكل مُشكلة ، والسلبيون لديهم مشكلة لكل حل!

٥- السعادة قرار وليست إمكانيات ، ولستُ أقلل من شأن الماديات ، على العكس أؤمن أن المال هو عجلة الحياة ولكنني بالمقابل أقول إنه ليس الحياة! وفي الغالب الأشياء التي تسعدنا لا تُشترى! لهذا ثِق أن سعادتك تنبع من داخلك ، وكآبتك كذلك!

٦- نحن لا نفشل عندما نتعثّر وإنّما نفشل عندما نقرر أن نتوقف ، لهذا يقول الانجليز : لا تتوقف عندما تتعب ، توقّف عندما تنتهي!

قبل أن يخترع أديسون المصباح الكهربائي كان قد جرّبَ ألف طريقة ولم ينجح ، ولكنه قال مُعقِّباً ، لم يذهب شيء سُدى أنا اليوم أعرف ألف طريقة لا يمكن أن تؤدي إلى صنع مصباح كهربائي!

٧- إذا أردتَ أن تُغيِّر حياتك غيِّر أفكارك ، صحيح أن أبا بكر هو من حرّر بلال بن رباح ، ولكن في الحقيقة كان بلال هو من حرّر نفسه في اللحظة التي آمن فيها أنه سيِّد نفسه!

٨- الدنيا دولاب والزمن دوار وكما تُدين تُدان ، كل ساق سيُسقى مما سقى ، فأحسن سقاية الناس لتحسن مشربك! واللّه أعدل من أن تمد يداً في الخير ثم إذا وقعتَ لا يُهيِّء لكَ يداً ، كل معروف تصنعه هو يد مساعدة تخبِّئها للغد ، ثمّ وما أدراك . . . قد يكفيك الله حاجة الناس أساساً ، الله أرحم من أن يذيقك وجعاً خففته عن غيرك!

٩- القلق كالكرسي الهزاز يحركك مكانك ولكنه لا ينقلك إلى الأمام خطوة! احسبْ حساب المستقبل ، وأعدَّ نفسك ، ولكن لا تنسَ أن الغد بيد الله ، والله عند ظن عبده به ، وهو أكرم من أن تسلِّمه أمركَ فيذرك للدنيا تلعب بك!

١٠- حافظ على مسافة بينك وبين الآخرين ، لا تلقِ بنفسك دفعة واحدة في حياتهم ، ينصح خبراء القيادة بمسافة بين السيارة وأختها يسمونها مسافة الأمان ، السيارات التالفة تجد من يصلحها ولكن القلوب قلّما تجد ، فاتركْ شيئاً من نفسك لنفسك!

الوطن
٢٥/ ١٢/ ٢٠١٧

أكاذيب مدفوعة الأجر!

بعد أيام من إلقاء القنبلتين اللتين دمرتا هيروشيما وناكازاكي، كذَّبَت «النيويورك تايمز» الإشاعات التي كانت ترعبُ العالم بخصوص قدرة هذا النوع من القنابل على إهلاك الحرث والنسل!

وكتب «وليام لورنس» محرر المواضيع العلمية في الصحيفة مقالاً في الصفحة الأولى يتصدى للروايات المثيرة للذعر، ويؤكد أنه لا وجود لأي إشعاعات مضرة في هاتين المدينتين، وأن النشاط الإشعاعي لا يعدو كونه واحدة من أكاذيب الدعاية اليابانية!

هذا المقال المحشو بالأكاذيب كان السبب الرئيس في حصوله على جائزة بوليتزر، ثم تبيّن بعد سنوات أنّ «لورنس» كان يتقاضى راتبين في الشهر، أحدهما من النيويورك تايمز، أما الآخر فكان من البنتاغون!

هذه حادثة واحدة أسوقها إليكم ولكنها بالتأكيد ليست حادثة يتيمة! إن كثيرًا من التحليلات والدراسات والآراء التي تقرؤونها في الصحف ليست أفكار أصحابها، ولكنها أفكار الجهة التي يعملون لديها! وإن كثيرًا من الكُتّاب هم في الحقيقة مرتزقة، يكتبون لمن يدفع لهم، تمامًا كما كان مجموعة من المحاربين في العصور الغابرة يقاتلون تحت الراية التي تدفع لهم، لهذا لم يكن مستهجنًا أبدًا أن يحاربوا في الغد الراية التي ينافحون عنها اليوم! مرتزقة السيف قديمًا لم يكن لديهم ولاء لفكرة، ولاؤهم الحقيقي كان لجيوبهم، وكذلك مرتزقة الأقلام اليوم، ولكن كل في مجاله!

محرر الصفحة العلمية في «النيويورك تايمز» أثبتَ على الورق أن القنابل الذرية صديقة للبيئة! ولو أراد البنتاغون منه أكثر، كأن

يكتب عن فوائد القنابل على التربة والمزروعات لفعل ، ولبدا أن إلقاء القنابل التي لم تبقِ ولم تذر هي خدمة لليابانيين الذين تبخروا بعد ثوانٍ من ضربهم بالقنبلتين!

والناس شرقهم وغربهم في هذا سواء! ما يوجد هناك يوجد هنا ، وربما بصورة أوقح وأكثر فجاجة!

بعد كل موقف سياسي تتخذه حكومة ما ، تجد المقالات تنهمر انهمار الغيث تحدثك عن الحكم الخفية في قرارات الذات العليّة! الأقلام نفسها ، هي التي كانت من قبل تحذرك من مغبة هذا الموقف ، لأن الحكومة كانت ضده!

خذ عندك مثلاً قيادة المرأة للسيارة بين ليلة وضحاها تحولت المعلمة التي تريد أن تقود سيارتها إلى مدرستها من امرأة فاجرة بزعمهم إلى امرأة مجاهدة في سبيل الله تكد على نفسها وعيالها! في قضية رفع الضرائب تجد أحدهم يزبد ويرعد ينافح عن خبز الفقراء ، وأقساط المدارس ، وعلب الدواء ، فالحكومة لم تقرر رفع الضرائب بعد ، ولا بأس بقليل من دروس العدالة الاجتماعية وإنصاف الطبقة المسحوقة! ثم في المساء تقرر الحكومة رفع الضرائب ، وفي الصباح يكون المقال جاهزًا ، تفوح منه رائحة الحنكة الاقتصادية ، وأنه لا بأس بالتضحية بالبعض ليسلم الوطن ، حتى الأطباء يضحون بالجنين لتسلم الأم! الأمر يشبه مواضيع التعبير التي كنا نكتبها في المدارس «اكتب ما يلي»! ولا تملك إلا أن تكتب مع فارق بسيط أننا كنا نكتب أشياء نبيلة وصادقة!

المهم من هذا كله :

إن كنت ستصدق كل ما تقرأ ، فلا تقرأ!

الوطن ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٧

رسائل راقية!

يقولُ التشبيه العالمي ذائع الصيت عن الأشياء المستحيلة : كمن يبحثُ عن إبرة في كومة قش!

ولا أعتقد أن أحدًا من قاطني هذا الكوكب يجهل هذا التشبيه . . . وهذا التعميم مني من باب حسن الظن ليس إلا ، وإلا فإنه لا يمكن الجزم بشيء يتعلق بالبشر!

بعيدًا عن هذا الاستطراد الجاحظي الذي ليس له في الموضوع ناقة ولا جمل ، أعود بكم إلى حيث الإبرة وكومة القش!

البارحة قرأتُ أن الشاب الإيطالي «سيفن ساسلبر» ذهب إلى إحدى المزارع برفقة شهود عيان من الصحافة ، واختار كومة قش ضخمة وقام بوضع إبرة فيها ، ثم خلط القشّ خلطاً شديداً . . . ليبدأ بعد ذلك بعملية بحث طويلة عن الإبرة ، وبالفعل بعد ثمانية عشرة ساعة استطاع «ستيفن ساسلبر» أن يعثر عليها!

وعندما سُئل عن السبب الذي دفعه للقيام بهذا العمل العبثي قال : هذا ليس عملاً عبثيًا ، أردتُ أن أوصل رسالة مفادها : راجعوا مفهومكم تجاه الأمور المستحيلة!

الذي أعجبني في هذه القصة هي الطريقة الجميلة التي سلكها هذا الشاب لإيصال رسالته للناس!

يمكن للإنسان أن يطرح فكرته دون أن يشتم أحدًا ، أو ينتقص من أحد ، هكذا بهدوء يقوم بهزّ أفكار الآخرين ، ويحدث فيهم جلبة دون أن يتخلى هو عن اتزانه!

في الباب ذاته ، أي توجيه الرسائل بطريقة راقية : انزعجت مصممة الأزياء البريطانية «ديمي بارنز» من كثرة الطلاق في بلادها ، فحصلت من المحاكم على سجلات الطلاق ، وقامت بالاتصال بالزوجات المطلقات ، وحصلت منهن على صور من أوراق طلاقهن ، وصممت فستانًا من ألفٍ وخمسمائة ورقة طلاق ، احتجاجًا على هذه الظاهرة!

هذا العمل على بساطته ورمزيته يمكن أن يوصل رسالة إلى المجتمع بالمقدار الذي يفعله المنظرون وخبراء الأسرة وأساطين تطوير الذات!

وهكذا استطاعت «ديمي بارنز» كما استطاع «ستيفن ساسلبر» من قبلها أن يوصل رسالته بطريقة راقية!

إن الاحتجاج ليس بالضرورة صراخًا ، والنقد ليس بالضرورة شتيمة ، والاعتراض ليس بالضرورة بيانًا ، أشياء مختلفة وهادئة يمكن أن تكون أكثر صخبًا من كل صراخ العالم!

الوطن

٢٨/ ١٢/ ٢٠١٧

دِينٌ ودُنيا معاً!

يقول محمد الغزالي في كتابه «علل وأدوية» :
إنني أريد إفهام المؤمنين أنّ الحياة في سبيل الله ، كالموت في سبيل الله ، جهاد مبرور! وأن الفشل في كسب الدنيا حتمًا سيتبعه الفشل في نصرة الدِّين!
ما هنا أكبر من جُملة ، وحتمًا أوسع من اقتباس! ما زال كثيرون منا يعتقدون أن هذا الدين أكبر مساحة يمكن أن يشغلها هي المسجد ، وأعلى نقطة يمكن أن يرقاها هي المنبر! يجهلون أن هذا الدين إن لم يخض سجالاً في معركة الحياة فلن تبقى له حتى مساجد! بالتأكيد لن يفهم أحد من هذا الكلام أني أنتقص من المساجد ، إلا إذا قرأ بسوء نية وهذا لا سبيل لي لدفعه ، أما عن الفكرة فيمكن أن أنافح وأستشهد وأدلي!

تخبرنا كتب السيرة أن صلاح الدين الأيوبي عشية معركة حطين كان يتفقد جنوده ، فمرَّ على خيمة يتلو فيها الجنود القرآن ويُصلّون ، فقال : من هنا يأتي النصر ، ومر على خيمة أخرى فرأى الجنود يتسامرون ويتضاحكون فقال : من هنا تأتي الهزيمة!
ولكن هذه الكتب لا تقول إن صلاح الدين كان قد هيأ للمعركة مجانق -جمع منجنيق- أذهلت جيوش الصليبيين! ليس بالدعاء والصلاة فقط تنتصر الأمة ، ولا بالأسلحة فقط ، إنما هي دين ودنيا معًا ، وأخذ بالأسباب ، ثم جعل التوكل على الله لا على الأسباب!

وتخبرنا كتب السيرة أيضًا أن محمد الفاتح ، الخليفة ذو الاثنين وعشرين عامًا ، التقيُّ النقيُّ الذي فتح القسطنطينية ، وتقلد أرفع وسام نبوي قال فيه سيدنا ﷺ :

«نِعم الجيش جيشها ونِعم الأمير أميرها»

كان صائمًا مصليًا طائعًا! وهذا حق ، ولكن هذه الكتب لا تخبرنا أنه يومذاك ، كان يمتلك أقوى مدفع على وجه الأرض! حتمًا نحن لا ننتصر بالمدافع ، والدليل أن لدينا اليوم منها الكثير ، ولكن من المؤكد أننا دون مدافع سنُباد!

المعادلة لم تكن يومًا خيارًا بين العبادة والأسباب ، بل التكامل بينهما ، ثم إن الأخذ بالأسباب عبادة ، أجل عبادة!

عندما خرج النبي ﷺ اصطحب معه دليلاً يرشده إلى الطريق ، ولم يقل في نفسه : أنا نبي وسأصل على أية حال ، رغم أنه لو قال لصدق ، ولكنه أراد أن يعلِّمنا!

ويوم أحد لبس درعين لا درعًا واحدًا ، ولم يقل : أنا نبي وسأنجو على أية حال ، ولو قال لصدق ، ولكنه أراد أن يعلّمنا أن المعركة لا تُخاض بالإيمان وحده!

الأمة التي تستورد كل شيء من الإبرة حتى الصاروخ لن تنتصر أبدًا ، وحتى الاستيراد وإن كان أخذًا بالأسباب ، إلا أنه سبب ناقص ، لأنك تسلم رقبتك لغيرك ، الأمة التي لا تصنع سلاحها لا تملك حرية استخدامه!

الوطن

٣١/ ١٢/ ٢٠١٧

حزمة حطب!

أيام لم يكن في البيوت أفران غاز ، ولكن كان فيها الكثير من دفء الحب ، اشترى الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله حطبًا من جمَّال ، وطلب منه أن يحمله إلى منزله ، وأثناء إنزال الجمّال للحطب وقعت علبة دخان من جيبه ولم ينتبه ، ولكن الشيخ رآها فالتقطها ، وعندما انتهى الرجل من عمله ، أعطاه الشيخ أجرته ومدَّ له علبة الدخان ، سائلاً إياه : أهذه لك؟

فردّ الرجل على استحياء : أجل ، ثم أردف قائلاً : غريبة يا شيخ ما أحرقتها!

فقال له الشيخ : إن أحرقتها فستشتري غيرها من ثمن هذا الحطب على حساب طعام أولادك!

يقول الشيخ وهو يحدّث بهذه القصة ، فقال لي الرجل عندها : أشهدك أني سأقلع عن التدخين ، ومضى في طريقه ولم نلتقِ بعدها!

لم أبدأ هذه القصة لأفتح من خلالها بابًا من أبواب الفقه والاجتهاد ، لستُ من أهل الفتوى ، ولا تتوفر فيّ صفات المجتهد لأرجّح بين أقوال الشيوخ في الدخان بين التحريم والكراهة والإباحة ، ولا أدري بالمناسبة إن قال أحد بالإباحة ، ما يعنيني من هذه القصة هو هذا النبل من الشيخ في التعاطي مع الرجل ، هذه الرحمة والحنان على الناس الذي نفتقده اليوم في كثير من رجال الدين!

وإني لأقسم بالله غير حانث ، ولا راجم بما لا أعلم أن نفور بعض الناس من الدين يتحمل مسؤوليته بعضُ أهل الدين أنفسهم سواءً كانوا علماء أو أشخاصًا متدينين!

واضح من ثنايا القصة أي رأي فقهي يتبنى الشيخ من الدخان ، ولكن رأيه لم ينسِه أن يفكّر بخبز أهل هذا العامل البسيط ، هذه الرحمة وهذه الإنسانية كانت دعوة من غير أحاديث ولا آيات ، ولا قياس ولا استدلال ، وهذا بالضبط ما جعله يلمس قلب الرجل ، فكانت النتيجة كما عرفتم ، فماذا لو كان تصرفه مغايرًا ، ماذا لو ألقى علبة الدخان في وجه الرجل ثم أردفها بكلمة قاسية ، أكانت النهاية لتكون على الشكل الذي كانت عليه؟!

رُوي للحسن البصري أن فقيهًا من فقهاء الحجاز رغبت به امرأة ، فاعترضته في الطريق وكشفت عن وجه كفلقة القمر ، فقال لها : لا عذّب الله هذا الوجه الحسن في النار ، ومضى في طريقه!

فقال الحسن معلقًا على هذه القصة ، هذا من ظرف فقهاء الحجاز ، ولو كان من فقهاء العراق لقال : اغربي عن وجهي يا عدوة الله!

وقد عُرف عن فقهاء العراق حدّتهم في ذلك الوقت ، أما اليوم فلم يعد الظُرف والقسوة له أرض أو وطن تداخلت الأشياء ، وصارت كل النماذج توجد في بقعة واحدة!

خلاصة القول:

إن الواقع في المعصية أيًا كانت هو إنسان مبتلى تمامًا كالمريض ، بحاجة إلى الشفقة والرحمة أكثر من حاجته للتأنيب والتقريع والتوبيخ ، ومهمة المتدينين ، علماءً كانوا أو غير ذلك أن يأخذوا بأيدي الناس إلى الله لا أن يقفوا بينهم وبينه!

الوطن

٢/ ١/ ٢٠١٨

لا تُغلق الباب!

كان سهيل بن عمرو في سفرٍ هو وزوجته ، وأثناء الطريق اعترضهم قطّاع الطرق ، وأخذوا ما معهم من مالٍ وطعام ، وجلس اللصوص يأكلون ما حصلوا عليه ، فانتبه سهيلٌ أن قائدهم لا يشاركهم الأكل . .

فسأله : لم لا تأكل معهم؟

فقال : إني صائم!

فقال سهيل : تسرق وتصوم؟

فقال الرجل : إني أترك بابًا بيني وبين الله لعلي أدخل منه!

وبعدها بعامين التقى سهيل في الحج بزعيم اللصوص وكان قد تاب وترك ما كان عليه!

طبعًا لم آتِ بالقصة لأقول لا بأس بالجمع بين الصيام والسرقة ، أو لأقول ما دمتَ تصلي فلا عليكَ افعلْ ما شئتَ ، أو لأقول ما دام صوت القرآن في قلبك فلا تنسَ حظك من الغناء ، أو لأقول هناك حج ستحجه فترجع كيوم ولدتك أمك ، فلا ضير من بعض الأيمان الكاذبة ، وقليل من الغش في التجارة ، معاذ الله!

القصة برأيي لا يصح الاستشهاد بها إلا في باب واحد وهو : إذا لم تستطع ترك معصية ما ، فزاحمها بالطاعات!

إحدى أساليب الشيطان الخبيثة التي يدخل بها إلى المرء ، إقناعه أن لا جدوى من الطاعات ما دام هناك معاصي ، يريد أن يقنعنا أننا منافقين إذ نفعل طاعة بعد معصية ، ومعصية بعد طاعة! أغلقوا هذا الباب بوجهه ، ما دمتَ تشعر بالسعادة بعد الطاعة ، وبالحزن والانكسار بعد المعصية ، فأنت على خير ، لا تترك طاعة

تفعلها ولو كان عندك ألف معصية ، المحافظة على الطاعة مطلب ، وترك المعاصي كذلك مطلب ، فإذا عجزت عن المطلب الثاني فهذا ليس مبررًا لترك المطلب الأول ، على العكس هذا ما يجعله أكثر إلحاحًا!

الحجاب فريضة ، ولكن إن لم تقدري عليه ، فهذا لا يعني أن لا تُصلي ، صلي وصومي وتصدقي ، وسيأتي الله بقلبك!

الصلاة فريضة ، فإذا قصرتَ فيها ، فضيعتَ بعضها أو كلها ، فهذا لا يعني أن تترك الصيام ، امشِ إلى الله على أية حال كنتَ ، خطوة واحدة بقلب صادق سيهيء اللَه لك بها خطوة أخرى ، وكما يقول الشافعي رحمه الله إذا كنت في الطريق إلى الله فاركض ، فإن تعبتَ فهرول ، فإن تعبتَ فامشِ ، وإن تعبتَ فامشِ ولو حبوًا ولكن إياك والرجوع!

إياك أن يقنعك الشيطان أن الله لا يأبه إلا بالصِّديقين ، ولا يفتح بابه إلا لمن بلغوا من الإيمان عتيًا ، واللهِ إنه ليأبه بكَ على أي حال كنتَ ، ولا يغلق بابه في وجهك ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ، المهم ألا تكابر وتتجبر ، ما دمت منكسرًا خجلاً من نفسك ، تحب الخير ولو لم تفعله ، وتكره الشر ولو فعلته ، فأبشر!

تمسك بطاعتك مهما رأيتها في عينيك صغيرة ، وحاول أن تتغير مهما رأيتَ ذنوبكَ كبيرة ، إن الذي هيأ لك طاعة ، فقد فتح بينك وبينه بابًا فلا تغلق هذا الباب!

الوطن

٤/ ١/ ٢٠١٨

أنا أصنعُ طائرات!

كانت الأم تريزا تزور مصنعًا في الهند ، فلفتَ انتباهها عاملٌ في زاوية من زوايا المصنع ينشد الأهازيج وتعلو محياه علامات السعادة ، فاقتربت منه فإذا هو يجمع البراغي ويضعها في عُلب خاصة شأنه شأن بعض رفاقه بالقرب منه ، فزاد هذا الأمر استغرابها

فسألته : ماذا تفعل؟

فقال : أنا أصنع طائرات!

فقالت له باستغراب : طائرات؟

فقال : أجل سيدتي طائرات ، هذه الطلبية لشركة تصنيع طائرات ، والطائرات العملاقة التي تركبينها لا يمكن أن تطير دون هذه البراغي الصغيرة!

نظرتنا لأنفسنا هي التي تُحدد قيمتنا في الحياة! فرق كبير بين من يرى نفسه جامع البراغي في عُلب وبين من يرى نفسه شريكًا في صنع الطائرة!

فرق كبير بين من لا يرى من وظيفته إلا الأجر الذي يجنيه وبين من يرى الأثر الذي يتركه!

كل عمل مهما كان بسيطًا يترك أثرًا في هذا العالم ، تحتاج فقط أن تنظر إلى هذا الأثر!

أنت لستَ مجرد كناسٍ للطريق أنتَ شخص يُجمّل وجه مدينة!

أنت لستَ مجرد نجار أنتَ إنسان يحمي البيوت من الشمس والريح!

أنت لستَ مجرد خياط أنتَ تهب الناس لمسة أناقة!

أنت لستَ مجرد خطيب على المنبر أنتَ تُعبّد طريق الناس إلى الله!

أنت لستَ مجرد مُدرس صبيان أنتَ صانع رجال!

أنت لستَ مجرد مهندس وصانع جسور أنتَ منشئ الوصل بين الناس!

أنت لستَ مجرد طبيب أنتَ مخفف آلام!

أنتِ لستِ مجرد ربة أسرة أنتَ أهم شخص في العالم ، أنت بأمر اللهِ واهبةَ هذا الكوكب قاطنيه ، أنتِ أول مُربٍّ وأهمُ مُربٍّ فليس هناك صناعة أعظم من صناعة الإنسانَ!

الذي لا يرى من عمله إلا الأجر الذي يتقاضاه فقط هو إنسان أعمى لا يرى!

هناك أثر يجب ألا يغيب عن بالنا ، وهو الذي يجعل العمل رسالة ، ويهب الإنسان قيمته ، وقيمة الإنسان الحقيقية هي بالطريقة التي ينظر بها إلى نفسه لا بالطريقة التي ينظر بها إليه الآخرون ، لا أحد يستطيع إذلالك ما لم تكن أنت تشعر بالإذلال في داخلك فعلاً ، ولا أحد يستطيع رفع قيمتك ، ما لم تكن أنتَ تشعر بقيمة نفسك!

الوطن

٧/ ١/ ٢٠١٨

علِّقْ قلبَكَ بالله!

يُحكى أن ملكًا طلب من أشـهر نجـار في مملكتـه أن يصنع له كرسيًا للمُلْكِ بدل كرسيه القديم ، سُرَّ النجار بهذا الشرف العظيم وباشر من فوره ، ولكن الملك كان متطلبًا جدًا فلم يعجبه هذا العرش الجديد ، فأمر أن يُعدم النجار في الصباح!

طلب النجار أن يقضي ليلته الأخيرة في بيته ، فوافق الملك . . .

لم يستطع النجار تلك الليلة أن ينام ، كيف لا والصبح موعد رقبته مع السياف ، ولكن زوجته قالت له : نم ككل ليلة فالرب واحد والأبواب كثيرة!

وبالفعل نام النجار ، وما استفاق إلا على صراخ الجنود وصوت الخيول في باحة منزله ، فعرف أن الأجل قد حان ، وعندما طُرق الباب ، اتجه ليمضي إلى أجله ، ولكن رئيس الجند قال له : لقد مات الملك ، ونريدك أن تصنع له تابوتًا!

عندها همس النجار قائلاً : فعلاً ، الربُّ واحد والأبواب كثيرة!

قد لا تكون هذه القصة حقيقية ، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الربّ واحد والأبواب كثيرة!

ما منا من أحد إلا وصلت به الأمور مرة إلى طريق مسدودة ، ظنَّ عندها أن لا خلاص وأن حياته صارت بلا طعم ، ولا هدف وإن استمرت ، ثم دارت الأيام فإذا السدود أُزيلت ، والعوائق ذُللت ، ما من سبب يُفسر هذا غير أن هناك رب لم يتركنا حين تركناه وطرقنا أبواب الناس!

ما منا من أحد إلا ورغب في أمر ما بشدة ، وظنّ أن حياته هي هذا الشيء الذي يريده ، ولعله سخط حين أراد الله أمرًا وأراد هو آخر ، ثم دارت الأيام ليكتشف أن الخيرة حقًا كانت فيما اختاره الله لنا ، هكذا نحن البشر لا ندرك إلا متأخرين أن الله أحيانًا يحرمنا ما نريد ليمنحنا ما نحتاج!

إن الله يدبر الأمور بطريقة لا ندرك أبعادها إلا بعد وقت ، نحن قاصرو التفكير ننظر إلى الأمور من جانب واحد ، جانبنا نحن! أما الله فيدبر الأمر كله!

خرج المسلمون لا يريدون إلا قافلة قريش ، وكان هذا في نظرهم يومذاك أقصى ما يمكن أن يلحقوه بقريش من هزيمة ، ولكنهم علموا لاحقًا أنه لولا نجاة القافلة ، لنجا أبو جهل وأمية بن خلف!

لو كان بيد أم موسى ما ألقته في اليم ، ولكن من كان الأمر بيده أراد أن يقول لفرعون ؛ قتلت آلاف الأطفال خوفًا من هذا ، خذه إذًا وربه في بيتك رغمًا عن أنفك! من كان يظن صبيحة ذلك اليوم أن أم موسى لا تلقي ولدها في النهر ، بل تدق مسمارًا في نعش فرعون!

لو كان الأمر بيد يعقوب ما ترك يوسف لحظة ، أراده ابنًا في حجره ، وأراده الله ملكًا على عرش مصر!

هذا التدبير المتقن ، المذهل في الدقة والمواعيد نعرفه اليوم لأننا نعرف ما انتهت إليه تلك الحوادث والقصص ، ولكننا في قصصنا

نحن ، في اختيارات الله لنا ، لأننا لم نشهد الواقعة كلها ، ولم ندرك الحكمة بكامل أبعادها ، يأخذنا الشك لحظة لأننا بشر ، ولكن لنتأدب مع الله ، غابت الحكمة عنا ، فلا يغب عنا أن الذي جمع قريشًا والمسلمين من غير ميعاد ، وألقى موسى في بيت فرعون ليهلكه ، وأخذ يوسف من أبيه ليجعله ملكًا وينجي به أهل مصر لم يغب يومًا عنا ، إنه يدبر أمورنا بالحكمة والرحمة ذاتهما ، صفاته الأزلية الأبدية سبحانه ، رب الخير لا يأتِ إلا بالخير ، فعلقوا قلوبكم بالله!

الوطن
٢٠١٨/١/١١

يا عزيزي: إنها الحياة!

يُحكى أنّ حيَّةً دخلتْ ورشة نجّار في الليل ، وقد اعتاد ذلك النجار أن يترك عُدَّته على الطاولة ، وبينما كانت الحية تتجول في الورشة ، مرَّت من فوق المنشار مما أدى إلى جرحها جرحًا بسيطًا بسبب أسنانه الحادة ، وكردة فعل في طبعها ، قامت الحية بعضّ المنشار محاولة أن تنفث سمها فيه مما أدى إلى جرح في فمها ، عندها اعتقدت الحية أن المنشار يهاجمها ، فلجأت إلى سلاحها الفتّاك الأخير ، فقامت بلفِّ نفسها حول المنشار محاولةً عصره وخنقه ، فتقطعت وماتت!

أغلب الظن أن هذه القصة خرافية ، ولكن القصص كالأمثال بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول أهل اللغة! وكما يحمل المثل في طياته درسًا لا محالة ، فهذه القصة لا تخلو منه أيضًا!

نظرتُ إلى هذه القصة في ساعة تأمل فوجدتها تشبه حالنا مع الحياة! من زاوية ما نحن نشبه الحية ، والورشة تشبه الحياة ، والمنشار يشبه كل ما يخدشنا أثناء سعينا في هذه الحياة!

الأمور السيئة تقع دومًا ، فما دامت الحياة قائمة على هذه الأرض فستبقى الحرائق تندلع ، والرسوب يقع ، والفشل يصيب ، والمرض ينهش ، والموت يخطف ، ونحن لا نستطيع تغيير هذه الأمور غالبًا أو دومًا ، ولكن الذي يختلف من إنسان إلى آخر هي النظرة التي ننظر بها إلى الحياة!

البعض يعرفون أن الحياة يجب أن تستمر برغم ما حدث ، إنهم

يكتفون بالخدش البسيط الذي أحدثه المنشار في جسم الحية ويكملون طريقهم ، والبعض الآخر يقفون ليحاربوا المنشار!

المصاعب والمصائب ، هي جزء من الحياة ، تمامًا كما هي الأخطاء التحكيمية جزء من لعبة كرة القدم ، إن المباراة تستمر على أية حال! لا تتوقف المباراة لأن أحد اللاعبين قرر أن يعتصم في دائرة الوسط احتجاجًا على هذا الخطأ ، أساساً لا يوجد أحد يفعل هذا! وبهذه العقلية علينا أن نكمل الحياة ، أن نتعلم من الخدش البسيط درسًا كي لا يصيبنا خدش أكبر منه! وأن نمضي في طريقنا ونحن نعرف أنه إن لم تصبنا الخدوش فثمة خطأ ما!

البشر الذين يعتقدون أن هذا الكوكب يترصد بهم ، وأن هذه الأرض لا تدور إلا لتوصلهم إلى جروح جديدة حياتهم صعبة ، صعبة جدًا ، لأنهم لم يفهموا الحياة بعد!

عندما تهاجر قطعان الثيران في أفريقيا تتخطفها الأسود من كل جانب ، ويقع بعضها صريع التماسيح في لحظة شرب ، ولكن القطيع يلملم جراحه ، ويتقبل خسارته ، ويصل إلى وجهته نهاية المطاف ، وفي العام القادم سيعيد الكرة رغم أنه يعرف أن بعض الخدوش ستقع ، ولكن على الحياة أن تستمر!

وعندما تهاجر أسماك السلمون تنتظرها الدببة في المياه الضحلة ، فإن نجت من الدببة ، وجدت الصيادين بانتظارها ، ولكن رغم هذه الخدوش يكمل البقية الرحلة ، ويضعون البيوض ، وفي العام التالي سيقومون بالرحلة ذاتها ، لأن على الحياة أن تستمر رغم كل شيء!

الوطن ١٤/ ١/ ٢٠١٨

ثقافة الباذنجان!

يُحكى أن الأمير بشير الشهابي قال لخادمه يوماً : أشتهي أن آكل الباذنجان!

فقال الخادم : بارك الله لك في الباذنجان يا مولاي ، هو سيد المأكولات ، لحم بلا شحم ، وسمك بلا حسك ، يُؤكل مقلياً ، ويُؤكل مشوياً ، وأنا على أمر الأمير!

فقال الأمير : ولكني أكلتُ منه قبل أيام فأوجعتني معدتي منه

فقال الخادم : لعنة الله على الباذنجان ، ثقيل غليظ نفَّاخ!

فقال الأمير : ويحك ، تمدح الشيء وتذمه في وقت واحد!

فقال الخادم : أنا خادم الأمير لا خادم الباذنجان ، إذا قال الأمير نعم قلتُ نعم ، وإذا قال الأمير لا ، قلتُ لا!

وفي سياق متصل ، رمى الخليفة العباسي المتوكل عصفوراً بسهم فلم يصبه ، فقال له أحد مرافقيه : أحسنتَ يا أمير المؤمنين ، فنظر إلَيه المتوكل شزراً ،فقال له على الفور : أحسنتَ إلى العصفور يا مولاي!

وليس بعيداً عما سبق ، وقف عبد الناصر خطيباً في مجلس الشعب أثناء الخلاف الذي نشب بين مصر وسوريا ، وقال لقد أمرتُ الأسطول المصري أن يتحرك إلى هناك! فقاطعه النواب بالتصفيق الحار ، ولما انتهى التصفيق قال : ولكني أمرتُ الأسطول بالعودة حفاظاً على الوحدة العربية ، فعاد التصفيق أكثر منه حرارة! هذه هي ثقافة الباذنجان : أن يتم ،التصفيق للفعل وضده في دقيقة واحدة!

أنا –وأعوذ بالله منها– مع الأدب في كل خطاب ومخاطب، وإذ أسرد هذه القصص فلا لأنتقد الأدب مع الحُكام ولكن لأنتقد التزلف، الأصل في بطانة الحاكم أن تطرح عليه الآراء إذا ما احتاج، وتصدق معه في المشورة إذا ما استشار، وليست لتُسمِعه أنه الملهم الذي لا يخطئ، والفذ الذي ليس له من الرأي إلا ما يصيب!

إن صورة «الحاكم المُؤلَّه» في بلادنا تتحمل جزءاً كبيراً منها البطانة المتزلفة، هؤلاء الباذنجانيون الذين لا يعرفون إلا التطبيل، فيغشون الحاكم قبل أن يغشوا الرعية، كثير من القرارت الخاطئة التي دفعنا ثمنها وما زلنا ما كانت لتكون لو وجد الحاكم من يأخذ على يده، ويحاوره بأدب، ويدله على الصواب برقي أسلوب، وهذا هو الغرض الذي لأجله كانت مجالس النواب والشورى، ولكنهم للأسف لا ينظرون إلى الأمور إلا من منظور مصلحتهم الشخصية، وليتهم يتعاملون مع الأمور على مبدأ اسكت تسلم، ولكنهم يتعاملون معها على مبدأ طبِّل تغنم!

الباذنجاني خبير الاقتصاد يستميتُ لتبرير ضريبة يعرف في قرارة نفسه أنها جائرة، وأن مشكلتنا ليست في قلة الموارد ولكن في سوء الإدارة، ولكنه يقنعك أن الشعب ليس شريكاً في الغُنم وإنما في الغُرم فقط!

والباذنجاني المفتي والفقيه والمجتهد يلوي عنق مئة نص ليخبرك أن قرار الحاكم هو الشريعة بعينها، وهو يعرف في قرارة نفسه أنه كذاب أشر ولكنها ثقافة الباذنجان!

الوطن

٢٠١٨/١/١٧

السر ليس في العين وإنما في النظرة!

أرسل تاجر كبير مساعده إلى دولة نامية ليرى إمكانية إنشاء مصنع للأحذية هناك ، بعد شهر عاد المساعد بتقرير قال فيه :

سيدي : من المستحيل إقامة مصنع أحذية في هذا البلد ، فالسكان بالأساس حُفاة ولا ينتعلون الأحذية ، وفكرة بيع سلعة لا يستخدمها الناس تبدو بالنسبة لي فكرة مجنونة!

ارتأى التاجر أن يرسل مساعده الآخر في المهمة ذاتها ، إلى البلد نفسه ، قبل أن يحزم أمره ، وبعد شهر أيضاً عاد المساعد الثاني بتقرير قال فيه :

إنّ فكرة إقامة مصنع أحذية في هذا البلد تبدو لي فكرة عبقرية ، يمكننا بهذا تحقيق أرباح خيالية فلم يسبقنا إلى هنا أحد والناس يتألمون كونهم حفاة ، ومن المؤكد أن يُقبلوا على شراء إنتاج مصنعنا بكثرة!

لا أبالغ إذ أقول أن هذه القصة تُلخِّص سرّ الحياة بأسرها!

طبعاً إذا ما نظرنا في عمقها ، لا في أحداثها وشخوصها ، الأمر أكبر من مساعدَين أُرسلا في مهمة ، وأبعد من مصنع أحذية وتاجر يريد أن يبدأ تجارة جديدة!

يختلفُ الناس في قضية واحدة اختلافاً بيِّناً ، وهذا الاختلاف دائماً لا يرجع إلى القضية نفسها وإنما إلى النظرة التي ينظر كل فرد من خلالها إلى هذه القضية ، لهذا كونوا على يقين أن مواقف الناس تجاه حدث ما لا تكشف طبيعة هذا الحدث بقدر ما تكشف طباع الناس أنفسهم!

نحن عندما نغيِّر نظرتنا إلى موقف ما ، تتغير مواقفنا تجاهه وقد تنقلب رأساً على عقب ، والشيء بالشيء يُذكر ، منذ أيام كنتُ في المسجد ، وأثناء ركعتي السُّنة وأنا ساجد داس أحدهم على رأسي ، ثم تمتم بكلمات لم أفهمها وابتَعَد ، تضايقتُ كثيراً من الموقف ناهيك عن الألم ولكني أكملتُ ما أنا فيه ، وعندما انتهيتُ عرفتُ أنّ الذي داس على رأسي رجل ضرير فقلتُ : الحمد لله الذي عافني مما ابتلى به كثيراً من خلقه . هكذا خلال ثانية تحول شعور الغضب إلى شعور شفقة ورحمة وما من سبب غير أن النظرة تغيرت!

في الجاهلية رثتْ الخنساء أخاها صخراً ردحاً من الزمن ، وبكته بكاءً مُراً كاد أن يذهب ببصرها ، ولم يكن أحد في جزيرة العرب يعرفها بأشهر من شعر رثائها وبكائها ، حتى أنها حين وفدتْ على النبي ﷺ شاهرة إسلامها ، قال لها : ايه يا خُنيس ، أنشديني من رثائك صخراً! ففي الجاهلية لا يوجد في الموت إلا الموت ، هكذا كان ينظر القوم والخنساء معهم ، ولكن الخنساء بكّاءة الجاهلية فقدت في القادسية أولادها الأربعة ، فسجدت لله شكراً أن قدّمت لله فلذات أكبادها ، إن الموت هو الموت ، والفقد هو الفقد ، ولكن عين الخنساء في الجاهلية ليست هي ذاتها عين الخنساء في الإسلام ، فالإسلام العظيم حين نقل العرب تلك النقلة المذهلة لم يُغير الحياة وإنما غير نظرتهم إليها ، ولما تغيرت نظرتهم إلى الحياة تحولوا من رعاة غنم إلى سادة أمم ، ولهذا عندما وفد ربعي بن عامر على رستم كما ذكر ابن كثير في الجزء السابع من البداية والنهاية ، سأله رستم : ما أخرجكم من دياركم؟ فقال له ربعي : جئنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فعين الجاهلي لم تكن ترى في الحرب إلا سلباً

ونهباً وغنيمة أما عين المسلم فصارت تراها تعبيداً لطريق القرآن إلى قلوب الناس!

خلاصة القول:

أحيانا لتغيير واقع الحياة لا نحتاج أكثر من تغيير النظرة التي ننظر بها إليها!

الوطن

١٨/ ١/ ٢٠١٨

صانعةُ الرِّجال!

طلبَ الملكُ من صائغه أن يصنع له إكليلاً من الذهب ليُتوِّجَ به صاحب أعظم عمل من رعيته . . . وبالفعل شرع الصائغ بما أمره الملك ، وبعد أيام كانَ الإكليل الذهبي بين يدي عالي المقام . . . عندها جاب المنادون الشوارع ينادون على قرع الطبول عن جائزة الملك لأعظم عمل في المملكة وعلى الراغبين في المنافسة المثول أمام جلالته لتقديم أعمالهم في اليوم الفلاني في باحة القصر وعلى مسمع ومشهد من الرعية أيضًا!

وفي اليوم الموعود توافد الشعراء والعلماء والرسامون والحُرفيون كل يدلي بدلوه . . .

جاء رسام وعرض لوحة فنية وخطًا بديعًا ثم عاد وجلس مكانه ، قام رجل يجلس بجانبه يحمل كتبًا علمية وحدَّثَ الملك عن تجاربه واختباراته ، ثم عاد ليجلس مكانه . . .

قام رجل ثالث كان يجلس بجانبه أيضًا وألقى على مسمع الملك قصيدة رائعة ، ثم عاد ليجلس مكانه . . .

انتبه الملكُ لامرأة عجوز تجلس بجانب الثلاثة فحسبها من المشتركين في المسابقة ، فقال لها : ما لديكِ لتقدميه لنا أيتها العجوز الموقرة؟

فقالت له : يا عالي المقام ؛ لا شيء لديَّ أقدمه ، أنا أمُّ هؤلاء الثلاثة الذين كانوا أول الماثلين بين يديك ، وجئتُ أرى من منهم سيفوز بالإكليل الذهبي!

عندها نهض الملك عن كرسيه وقال : لقد انتهت المسابقة ، ضعوا الإكليل الذهبي على رأس صانعة الرجال!

إن أرقى صناعة في الوجود هي صناعة الإنسان ، الدببة تولد دببة ، والأسود تولد أسودًا ، والأسماك تولد أسماكًا ، والطيور تولد طيورًا ، ولكن البشر يولدون مادة خام قابلة لتكون إنسانًا ، وأعظم فنان في الوجود هو الذي يتلقى هذه المادة الخام ويبدع فيها ليهب هذا العالم إنسانًا حقيقياً!

الأب والأم الأثرياء والمثقفون الذين يصنعون إنسانًا حقيقيًا يكونون قد قاموا بعمل عظيم ورائع ، ولكن الأعظم والأروع هم أولئك الفقراء والبسطاء الأميون أو يكادون ، حين يهبون العالم بشرًا حقيقين ، حين يخرج المهندس من بيت عامل النظافة ، ويخرج الطبيب من بيت الخياط ، ويخرج إمام المسجد من بيت النجار ، ويخرج الكاتب ، وأستاذ الجامعة ، وصاحب الشركة ، ووزير الدولة ، من بيت الإسكافي ، والحداد ، وعامل المحطة ، وصاحب البقالة ، فكن على يقين أنه لا أعظم من هؤلاء إلا أولئك الذين صنعوهم ليكونوا ما هم عليه!

إن أحقر إنسان في الوجود هو ذلك الذي وصل لمرتبة عالية سواء في العلم أو في المركز الاجتماعي أو الثراء ويشعر في قرارة نفسه بالحرج والخجل من والديه البسيطين ، بدل الخجل والحرج على هذا أن يشعر بالفخر والزهو والامتنان بوالديه فقد استطاعا تحقيق معجزة من لا شيء!

أما أنتم معاشر الآباء والأمهات البسطاء ارفعوا رؤوسكم عاليًا .

كل جسر أنشأه ابنكما المهندس أنتما أنشأتماه قبله .

وكل مريض عالجه ابنكما الطبيب أنتما عالجتماه قبله .

وكل ولد ربته ابنتكما الصالحة أنتما ربيتماه قبلها .

أنتم أبطال فعلاً ، أبطال حقيقيون وإن لـم تضعوا على رؤوسكم أكاليل الذهب!

الوطن
٢١/ ١/ ٢٠١٨

أنتِ طالق!

روى ابن الجوزي في أخبار الأذكياء قال :

كان عيسى بن موسى يُحبُّ زوجته حبًا شديدًا ، فقال لها يومًا مازحًا : أنتِ طالق بالثلاثة إن لم تكوني أحسن من القمر!

فنهضتْ زوجته واحتجبت عنه وقالت : لقد طلقتني!

فبات ليلته في غمّ عظيم ، فلما أصبح ذهب إلى أبي جعفر المنصور وكان من جلسائه ، وأخبره بالخبر ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : إن تمَّ طلاقها تلفَتْ نفسي غمًا ، وكان الموت أحبُّ إليَّ من الحياة ، وأظهر للمنصور جزعًا شديدًا ، فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم ، فقال جميع من حضر : قد طلقت المرأة!

إلا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة ، فإنه سكت .

فقال له المنصور : ما لك لا تتكلم؟

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ فلا شيء أحسن من الإنسان!

فقال المنصورُ لعيسى بن موسى : قد فرّج الله عنكَ ، والأمر كما قال ، وأقم على زوجتك ، وأرسل إلى الزوجة كتابًا قال فيه : إنكَ في ذمة عيسى بن موسى وما خرجتِ منها قيد أنملة ، فأطيعيه!

لم آتِ بهذه القصة لأحدثكم عن أقوال المذاهب في الطلاق البائن والطلاق الرجعي ، فلستُ صاحب فقه ، وقد استفاض أصحاب المذاهب ومجتهديها في المسألة فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، ثم على جلالة الفقه فليست المقالات الصحفية مجاله ومضماره الذي يجري بها ، ناهيك أني أعجز أن أسابق فيه ، وإنما

الغرض من القصة هي ظاهرة اجتماعية أغلب الظن أن جميعكم يشاهدها عيانًا ، ويراها جهارًا نهارًا لكثرة ما يخوض الناس فيها ، إذ تجري كلمة الطلاق على ألسنة الأزواج جري الماء ، يقحمونها في كل حديث اتسع له السياق أم لم يتسع ، وإننا لنسمع ذلك الزوج «الحمش» يهدد ويرعد : إذا فعلتِ كذا فأنتِ طالق ، وإذا كلمتِ فلانة فأنتِ طالق ، وإذا طبختِ هذه الطبخة فأنَتِ طالق! وصحيح أن رأي الجمهور أن هذا يدخل في باب اليمين وكفارته ، لا في باب الطلاق ، ولكن الصحيح أيضًا أنه استخفاف بهذا الرباط المقدس الذي يربط الزوجين معًا!

ولو كانت الأمور تنتهي إلى هنا فالأمر يسير ، ولكن الناس أوغلوا في هذا إيغالاً مستقذرًا يجب الانتباه له والإقلاع عنه ، في المطعم يتسابق الأصدقاء من يدفع الحساب ، وهذا أمر جميل ، ولكن ما هو قبيح أن يقول أحدهم : عليّ الطلاق لا أحد غيري يدفع! وأنا ومعي أغلب سكان الكوكب لا نعرف ما علاقة الزوجة بهذا الكرم الحاتمي!

وإذا جلس الرجال يلعبون «ورق اللعب/الشدة» فحدّث ولا حرج ، عليّ الطلاق لم ألعب هذه الورقة ، وعليّ الطلاق لعبتَ أنتَ هذه الورقة!

يا أخي بارك الله لكم في الفضاوة وفي الوقت الذي تجدونه لهذا ، ولكن إن اللواتي معكم على الطاولة هُنّ «بنات الديناري والبستوني» لا زوجاتكم ، العبوا بالبنات اللواتي بين أيديكم واتركوا البنات المستورات في بيوتهن .

طبعًا أنا لا أفتي في وقوع الطلاق في هذه الحالات ، لستُ من أهل الفتوى إطلاقًا كما أسلفتُ رحمني الله! ولكن الذي أقوله أن هذا استخفاف بالعلاقة الزوجية وإن كان من غير قصد ، وحط من قيمة المرأة وإن كان من غير نية ، وإن الألسنة بالتعود ، فتعودوا أن تتركوا الزوجات وشؤونهن!

الوطن
٢٠١٨/١/٢٣

ليس بالحُبِّ فقط!

روى ابن الجوزيّ أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب وقال له : يا أمير المؤمنين إني أُريد أن أطلق زوجتي

فقال له عمر : ولِمَ؟

فقال : لأني لا أحبها

فقال له عمر : أوكلُّ البيوت بُنيتْ على الحُبِّ فأين المروءة والذّمة؟!

وقد قرأتُ في غير كتاب وأنا أقرأ قبلِ الشروع بكتابة روايتيٍ «عندما التقيتُ عمر بن الخطاب» أن رجلاً استحلفَ زوجته قائلاً : سألتك بالله أتحبينني؟

فقالت : أَما وقد استحلفتني فإني لا أحبك

فجاء إلى عمر بن الخطاب شاكياً ، فأرسل في طلب زوجته ، فجاءت ، فقال لها : أنتِ التي تُحدثين زوجكِ أنك تُبغضينه؟

فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد استحلفَني ، أَفأكذبُ؟!

فقال لها : نعم اكذبي ، فإن كانت إحداكن لا تحب زوجها فلا تحدثه بذلك ، فإنَّ أقل البيوت التي تُبنى على الحُب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام وبالإحسان!

هاتان القصتان لا يُستشهد بهما في سياق التقليل من أهمية الحُبِّ بين الزوجين ، أساساً هذا السياق يجب أن لا يكون أبداً ، فلا ينكر عاقل أنّ الحُبّ أوثق رابط بين اثنين قررا أن يمشيا رحلة العمر معاً ، وإنما يُستشهد بهما إذا وقع الفأس في الرأس وتنادى الناس إلى الفراق لأنه لا حُب!

ليس بالحُبِّ فقط تقوم البيوت وتستمر الزيجات ، ولو أن كل زوج أراد طلاق زوجته لأنه لم يجد في قلبه تجاه زوجته ما كان يجد قيس بن الملوح تجاه ليلى العامرية ، لم يبقَ في قرية بيوت قائمة أكثر مما يوجد من أصابع في اليد الواحدة! ولو أنّ كل زوجة أرادت فراق زوجها لأنها لم تجد في قلبها تجاهه ما كانت تجد عزَّة تجاه كُثيِّر لم يبقَ في مدينة بيوت قائمة أكثر من عدد اللاعبين في مباراة لكرة القدم! ولكن البيوت قائمة والحياة مستمرة ، لأن ثمة أشياء كثيرة غير القلوب يجب أن تبقى البيوت قائمة لأجلها!

لم يكن عبثاً أن يبيح الإسلام أن يكذب كل من الزوجين على الآخر في تلك الأمور التي تتعلق بحفظ الود ، وتطييب الخواطر! فهذا الإسلام العظيم يعرف أن إخبار الزوج لزوجته أنها ليست جميلة فجاجة وليست صدقاً وإن كان ما يقوله حقاً ، ويعرف أن مقارنة الزوجة زوجها مع الآخرين للتقليل من شأنه سوء خلق وليس تقوى وإن كان ما تقوله حقاً!

إذا تتوج الزواج بالحُبِّ فبه ونِعمَ! وإن غاب العشق والهيام فليس بالضرورة أن يغيب الاحترام ، وتنعدم الأخلاق ، وتدور في البيت رحى حرب! الحياة ليست مسلسلاً تركياً تُضاء فيه الشموع كل ليلة ، وليست رواية غرامية إن لم يُجن العشاق ببعضهما ستصبح رتيبة ومملة! الحياة هي الحياة ، واقعية تشبه السياسة حيث هي فنّ الممكن! ثم لا أعتقد أن أحداً منكم لا يعرف قصة زواج بدأت كقصة مصغرة عن روميو وجولييت ثم انتهت بفاجعة كداحس والغبراء! هذا لأنه ليس بالحب فقط تقوم البيوت!

خلاصة القول:

لا أجمل من بيت كان الحُب سقفه ، والعشق جدرانه ، والمودة أثاثه ، فإن الحُب من أجمل الرزق ، وها هو سيد الرجال يقول عن أمنا خديجة «تلك امرأة رُزقت حبها»! وذكر الحُب رغم أنها كانت من أثرى نساء قريش! ولكن في المقابل غياب الحُب لا يبرر غياب الاحترام ، وفقر المودة لا يعني أن الحياة انتهت ، ثمة طرق في الحياة تختارنا ولا نختارها ، وعلينا أن نمشيها حتى آخرها بغض النظر عن الحفر والعثرات والمطبات ، فأحيانا التعايش مع مشكلة ما هو الحل الوحيد لها!

الوطن
٢٠١٨/١/٢٥

لا تقطعْ حِبال الوُدِّ!

كان بين الحسن البصري وبين محمد بن سيرين شيء من الجفاء، وكان إذا ذُكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة! وقصده أن أغلب أهل ابن سيرين يعملون في حياكة الثياب!

ثم إن الحسن رأى في منامه كأنه عريان، وهو قائم على مزبلة يضرب بالعود!

فأصبح مهمومًا من رؤياه هذه، فأرسل أحد أصحابه إلى ابن سيرين ليقص عليه الرؤيا على أنها رؤياه، ولكن ابن سيرين كان أذكى من أن تنطلي عليه المسألة، فقال لمن جاءه: قل لصاحب الرؤيا لا تسأل عنها ابن الحاكة!

ولما وصل الخبر إلى الحسن مضى إلى ابن سيرين في مجلسه، فلما رآه ابن سيرين قام إليه فتعانقا، ثم جلسا فتعاتبا، ثم قال له الحسن، دعكَ من هذا يا أبا بكر، حدثني عن الرؤيا فقد شغلتْ قلبي!

فقال له ابن سيرين: لا تشغل قلبك، فإن العري عري من الدنيا فلستَ من طلابها، وأما المزبلة فهي الدنيا وأنتَ تراها على حقيقتها، وأما العود فإنها الحكمة تُحدث بها الناس!

فقال الحسن: فكيفَ عرفتَ أني صاحب الرؤيا؟

فقال ابن سيرين: لا أعرف أصلح منك أن يكون رآها!

التنافس بين الأقران لا يكاد ينجو منه أحد، وإلا لنجا منه الحسن وابن سيرين! فالرجلان على تقواهما وصلاحهما كان بينهما شيء من الجفاء، ولكن شأن النبلاء إذا هم تنافسوا ألا ينسى بعضهم حسنات بعض، ولا يجحد ميزاته، وما أرسل الحسن رسولاً

إلى ابن سيرين لتعبير رؤياه إلا لأنه يعرف علمه وبراعته في هذا المجال ، وما علم ابن سيرين أن الحسن صاحب الرؤيا إلا لأنه يعرف تقوى الحسن وصلاح دينه ، فإياك إن حصل التنافس أن تقتدي بإبليس يوم قال : «أنا خير منه» بل أقتدِ بموسى عليه السلام يوم قال : ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا﴾!

وإن شأن النبلاء كذلك أن يغتنموا أقل حدث لتسوية الأمور ، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، وما أنبل الحسن إذ يُراجع نفسه ، ويذهب إلى ابن سيرين في مجلسه ، وما أنبل ابن سيرين إذ يقوم إلى الحسن فيعتنقه!

لا تأخذك العزة بالإثم ، اغتنم الفرص وبادر ، فأحيانًا تمضي سنوات من الجفاء لأننا فوتنا فرصة كان بالإمكان أن نُصلح من خلالها الأمور ، وإن سبقكَ غيرك بالمبادرة فلا تكن شرَّ الرجلين ، ومن مشى تجاهك خطوة امشِ تجاهه خطوتين ، الكرامات ليس هذا موضعها ، هذا موضع «والله يحب المحسنين» وموضع «وأصلحوا ذات بينكم» وموضع «من تواضع لله رفعه» وموضع «من ذلّ لله عزَّ»!

نحن نهاية المطاف بشر ، فينا نزوات وطباع إنسانية لا نستطيع أن نخرج منها ، ولكن الحل لم يكن يومًا أن نستسلم لها لأنها كامنة فينا ، وإنما الحل في أن نسيطر عليها بدل أن تسيطر علينا ، ونقودها بدل أن تقودنا ، فإن النفس البشرية فرس جامحة ، فهنيئًا لمن روّض نفسه!

الوطن

٢٠١٨/١/٣٠

الأكفانُ ليس لها جيُوب!

تُوفِّيَ البارحة «اينغفار كامبراد» وترك وراءه ثروةً تُقدَّرُ بستين مليار دولار! وكامبراد لمن لا يعرفه ، هو سويديٌّ الجنسية ، مؤسس ومالك شركة إيكيا للأثاث ، كان يعيش حياةً بسيطة جداً ، يعيشُ في بيت صغير ، ويلبسُ ثياباً مستعملة ، ويسافر على الدرجة الاقتصادية ، ويستقل المواصلات العامة ، وينزل في فنادق رخيصة ، ويقود ذات السيارة لمدة عشرين عاماً ، ويكتب على وجه الورقة وخلفها! ونهاية المطاف ذهبَ ولم يأخذ معه شيئاً تماماً كما سنفعلُ جميعاً!

وعلى ما يبدو أنَّ العِبر كالمصائب «لا تأتي فُرادى» كما تقول العرب! فبعد قراءتي لخبر موت كامبراد ، قرأتُ أن «فيكتور فالديز» الحارس السابق لبرشلونة خسر كلّ ثروته التي استثمرها في التجارة ، وأعلن إفلاسه . . . فما كان من نادي برشلونة الذي لا أُحبُّه إلا أن وقف موقفاً نبيلاً مع حارسه السّابق ، وضمّه إلى مدربي الحراس في النادي رغم عدم الحاجة إلى مدرب إضافيّ . . . والنُّبل تُرفع له القبعة ولو جاء من عدو!

وما أكثر العِبر وأقل المعتبرين!

كامبراد ذهبَ من الدنيا خالي الوفاض . . . هذه هي الحقيقة التي نعرفها جميعاً ونتجاهلها ، والتي أراد السلطان سليمان القانوني ، أحد أعظم السلاطين في التاريخ أن يقولها لنا يوم أوصى وهو على فراش الموت قائلاً : إذا أنا متُّ فأخرِجوا يديَّ من التابوت ليعلم النّاسُ أنه حتى السلطان خرجَ منها فارغَ اليدين!

ولكي لا يقول قائل : أعيشُ غنياً وما بعدي الطوفان . . . جاء خبر إفلاس فالديز ليخبرنا أنَّ الطوفان قد لا ينتظر موت أحدنا ، فقد يأتي ويجرفنا ونحن على قيد الحياة ، فهذه الدنيا غير مأمونة!

المال ليس لوثة ، والغنى ليس سُبّة ، على العكس تماماً «نِعم المال الحلال في يد العبد الصالح» ، والإسلام الذي احتمى يوماً بسيف خالد ، ولاذ بقصائد حسّان ، وشدّ أزره بعقل عليّ ، أعتق عبيده أبو بكر ، وجهز جيش عسرته أثرياء الصحابة ، وما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم!

كسب المال مطلب حياتيّ ، وأداء الزكاة فريضة ، والصدقة قربى ، والجهاد محرقة المال ، ومن جهّز غازياً فقد غزا ، ومن خلفَ غازيا في أهله فقد غزا كما قال سيدنا! ولكن علينا ونحن نجمعه أن ندرك أنه وسيلة الحياة وليس غايتها ، وأن قيمة الإنسان بما في قلبه لا بما في جيبه ، وأن كل ما جمعناه وسنجمعه سنتركه خلفنا ونمضي ، ولن يبقى منه شيء لنا إلا ما أرسلناه للآخرة ونحن على قيد الحياة!

لو كان الغنى يرفع الناس ما خُسف بقارون ، وما ذاق النمرود طعم النِعال وهي تجلجل رأسه ، ولو كان الفقر يحط من قيمة الناس ما كان محمد ﷺ أفقرهم ، ولكنه على فقره كان أشرف الناس ، وأجمل الناس ، وأكرم الناس ، وأتقى الناس ، وسيد الناس! فاجمعوا منه من حلال ما استطعتم ، اسعَدوا به ، وأَسعِدوا من حولكم ، تهادوا تحابوا ، سافروا تروّحوا عن أنفسكم ، اشتروا السيارات الفارهة تسعدوا ، والأثاث الفاخر تستريحوا ، ليس في هذا منقصة ولا مذمة ، ولكن تذكروا ليس للأكفان جيوب!

الوطن ٢٠١٨/٢/١

لا يربح إلا الأعداء!

روى ابن قتيبة في رائعته عيون الأخبار المؤلفة من أربعة أجزاء قال :

لما اشتغل الخليفة عبد الملك بن مروان بمحاربة عبد الله بن الزبير ، اجتمع وجوه الروم وكبراؤهم إلى إمبراطورهم وقالوا له : لقد انشغل العرب بقتال بعضهم بعضًا وهذه فرصة سانحة لنا ، والرأي أن نهاجمهم

فقال : إياكم أن تفعلوا!

ذُهِل كبار القوم من ردّ الإمبراطور ، واستفسروا عن سبب ما قال .

فدعا بكلبين وحرّض بينهما فاقتتلا قتالاً شديدًا ، وبينما هما في غمرة القتال هذا يعضُّ ذاك ، وذاك ينهش هذا ، دعا بثعلب وزجّه بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلب أوقفا القتال وهجما عليه حتى قتلاه!

عندها قال الإمبراطور : هذا مثلنا ومثلهم ، فإن هاجمناهم اجتمعوا علينا ، وإن تركناهم أفنى بعضهم بعضًا!

الرسالة من القصة واضحة ، والمغزى جليّ ، والعبرة بيّنة ، لو اكتفيتُ بها ولم أزد على هذا حرفًا لكفى ، ولكن لا بأس أن أقول أن التاريخ يعيد نفسه ، أو لماذا نظلم التاريخ ، نحن الذين لا نعتبر من دروسه ، ونعيد الكَرَّة كل مرة رغم أننا نعرف النتائج مسبقًا!

في نزاع الإخوة لا يربح أحد ، هزيمته هزيمتكَ ، ولو كنت أنتَ من ألحق به الهزيمة ، ونصره نصركَ ولو انتصر وحده ، الضعيف قويّ بإخوانه ، والفقير غنيّ بإخوانه!

العرب في جاهليتهم كانوا على هامش الحضارة والتأثير والتقدم لأنهم كانوا قبائل متناحرة، بأسهم بينهم شديد، يُشهرون سيوفهم لأجل الكلأ والماء واللقمة ولا مبدأ، ولا رسالة، أو يشهرونها ليخوضوا حرب الآخرين بالوكالة، عرب الشام كانوا سيوف هرقل، وعرب اليمن كانوا سيوف كسرى، وما سدنا البشرية، وحملنا لواء التقدم والحضارة والإنسانية إلا يوم أغمدنا سيوفنا فيما بيننا بأمر الإسلام العظيم، وأشهرناها في وجوه أعدائنا، وكنا يدًا واحدة وقلبًا واحدًا، عندها فقط تداعت الإمبراطوريات العظيمة أمامنا، وصار الخادم هو السيد، والسيد هو الضعيف المنقاد!

ما توقفت الفتوحات يومًا إلا بسبب صراع داخلي، وما سقطت لنا دولة إلا لأنها كانت هشة، نهشها سوس خلافاتنا قبل أن تنهشها سيوف أعدائنا! الأندلس لم يُسقطها الأسبان وإنما أسقطها ملوك الطوائف وأمراء المدن المتناحرة، الإسبان أطلقوا عليها رصاصة الرحمة فقط، ولم يُسقط هولاكو بغداد، بغداد سقطت قبل هذا بكثير، أسقطناها نحن بنزاعاتنا وحروبنا الداخلية، هولاكو جاء فوجدها مهيأة للاحتلال فاحتلها!

من يكرر حوادث التاريخ الفاشلة سيتجرع النتائج ذاتها، ونحن اليوم ضعفاء لا لأن أعداءنا أقوياء، وإنما لأننا أمة مشرذمة وقبائل متناحرة، فهل من معتبر!

الوطن

٢٠١٨/٢/٤

ابن الكتب!

يقول محمد المقدم في كتابه علو الهمّة :
طلب رجل من زوجته الحامل ذات يوم أن تأتيه بكتاب من المكتبة ، فأجاءها المخاض فيها ، فولدتْ بين الكُتب ، فلقّب الناس ابنها بِـ «ابن الكتب» . وابن الكتب هذا لم يكن غير جلال الدين السيوطي ، أحد أشهر العلماء المسلمين على مرّ العصور ، ترك في الدنيا قبل مغادرتها زهاء ستمئة كتاب!

من الواضح أنّ السيوطي نشأ في بيت يعجّ بالكتب ، أبوه يقرأ وأمه تعرف أن تميز الكتاب من غيره على أقل تقدير ، ولا شك أن هذا البيت له الفضل بعد فضل الله فيما صار عليه لاحقًا!

طبعًا نشوء الأطفال في بيوت تقرأ وتتثقف لا يعطيهم حتمية أن يكونوا قارئين ومثقفين ، فقد يخرج الجهلة من بيوت المتعلمين ، وقد يخرج العلماء من بيوت الأميين ، وابن شيخ الدعاة نوح عليه السلام غرق بالطوفان ، وامرأة لوطٍ عليه السلام كانت على الكفر ، وفي المقابل خرج خليل الله إبراهيم عليه السلام من صلب المشرك آزر ، على أحد القولين أنه لم يكن عمه ، وكانت آسيا بنت مزاحم إحدى أشهر المؤمنات في التاريخ زوجة الرجل الذي كان يصيح ملء حنجرته قائلاً : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ إن لله في خلقه شؤونًا ، ﴿يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي﴾!
ولكن هذه الأمثلة التي سقتها إليكم هي أمثلة شذّت عن القاعدة ، وأما القاعدة العامة فتقول : ﴿الطيبون للطيبات﴾ ، وعليها

قِسْ ، فإن الأولاد نتاج البيئة التي يعيشون فيها ، والبيوت التي يكبرون في كنفها ، وقلما يحبب الأبوان أولادهما بالقراءة والثقافة ، ولا يكون أولادهما بعد ذلك قارئين ومثقفين ، وحين نذكر ابن نوح الذي غرق ، فإن العدالة أن نذكر أن ثلاثة آخرين من أبنائه قد ركبوا السفينة!

الأولاد – ذكرانًا وإناثًا طبعًا – كالأرض الزراعية ، لا تطرحُ من المحصول إلا ما زُرع فيها ، فالذي يزرع الشعير لا يحصد القمح! والقراءة والثقافة فعل زراعة! وعملية تحبيب وتعويد ما تلبث أن تصير في الأولاد ملَكة وطبعًا!

إن أرقى صناعة هي صناعة الإنسان ، وأجمل استثمار هو استثمار العقول ، وهذه مهمة الوالدين بعد توفيق الله . . . الكتب أثاث فاخر ، وشخصيًا لا يجذبني شيء في البيوت كما تجذبني مكتبة ، على أن الكتب ليست أثاثًا للزينة ، ولا غرضًا للتباهي ، فقيمة الكتب الحقيقية ليست بوجودها على رفوف المكتبة في البيت ، وإنما بوجودها في عقول أهل البيت ، لهذا إن اقتناء الكتب هي نصف مهمة الوالدين ، ولكنها النصف اليسير والسهل ، أما النصف العسير والصعب فهو تعويد الأولاد على القراءة ، ومناقشتهم بالذي قرأوه ، وإرشادهم في اختيار الكتب بما يُناسب أعمارهم ومستواهم العلمي وقدرتهم على الاستيعاب ، إن أولادنا هم أولادنا هذا شأن القدر ، أما جعلهم أبناء الكتب فهذا شأننا نحن!

الوطن ٢٠١٨/٢/٦

لا وجود للأغبياء!

يُحكى أنه في قرية صغيرة نائية ، وصلتْ رسالةٌ من وزارة التعليم إلى إدارة المدرسة أنّ مفتشًا من الوزارة سيأتي لزيارتها ، وفي اليوم الموعود انطلقَ المفتشُ بسيارته ولمّا صار عند أول القرية تعطلتْ سيارته ، رفع غطاء المحرك ووقف عاجزًا لا يعرف أين العطل فضلاً أن يستطيع إصلاحه لو عرفه . .

وبينما هو على هذه الحال مرَّ به طفل صغير في العاشرة من عمره وعرض عليه المساعدة .

قال له المفتش : وما أدراكَ أنتَ بأعطال السيارات!

فردّ الطفلُ : أبي ميكانيكي وأنا أساعده أحيانًا ، قد أستطيع إصلاحها!

خلّى المفتشُ بين السيارة والصبي ، وما مضتْ عشر دقائق إلا والصبي يقول للمفتش : سيدي أدِرْ سيارتك

وكم كانت دهشة المفتش عظيمة حين اشتغلت السيارة

شكر المفتش الصبي ثم سأله : لماذا أنتَ لستَ في المدرسة؟

فقال الصبي : اليوم سيزور مدرستنا مفتش من الوزارة وقد أمر مدير المدرسة كل الطلاب الأغبياء بعدم الحضور!

البشر يتفاوتون في قدراتهم الذهنية والعقلية ، هذه حقيقة لا سبيل لإنكارها ، فالعقول كالمال ؛ أرزاق!

وابن سينا معجزة الطب البشري على مرّ العصور كان عبقريًا في الكيمياء أيضًا .

والخوارزمي كان ضليعًا في علوم أخرى غير الرياضيات .
ودافنشي صاحب الموناليزا راسخ في أشياء كثيرة غير الرسم .
وعباس بن فرناس قدّم للبشرية أكثر من فكرة الطيران .
ونيوتن كشف عن أشياء كثيرة غير قانون الجاذبية .
والخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض كان أستاذ سيبويه في النحو أيضًا!
وبعض الناس لا ينبغ إلا في علم واحد لا يكاد يعرف شيئًا في علم غيره ، فلا يقلل هذا من قيمة نبوغه ، والبعض ليس له في العلوم ناقة ولا جمل!
وإحدى مشاكل البشرية المستعصية أنهم يقيسون النبوغ بالعلامات المدرسية! وهذا أحد أتفه المعتقدات البشرية على الإطلاق ، فأحيانًا تكون المدارس مجرمة بحق طلابها وليس أدلّ على هذا من قصة أديسون الذي فصلته المدرسة بسبب غبائه!

الذكاءات متنوعة ، هذا ما نعرفه جميعًا ولكننا ننكره!
المتنبي لم يكن يعرف في الفيزياء أكثر مما يعرفه طالب عادي!
وميسي يركن الكرة في الشبكة دون أن يحسب وزنها وسرعة الريح!
وبيتهوفن كان يعزف الموسيقى وهو أصم لا يسمع! وبشار بن برد كان يصف الأشياء كأنه يرى!
مايكل شوماخر يكره الرياضيات ولكنه كان يصل أولاً!
بوكوفسكي كان ينام في حصة الأحياء ولكنه كان يكتب بمهارة!
وشارلي شابلن أضحك الملايين دون أن ينطق بكلمة واحدة!

إن فشل إنسان في الدراسة الأكاديمية لا يعني أنه غبي ، هذا يعني أن هذا المجال ليس مجاله ، وأن له سباقًا آخر في الحياة إن لم نكتشفه فيه ونحضه عليه ونيسر له الطريق ليمشي فيه هو عجزنا نحن وليس عجزه هو ، وفي هذا يقول ألبرت آينشتاين :

كل إنسان هو عبقري بشكل أو بآخر ، المشكلة أننا نحكم على الجميع من خلال مقياس واحد ، فمثلاً لو قيّمنا سمكة من خلال مهارتها في تسلق الشجرة ، ستمضي السمكة بقية حياتها معتقدة أنها غبية!

الوطن
٢٠١٨/٢/٨

أنا آسف!

قرأتُ البارحة معلومة تقول أنّ الكنديين هم أكثر شعوب الأرض استخداماً لكلمة أنا آسف! وهم يستخدمونها من باب اللباقة وتطييب خاطر الشخص المقابل وليس بالضرورة للاعتراف بالخطأ! بل إنهم في العام ٢٠٠٩ أقروا قانوناً يُدعى (Apology Act قانون الاعتذار) ، وينصُّ القانون على أنّ اعتذار طرف للطرف الآخر عند وقوع حادث لا يمكن استخدامه ضده في المحكمة كدليل على إقراره بالذنب ، حيث أن الكثير من الكنديين يعتذرون كسلوك مهذب وليس لأنهم مخطئون! والشيء بالشيء يُذكر أنّ أكثر ما يستند عليه المحامون في أمريكا كدليل إدانة هو اعتذار المُدّعى عليه خصوصاً في حوادث الطرق!

الغاية من هذه المقدمة ليست مدح الكنديين ولا ذم الأمريكيين ، بقدر ما هو إناخة مطايا الكلام عند باب ثقافة الاعتذار! وهي للأسف ثقافة ليست متجذرة فينا وإن كان فينا الكثير من الأخلاق النبيلة التي يفتقر إليها الكثير من شعوب الأرض ، والسبب برأيي أن الإنسان العربي فيه من الكبرياء الشيء الكثير وهو خُلق محمود في مجاله مذموم في غيره!

كثيرٌ من الأرحام والصداقات والزيجات قُطعت بسبب عزة نفس ليست في موضعها ، ولو مشى كل واحد منا خطوة تجاه الآخر لما كانت القطيعة ولكننا نقف قبالة بعض كالجبال تفصل بيننا أودية بسيطة ولكننا نتسمَّر أماكننا! وكلما زاد الانتظار تضاعف الجفاء!

عندما يعتذرُ إليك إنسان فليس بالضرورة أنه مخطئ وأنك على حق ، ربما أراد أن يقول لكَ أن علاقتكما أهم من كبريائه!

أنا آسف تعني أحياناً أنني أريد الاحتفاظ بك بغض النظر عن أي شيء ، فلا تأخذك عزة النفس أبعد مما ينبغي ، رمِ كبرياءه على الفور ، هؤلاء البشر لا يمكن العثور عليهم كل يوم!

عندما تتصدَّعُ المنازل لا نهدمها ما دام هناك فرصة لترميمها ، والعلاقات البشرية كذلك ، وقد قالت العرب : الحُرُّ من راعى وداد لحظة ، وأكثر بيت شعر أحبه قول بشار :

ومن ذا الذي تُرجى سجاياه كلها
كفى المرءُ نُبلاً أن تُعد معايبه

نحن نصبر على وظائفنا على ما فيها من مشقة ، ونصبر على أوطاننا رغم كل ما نلقى ، فلماذا لا نصبر على الذين أحببناهم وأحبونا ، هذا طبعاً في حالة أننا أصحاب الحقّ ، أما أمُّ المصائب أن نكون على خطأ ، ونمشي في طريق العناد ألف خطوة كان يكفينا مؤونتها كلمة اعتذار! إن الذي يعتذر لا ينحدر وإنما يتسامق ، فتباً للكبرياء!

الوطن
٢٠١٨/٢/١١

إنهم لا يشبهون كتاباتهم!

في العام ٢٠٠٩ ألقى «فيلكس ناتيستا» في المكسيك محاضرة قيمة بعنوان: «كيف تتجنب الاختطاف في المكسيك»!

استفاد كثيرون من هذه المحاضرة في ذلك اليوم باستثناء «ناتيستا» نفسه! فقد تم اختطافه!

على كل حال فإن فساد التطبيق لا يعني بالضرورة فساد النظرية، وأمرُ الله من سَعة!

وفي العام ١٥٧٤، ألَّفَ «روي دي سيغورا» أحد أهم الكتب في لعبة الشطرنج... وقال في أحد فصوله: «حين تجلس لتلعب في النهار اجعل الشمس في ظهرك أنتَ وفي وجه خصمك، فهكذا يفقد شيئاً من تركيزه، وحين تجلس لتلعب في الليل اجعل مصدر الضوء على يمين خصمك لأن اليد اليمنى التي تتحرك فوق الرقعة تشكل ظلاً وهكذا لن يرى جيداً كل الجنود في المعركة»!

المهم وبلا طول سيرة في العام التالي وبحضور ملك إسبانيا جرى نزال بين «دي سيغورا» صاحب الكتاب مع «ليوناردو دي كوتري»... أجلسَ «دي سيغورا» خصمه قبالة الشمس التي لم تُفقد الخصم شيئاً من تركيزه، وهُزم صاحب الكتاب والنّظرية لتتأكد حقيقة أن أولئك الذين يُنظرون للانتصارات قد يتجرعون الهزائم!

من خلال معرفتي الشخصية بعدد لا بأس به من الكُتاب، أو معرفتي القرائية بحياة كثير من المؤلفين، اكتشفتُ أن الكثيرين لا يُشبهون كتاباتهم!

صدقوني إن الذي يكتب كثيراً عن الحُبّ ليس بالضرورة قيس بن الملوح في حياته اليومية ، قد يكون الأمر مجرد لون أدبي يروق له ويجد نفسه به!

وإن الذي تجده فب كتاباته لاذعاً ناقداً لمجتمعه وساخراً منه قد يكون إنساناً محباً للناس وللمجتمع ، والفرق في كلا الحالتين أن أحدهما يكتب ما يحب الناس أن يكتبه والآخر يكتب ما يجب على الناس أن يقرأوه!

عندما نام عمر بن أبي ربيعة على فراش الموت ، أخذ يدعو الله بالمغفرة ، فقيل له : أبعد كل ما كان منك؟! فأمسكَ إزاره وقال : واللهِ ما فككته يوماً على حرام!

وفي سياق متصل يقول الجاحظ : الفرزدق زير نساء وليس له في هذا بيت شعر ، وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو من أغزل الناس شعراً!

ما أريدُ قوله أن الناس لا يشبهون بالضرورة كتاباتهم ، مع أنّ هذا شيء ممكن الحدوث ، أو هو الأصل برأيي ، ولكن لا ترسموا صورة حتمية لأي كاتب من خلال كتاباته ، ولا يفوتني أن أنوه إلى أن الكاتب الذي لا يشبه كتاباته ليس بالضرورة أن كتاباته خاطئة ، قد يؤلف أحدهم كتاباً في أسرار السعادة الزوجية بينما يعيشُ جحيماً زوجياً ولكن «رُبّ مبلغ أوعى من سامع» كما قال سيد الناس! الأمر أشبه بطبيب القلب الذي ينصحك بترك التدخين وهو ينفثُ دخان سيجارته في وجهك!

الوطن ٢٠١٨/٢/١٣

لصوص الكُتب!

في إيرلندا يوجد مكتبة فريدة من نوعها ، اسمها مكتبة «مارشال» تحوي كتباً قديمة ونادرة ، وبعض الكتب هناك لا يوجد في العالم منها إلا نسخة واحدة هي تلك التي بحوزتهم ، المهم أنه لا يمكن لأحد من القُرّاء استعارة أي كتاب ولا استئجاره حتى ليقرأه في البيت ، وإنما تتم قراءة الكتب في المكتبة فقط ، حيث يقومون بإدخال القارئ إلى غرفة ويقفلون عليه ، وعندما ينتهي يناولهم الكتاب من فتحة صغيرة في الباب ، فيفحصونه ، فإذا وجدوه سليماً معافى ، يفتحون له الباب ، ويحصل على إفراج!

في حالة مكتبة مارشال أتفهم هذه الإجراءات المشددة كون الكتب نادرة ، ولكن ما لا أفهمه هو هذا السر الذي يدفع الناس للاحتفاظ بالكتب التي استعاروها بعد الانتهاء من قراءتها ، وهذا شيء نفعله جميعنا على ما أعتقد ، فما زلتُ أحتفظ بكتاب استعرته من صديقي منذ ثلاث سنوات! وكذلك ما زلتُ أنتظر عودة كتبي التي أعرتها منذ سنوات أيضاً! ولو سألني أحدهم : لِمَ لمْ تُعِدْ الكتاب؟ فإني لا أملكُ جواباً منطقياً رغم أني قرأته وليس بخاطري العودة إليه مرة أخرى ، والأدهى من ذلك أنني وجدته في كثير من المعارض التي زرتها فلا أنا اشتريته لأحتفظ به ، ولا أنا أعدت المستعار إلى صاحبه ، ويشهد الله أني لا أحب استعارة الأشياء ولو كانت إبرة ، ولو فعلتُ فلا أطيق صبراً حتى إرجاعها ولكن لا أدري ما الذي حدث لي مع هذا الكتاب الذي أفكر جدياً بإعادته!

المسألة تبدو لي أنها وباء ثقافي أكثر منها جرم سرقة ، فأنا أؤمن بمقولة أن اللصوص لا يقرأون ، وأن القراء لا يسرقون! وتشجيعاً على استفحال هذا الوباء يقول الجميل عبد الرحمن منيف : أحمق من يعير كتاباً وأحمق منه من يرده! وقرأتُ منذ سنوات مقابلة صحفية مع محمد القشعمي قال فيها أنه استعار كتاب «دراسات في المجتمع العربي» من مكتبة وزارة العمل السعودية منذ أربعين عاماً ولم يرده حتى اللحظة!

وفي سياق متصل ، فإن لفولتير الأديب الفرنسي قولاً طريفاً في المسألة يقول فيه : لا تعر كتبك فإنه لم يتبقَ في مكتبتي إلا الكتب التي استعرتها!

لا أريد أن أقول لكم لا تعيروا كتبكم فشخصياً لن أرد طالب كتاب ولو كنتُ أعلم أنه لن يرجعه ، ولكنني أريد أن أقول : أرجعوا الكتب التي تستعيرونها كي تبقى ظاهرة مشاركة الأشياء الجميلة رائجة ، تخلصوا من هذا الوباء الثقافي ، وبنفسي أبدأ ، وفور الانتهاء من هذا المقال سأقوم بإرجاع الكتاب الذي أنام عليه منذ ثلاث سنوات ، وأنتهز هذه المناسبة لأقول لأصدقائي الموبوئين : أعيدوا إليَّ كتبي!

الوطن

٢٠١٨/٢/١٥

دال نُقطة!

يقولُ ماثيو ماكونهي : الشهادة ورقة تُثبت أنك متعلم ، ولكنها أبداً لا تثبتُ أنك تفهم!

ولو أن ماثيو ماكونهي يعرفُ جدتي رحمها الله ، لقلتُ أنه لطَشَ قوله من مقولتها الشهيرة : «الفهم فضلوه على العلم»! ولكنه لا يعرفها ولا تعرفه ، وما ضرَّ أحدُهما أن لا يعرف الآخر . . . وكثير مما يعرفه الناس يندرجُ تحت باب علم لا ينفع وجهل لا يضر! وتبقى الحياة أكبر مدرسة ، وقول جدتي ذو المعنى البليغ والكلمات القليلة تعلمَتْه من الحياة ولم تأخذه عن عبد القاهر الجرجاني الذي قال : البلاغة هي الايجاز! فهو الآخر لا يعرفها ولا تعرفه!

وعلى سيرة الشَّهادات ناقشتُ البارحة أطروحتي في الدكتوراة ، والمناقشة لمن لم يشهدها من قبل ، هي جلسة علمية يمسحُ فيها الأساتذة المناقِشُون الأرض بالطالب ثم يدخلون إلى غرفة خاصة بهم ويتداولونَ فيما بينهم ليخرجوا بعدها ويمنحوه تقدير جيد جداً! ومسح الأرض بحضرتك لا علاقة له بما كتبتَه أو بما لم تكتبه ، هو ركن من أركان الجلسة تماماً كالسجود في الصلاة تبطل بدونه!

وبالعودة إلى ماثيو وجدتي ، لم يعد بإمكان أحد من سكان هذا الكوكب أن يُشكك أني متعلم! أما بخصوص أني أفهم فهذه مسألة لا يمكنني أنا شخصياً أن أجزم بها! فمذ قرأتُ قول الله تعالى «ففهمناها سليمان» عرفتُ أن الفهم لا يُدرك في بطون الكتب! ومذ عرفتُ كيف أدَّبَ أبو بكر المرتدين دون أن يحمل شهادة في العلوم

السياسية أيقنتُ أن الحِنكة لا تُطلبُ في الجامعات! ومذ عرفتُ كيف حطّم عُمر بن الخطّاب امبراطوريتيّ فارس والروم دون أن يحمل شهادةً في القانون الدولي أيقنتُ أن للأمر علاقة بما في الصدور لا بما في السطور! ومذ عرفتُ كيف وقف أحمد بن حنبل في وجه المأمون بينما انحنى آخرون لا يقلون عنه علماً عرفتُ أن الله يختار لأشرس معاركه أنقى جنوده!

لستُ أُقلل من قيمة الشهادات ، معاذ الله ، ولكني ضدَّ أن يكون الناس عُبَّاداً للألقاب ، والبريستيج الفارغ ، والتعالي الثقافي ، لأني على يقين أن العِلم الذي لا يزيدُ صاحبه إلا تواضعاً هو جهل مقنع! وأكثر مرحلة علميّة اعتقدتُ فيها أني أعرفُ الكثير هي عندما كنتُ في الابتدائي! كنتُ أعتقدُ أني نابغة! وكنتُ كلما انتقلتُ من مرحلة إلى مرحلة اكتشفتُ مساحة جهلي! أما اليوم فأنا أجهل أهل الأرض إن لم تدركني «ففهمناها سُليمان» ، فاللهم أصْلِح لي قلبي!

بقي نُقطة أخيرة لا أعرفُ كيف أُمهّدُ لها بشيءٍ من كلامي ، فأتكِئُ على قول ابن عمّار الأندلسي :

ألقابُ مملكة في غير موضعها
كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ

لا يخفى على شريف علمكم أنَّ بعض الناس يضعون حرف الدال قبل أسمائهم من باب الفشخرة الفارغة ، وأنك حين تتعرف عليه عن قرب تعتقد أن حرف الدال اختصار لكلمة دُب لا لكلمة دكتور! أعرفُ دكتوراً لو طلبَ فاتورة من البقالة اشترط على صاحب

البـقـالـة أن يضع حـرف الدال قـبل اسـمـه! كـمـا أن بعض النـاس يضعونها وهم يستحقونها فعلاً ، علماً وأدباً وأخلاقاً ، وتبقى المسألة حرية شخصية ، ولأنها كذلك فقد قررتُ أن لا أضع حرف الدال قبل اسمي ، لا على أغلفة كتبي ، ولا مقالاتي في الصحيفة ، ولا حساباتي في مواقع التواصل ، وأرجو من كل من يعرفني أن لا ينادينـي « يا دكتور » فإنّ الله قد نهى عن التنابز بالألقاب! كذلك لن أجلس على منصة ، أو أُلقي محاضرة إذا سبقني حرف الدال إليها ، وأنتهز المناسبة لأشكر أكاديمية قلم في الكويت ، تواصلوا معي لإعطاء محاضرات ، واتفقنا على المواعيد والمضامين ، ولكن عندما عرضوا عليَّ الإعلانات طلبتُ تغييرها لوجود حرف قبل اسمي ، فتفهموا الأمر وأعادوا تصميمها مجدداً!

أرجوكم جميعاً ، أن تحترموا رغبتي في هذا الأمر ، وأن لا تضعوا حرف الدال قبل اسمي ، أنا من الذين تكفيهم أسماؤهم!

الوطن

٢٠١٨/٢/١٨

مَنْ بَدأَ العقوق؟!

روى ابن الجوزيِّ في كتابه بِرُّ الوالدين :
جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه ، فأحضر عُمر الولد وأنَّبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه .
فقال الولد : يا أمير المؤمنين ، أليس للولد حقوق على أبيه؟
قال : بلى
قال : فما هي؟
فقال عمر : أن ينتقي له أمًا لا يُعيّر بها ، ويحسن تسميته ، ويعلمه القرآن
فقال الولد : يا أمير المؤمنين إنّ أبي لم يفعل شيئًا من ذلك ، فأما أمي فهي زنجية كانت لمجوسي فأنا أُعيّر بها ، وقد سماني جعلاً/ خنفساء ، ولم يعلمني من القرآن حرفًا واحدًا!
فالتفتَ عمر إلى الأب وقال له : جئتَ تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأتَ إليه قبل أن يُسيء إليك!

بداية هذه القصة للآباء وليست للأبناء!
فالبرُّ هو واجب الأولاد تجاه آبائهم وأمهاتهم وليس مقابل رعاية الآباء والأمهات لهم! بمعنى أن عدم قيام الأب والأم بواجبهما لا يُسقط عن الابن واجب البر تجاههما!

القصة التي تخص الأبناء ، هي التي رأى فيها عمر بن الخطاب رجلاً يده مشلولة ، فسأله عن سبب شللها ، فقال : شُلّتْ بدعوة أبي عليَّ في الجاهلية

فقال عمر : هذه دعاوي الآباء في الجاهلية فكيف في الإسلام!

انتهت حصة الأبناء من الكلام هنا ، والآن مع الآباء :

يحدث أحيانًا أن يُضيء الأبوان أصابعهما العشرة لأولادهما ولا يجدان بعد هذا كله غير العقوق والجحود ، ولكن هذا يحصل على نطاق ضيق ، فيكون أشبه بمثال شذّ عن القاعدة ، ولكل قاعدة شواذ كما يقول أهل الأصول!

أما القاعدة التي ثبتتْ بالتجربة والمعايشة فإن الآباء يقطفون من الأبناء ما زرعوه فيهم!

من النادر أن يزرع الأبوان بذور الخير والتقوى في نفوس أولادهم ولا يكونان أول من يجني هذا المحصول الطيب ، وأول بذرة من بذور البر يزرعها الأبوان في الأبناء هي بر الوالدين بأبويهما ، فالتربية بالقدوة وليست بالتنظير! فكما لا يمكنك أن تحدّث ابنك عن النظافة وأنتَ تلقي الأوساخ من شباك سيارتك ، ولا يمكنك أن تحدث ابنك عن فضل صلاة الجماعة وأنتَ لا تمشي إلى المساجد ، فكذلك لا يمكنك أن تحدث ابنك عن البر وأنتَ أساسًا تعقّ والديك ، ولا أقول إن فعلنا للخطأ يعني أن لا نرشد أولادنا إلى الصواب ، ولكن الفعل أبلغ أثرًا في النفوس من الكلام!

كلكم تعرفون تلك القصة التي ترويها الجدات عن الرجل الذي تقدم به العمر وكان يعيش في منزل ابنه ، فضاقت زوجة الابن بالأب ذرعًا ، وطلبت من زوجها أن يتخلص من أبيه ، فأخذه إلى الصحراء ، واستل سكينه ليذبحه ويستريح منه ، فقال الأب لابنه إن كنت لا بد ذابحي فليس هنا ، وإنما عند تلك الصخرة ، فهناك ذبحتُ أبي!

وقــد لا تصح هذه القــصــة بالحــرف ، ولـكنهــا تصح بالمنطق والعدل ، فإن التعامل دَين ، ولا بد أن يُسدد الإنسان ديونه ، ومن مدّ يد الخير مُدت إليه أيدي الخير ، ومن حفر الحفر للناس حُفرت له! لهــذا أولاً على الآباء أن يقــومــوا بواجــبــاتهم قــبل أن يســألوا عن حقوقهم ، وثانيًا : كونوا لآبائكم الأولاد الذين تحبون أن يكونوا لكم!

الوطن

٢٠١٨/٢/٢٠

إننا نُسلِّكُ لكم!

يُحكى أنّ طفلاً صغيراً دخلَ إلى محل الحلاقة ، فهمس الحلاقُ للزبون قائلاً : هذا أغبى طفل في العالم ، وسأثبتُ لك!

وضع الحلاق دولارًا في يد وخمس سنتات في اليد الأخرى ، وبسطهما أمام الطفل ليختار!

وبالفعل أخذ الطفل الخمسة سنتات وخرج من المحل!

عندها قال الحلاق للزبون : أرأيتَ بأم عينك! هذا الأمر يحصل كل يوم!

وعندما خرج الزبون من المحل وجد الطفل عند بائع الآيسكريم يتلذذ بما اشتراه بالسنتات التي حصل عليها من الحلاق

فقال له : لماذا تأخذ الخمس سنتات كل مرة بدل أن تأخذ الدولار!

فقال له الطفل : لأنه في اليوم الذي آخذ فيه الدولار ستنتهي هذه اللعبة!

لا يهمني إن صحّت القصة أم لم تصح ، حدثتْ فعلاً أم أُلِّفتْ ، المهم هو الدرس الذي تنطوي عليه ، شأنها شأن آلاف من أشباهها ، وخذ عندك مثلاً : حكايا ابن المقفع التي تدور على ألسنة الحيوان في كليلة ودمنة ، وشعر أحمد شوقي القصصي ، وأساطير الأولين من الإلياذة الإغريقية ، إلى الشاهنامة الفارسية ، إلى جلجامش البابلية ، إلى عروس النيل الفرعونية ، إلى طائر الهامة الذي كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس المقتول ويبقى يصيح : اسقوني ، اسقوني ، ولا يسكت إلا عند الأخذ بالثأر!

والدرس المستفاد هو أن بعض البشر يعتقدون أنهم أذكياء لدرجة أن الآخرين لا يكتشفون ألاعيبهم، بينما في الحقيقة هم مكشوفون وكوننا «نسلّك لهم» ولا نواجههم بالحقيقة هو أننا نعاملهم بأخلاقنا لا بأخلاقهم، لأننا نعرف أننا متى واجهناهم ستنتهي اللعبة، والنبلاء يتمسكون بالآخرين حتى الرمق الأخير، فأحيانًا إبقاء الأشياء متصدعة أفضل من هدمها، ولكي لا تُهدم علينا أن نعاملهم باستغباء يليق بهم!

إننا حين نُسلّك، ونتغاضى، ونتغافل، فلأن هذا من شيم الكرام، كان يوسف عليه السلام عزيز مصر، ودبّر قصة صواع الملك ليُبقي أخاه بنيامين عنده، فما كان من إخوته إلا أن علّقوا على الحادثة بقولهم: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» ما كفاهم أنهم أبعدوه عن أبيه، وأرادوا قتله، لولا أن تدخل أقلّهم شرًا، وقال: «لا تقتلوا يوسف» عندئذ ألقوه في الجُبّ ليُباع كما العبيد، ثم ها هم يرمونه بتهمة السرقة، ولكنه من نبله لم يُدافع عن نفسه، لأنه لم يُرد أن تنتهي اللعبة قبل موعدها «فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم» وقد كان قادرًا على أن يُبديها!

وما زالت العرب تُعلي من قيمة التغاضي والتغافل والتسليك حتى قالت: سيد قومه المتغابي!

وقد التقط أبو تمام هذا المعنى ونظمه شعرًا يوم قال:

ليس الغبي بسيّدٍ في قومه
لكنّ سيّد قومه المتغابي!

ولأن الفقهاء الأوائل أدركوا باكرًا أن كسب الأشخاص مقدم على كسب المواقف ، حضّوا على التغافل ، وفي هذا يقول أحمد بن حنبل : تسعة أعشار العافية في التغافل!

ويقول شيخه الشافعي : الكيّس العاقل هو الفطن المتغابي!

رحم الله من تغافل لإبقاء ود ، وتغاضى كي لا يقطع علاقة ، وسلّكَ كي لا يخسر أحدًا ، هؤلاء هم النبلاء حقًا ، النبلاء فعلاً ، فكونوا نبلاء وسلكوا لهم يرحمكم الله!

الوطن

٢٠١٨/٢/٢٥

أَخْرِجُوا اليابان من كوكب الأرض!

منذ حوالي شهرين تقريبًا قرأتُ أن شركة خطوط سكة حديد يابانية قامت بنشر اعتذار رسمي للمسافرين على محطة مينامي قرب طوكيو ، وسبب هذا الاعتذار أن القطار تحرك قبل عشرين ثانية من موعده المحدد!

أردتُ يومها أن أُعلق على الأمر ، ثم قلتُ في نفسي : لعلّ اعتذار الشركة من باب الحركات التسويقية!

وقولي هذا لم يكن من باب سوء الظن ، مع أني أسأل الله العافية -كثيرًا ما أسيء الظن- فهكذا نحن البشر إذا أعجبتنا التصرفات غُصْنا في نوايا أصحابها! ودومًا ما أبررُ سوء ظني بقول العرب الشهير : سوء الظن من حُسن الفطِن!

ومؤخرًا صرتُ أُلبِسُ سوء ظني ثوبًا من التقوى ، بعد أن قرأتُ تفسير آية راق لي كثيرًا! يقول الله تعالى في سورة الحجرات ، التي يسميها المفسرون سورة الأدب الإسلامي : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظنّ إن بعض الظن إثم﴾ ويقول المفسر : إذا كان بعض الظنّ إثم فإنه بمفهوم المخالفة يكون أغلب الظن بِرّ!

ثم إني البارحة قرأتُ أن أحد الفنادق في طوكيو ، أبلغ جميع نزلاء الفندق بأنه سيقوم بقطع خدمة الإنترنت عنهم لمدة دقيقة واحدة! من الرابعة فجرًا حتى الرابعة والدقيقة بسبب استبدال جهاز صغير ، ولم ينسَ الفندق أن يُرفق بلاغه هذا بأسف شديد من نزلائه!

عندها قلتُ أن هذا الأمر بلغ مرحلة لا يجب السكوت عنها! وأن على اليابان أن تبحث عن كوكب آخر وتتركنا وشأننا ، لأنه عيب عليهم أن يذكرونا بين فترة وأخرى بنقصنا! تصرفاتهم النبيلة هذه تساهم في تعذيبنا ، وتفسد علينا كل محاولات التأقلم مع ظروف عدم الاحترام كزبائن أولاً ، وكبشر ثانيًا!

الأمر أشبه أن يشكو مُتخمٌ لجائعٍ ما فعلته الوجبة الدسمة في بطنه!

ويُحدّث رياضيٌّ رجلاً مقعدًا عن متعة الجري صباحًا! ويُحدث رجلٌ رجلاً عقيمًا عن سعادته وهو يضم أولاده!

نحن شعبٌ إذا انقطعتْ خدمات الإنترنت نهارًا كاملاً يقولون لنا : أعيدوا تشغيل الراوتر ، مع أنهم يعرفون ونعرف أن نزع فيش الراوتر وإدخاله مجددًا لن يحل المشكلة ، ولكننا نتّبع التعليمات التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع! ورغم هذا نعيش والحمد لله أن أمورنا تسير ولو كان «بالتدفيش» ، فلماذا تأتي اليابان لتخبرنا أن قطع الانترنت لدقيقة واحدة هو جريمة شنعاء يجب الاعتذار عنها!

نحن شعب نقف في الطوابير لساعات في الجامعات والإدارات الرسمية ومطاعم الوجبات التي يفترض أنها سريعة ، ونحمد الله أيضًا ولا نشكو ، فلماذا تأتي اليابان لتخبرنا أن عشرين ثانية من حياة الإنسان هي ملكه ولا يحق لأحد أن يهدرها له!

علينا جميعًا نحن الأكثرية الساحقة المُمْتَهنة من سكان هذا الكوكب ، أن نتحد ونقف موقفًا صارمًا في وجه اليابان التي تحاول أن تُفسد علينا حياتنا ، وأن ننادي بصوت واحد أخرجوا اليابان من كوكب الأرض!

الوطن ٢٠١٨/٢/٢٧

الزَّواجُ المُبكِّر!

قبل أربعة آلاف سنة ، وفي بلاد ما بين النهرين ، حيث يُقال أن أول حرف خطته البشرية كان هناك ، نقشَ حمورابي سادس ملوك البابليين شريعته بالمسمار على ألواح الطين ، وبعد أن أفلحَ علماء الآثار بفك رموز الكتابة البابلية القديمة أذهلهم إلى أي مدى كان ذاك البابلي حكيمًا ، ثمة قوانين سابقة لعصرها آلاف السنين ، تشهد لصاحبها بالسبق والنبوغ ، وأحد قوانين حمورابي في باب تنظيم الأسرة والزواج يقول فيه :

إذا تزوجت البنتُ القاصر الصغيرة في السن فلا يجوز لها العيش في بيت زوجها ، بل يجب عليها الاستمرار في العيش في بيت والدها إلى أن تصبح في سنٍ ملائمة تكتمل فيه قدرتها على تحمل الأعباء الزوجية والمنزلية!

واضح من عنوان المقال ومن هذه المقدمة أن مربط الفرس عند الزواج المبكرّ . . . وكالعادة لن أناقش هذا الموضوع من زاوية شرعية ، فإن الله أباح ، وما أباحه الله خسئتُ وغيري أن نُحرّمه ، ولكن هناك فرق بين الفرض وبين المباح! فالصلاة والصيام فرض ومن لم يعجبه فرأسه وأقرب جدار! بينما شرب الشاي مباح لا يُؤجر فاعله ولا يؤثم تاركه ، هو مجرد قضية خاضعة للأذواق والقناعات والعادات! وإنّ الله سبحانه حيث يُشرِّع فيبيح فليس لأحدٍ أن ينكر على أحدٍ إذا فعل ، وليس لأحد أن ينكر على أحدٍ إذا لم يفعل! وإني وإن كنتُ أُسلّم أن الزواج المبكرً مباح ، فإني في المقابل أؤمن أن التريث قليلاً أفضل!

أؤمن أن الزواج أكبر من علاقة فراش ، وأن ثمة نضج غير النضج الجسدي هو الذي يُؤذن أن الوقت حان ، في المتوسط تبلغ الفتاة في سن الثانية عشر ، والفتاة في هذا العمر برأيي طفلة أكثر منها امرأة ، وأنها إذا بلغت مصافي النساء من حيث إمكانية حصول حمل لديها ، إلا أنها لم تبرح مرتبة الطفولة عقلاً وعاطفة ، وهي بحاجة إلى الرعاية والعطف والاهتمام فضلاً أن ترعى وتعطف وتهتم بغيرها ، البنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة إذا انكسرت لها لعبة بكت ، وإذا حصلت على علامة متدنية في امتحان ارتعدتْ ، ولربما كانت تخاف أن تنام والأضواء مطفأة ، وبحملها على الزواج على اعتبار أنها ليست في سن يسمح لها أن تقرر نكون قد حرمناها أن تعيش في كنف والديها وهي أحوج إليهما في هذه المرحلة العمرية من زوج هو الآخر له مطالب ليست مطالبها ، واهتمامات ليست اهتماماتها! هذا النوع من الزواج قد يكون أحيانًا ضرورة تفرضه طبيعة مجتمع ، أو ظروف طارئة ، وهنا كانت حكمة الشريعة في الإباحة ، ولكن ما دامت الأمور في سياقها الطبيعي فعلام العجلةُ . .لستُ أفهم!

البنات في البيوت ضيوف ، وهنّ مغادرات إلى بيوت أزواجهنّ لا محالة ، والضيف يُكرم ولا يُطرد! وقد كان من عادات العرب إذا حلّ فيهم ضيفٌ أضافوه ثلاثة أيام ، يقضي فيها حاجته من الطعام والشراب والراحة ثم يسألونه عن الغرض الذي أتى لأجله ، هذا هو الحال مع الضيف العابر ، فكيف بهذا الضيف الذي هو قطعة من القلب ، وفلذة من الكبد ، لماذا يُطرد قبل أن يستوفي حاجته في العاطفة ، ويؤمن زاده من النضج والفهم الضروريان له لإنشاء زواج ناجح وأسرة!

إن اللقمة التي يضعها الرجل في فم امرأته صدقة ، وكذلك في فم ابنه وابنته ، ونحن لا نرزق بعضنا بعضًا ، الرازق هو الله ولسنا إلا أسبابًا يقضي بنا الله أرزاق خلقه ، فلا تخافوا الفقر ، لا أحد يموت من الجوع ، ولا تخشوا الكسوة فالله هو الواهب ، ومن زوّج ابنته في سن مبكرة ليس له سبب في هذا غير نقل مهمة اللقمة والكسوة إلى غيره فقد أساء الظن بالله ، البنات لسن حملاً ثقيلاً إنهنّ حجاب من النار ، كما أخبرنا نبيُّنا ، فأكرموا حُجَبَكم!

الوطن
٢٠١٨/٣/١

الأطفال والمساجد!

قال الإمام الذهبي في رائعته الفكرية والأدبية والتاريخية والفقهية سير أعلام النبلاء :
كان زبيد اليامي الكوفي مؤذن مسجده ، وكان يقول للصبيان : تعالوا فصلّوا معنا ، أشتري لكم جوزًا!
فكان الأولاد إذا فرغوا من الصلاة تحلقوا حوله يأخذون ما وعدهم به .
فسئل يومًا عن ذلك ، فقال : وما عليّ أن أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم ويعتادون الصلاة في المساجد!

والشيء بالشيء يُذكر ، شهدتُ مرةً حادثة طريفة ، كنتُ أصلي بجانب شيخ كبير في السّن ، وفي الصف الذي أمامنا يصلي رجل وابنه الصغيرً ، ولكن الصغير لم يحتمل الوقوف بجانب أبيه أكثر من ركعة ، فسرعان ما تراجع وبدأ يركضُ بين الصف الذي نحن فيه والصف الذي فيه والده بسرعة كالعدائين في سباق المئة متر! وبطبيعة الحال أحدث ضجة كما هي حال الصغار . . . وعندما سلّم الإمام وسلمنا معه ، قال الرجل المسن لوالد الطفل : المرة القادمة أحضر له سكوتر!

شخصيًا ، أنزعج كثيرًا إذا سمعتُ أحد المصلين يؤنبُ الأولاد في المسجد على ضجة أحدثوها ، طبعًا أتفهم رغبة إنسان يريد أن يصلي في جو هادئ ، فنحن والله المستعان قلما نخشع في هدوء فكيف في ضجة ، ولكن وجهة نظري التي أقولها دائمًا أن هذا

الصغير يحتمله صاحب محل الألعاب على علاته وضجيجه لأجل دراهم معدودة ، ويداريه المدرب في النادي على عفرتته لأجل أنه مشترك ، ويصبر عليه صاحب البقالة على شيطنته لأجل أنه زبون ، فلماذا لا نحتمله نحن لأجل الله!

الأمر أبعد من صلاة واحدة ، وحادثة يتيمة ، الأمر يكمن في الأثر الذي نتركه في الأطفال حين ننهرهم ، «ولطالما استعبد الإنسانَ إحسانٌ» كما يقول الشاعر ، وعندما يجد الطفل لساناً حلوًا ، وصبرًا طويلاً في أماكن خارج المسجد ولا يجدها في المسجد نكون نفرناه من المسجد من حيث لا ندري!

طبعًا لا أقول أن نترك الحبل على الغارب للأطفال في المساجد . . . مسؤولية الأب الذي يصحب ابنه معه للمسجد أن يعلمه آداب المساجد قبل الدخول إليها ، وأن يحاول ضبطه قدر الإمكان إذا دخل ، ولكن الأطفال هم الأطفال ، لن يصبحوا رجالاً في لحظة إذا نهرناهم ، ومسؤولية باقي المصلين أن يعلموا أن ضجيج الأولاد في المساجد أفضل من ضجيجهم في الشوارع والطرقات ، وأننا إذا لم نحتملهم صغارًا في المساجد سنعاني منهم كبارًا في الحياة ، فالمرء سرعان ما يتطبع بأخلاق الأماكن التي يرتادها ، فلماذا يصبر الآخرون على الصغار لأجل جيوبهم ، ولا نصبر نحن عليهم لأجل ديننا؟!

لطالما كانت المساجد مصانع الرجال ، وإن لم يخرج الابن البار من المسجد فلن يخرج من مكان آخر ، وإن لم يخرج الزوج الشهم

المحب الكريم من المسجد فلن يخرج من مكان آخر ، وإن لم يخرج التاجر الأمين ، والجار الخلوق ، والحرفي الصادق من المسجد فلن يخرجوا من مكان آخر ، وأطفال اليوم هم أبناء الغد ، وأزواج الغد ، وجيران الغد ، وتجار الغد ، وحرفيو الغد ، نحن حين نصبر على الصغار في المساجد ، فلسنا نصنع اللحظة بل نصنع المستقبل ، هذه السيقان الصغيرة التي تركض بين الصفوف ، سيأتي يوم وتنتصب بانتظام عندما تُقام الصلاة ، قليلاً من الصبر في جنب الله ، والأجر على الله!

الوطن
٢٠١٨/٣/٤

«ومن يُؤتَ الحكمة»!

روى ابن كثير في الجزء العاشر من البداية والنهاية قال :

دخل رجلٌ على المهديِّ الخليفة العباسي ومعه نعلٌ يحملها بيده وقال له : هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك!

فقام المهديّ عن كرسي الخلافة ، ونزل حيث الرجل ، وأخذ منه النعل وقبّلها ، وأمر له بعشرة آلاف درهم!

ولمّا انصرف الرجلُ ، قال المهديّ لمن كان في مجلسه : والله إني لأعلمُ أن رسول الله ﷺ لم يرَ هذه النعل فضلاً عن أن يكون لبسها ، ولكني لو رددته لذهب يقول للناس أهديتُ الخليفة نعل رسول الله فلم يقبلها ، فتصدقه الناس لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوي وإن كان ظالمًا ، فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجح وأصلح!

بداية . . العلم شيء والحكمة شيء آخر ، فقد يكون الإنسان متعلمًا وليس له من الحكمة شيء ، وما منكم من أحد إلا ويعرف شخصًا متعلمًا لم تضف الشهادة إلى عقليته وتصرفاته وعلاقاته شيئًا ، وقد يكون الإنسان حكيمًا وليس له من العلم شيء ، وما منكم من أحد إلا ويعرف شخصًا بالكاد يفك الحرف فإذا هو بارع في إنشاء العلاقات وتكوين الصداقات واحتواء الناس ، يألف ويُؤلف ، وقد يجمع الإنسان بين الخير والحكمة . والخير في الناس لا ينقطع!

الشهادة للوظيفة والحكمة للحياة!

لا أنكر أننا من المفترض ونحن في طريق تحصيل الشهادات نكون تحصلنا على مادة أولية تتيح لنا التعامل مع الحياة ، ولكن الذي من المفترض أن يحصل لا يحصل دائمًا!

العلم معادلات ثابتة والحياة مواقف متغيرة تقتضي أن يكون الإنسان مرنًا ، في العلم واحد زائد واحد يساوي إثنين ، في الحياة من الحكمة أحيانًا أن يكون المجموع يساوي ثلاثة ، فلا بدّ من كسر المعادلة وليّها وثنيها والالتفاف عليها لتستمر الحياة!

في الفيزياء : لكل فعل رد فعل مساويا له في الشدة ، معاكسا له في الاتجاه ، هكذا يقول نيوتن في قانونه الثالث ، أما الحياة فلها قانون آخر يقول : من الحكمة أن لا يكون لكل فعل ردّ فعل ، فأحيانًا لا يوجد إجابة أبلغ من الصمت ، ولا تصرف أعقل من أن تتصرف كأنك لم ترَ ولم تسمع!

العلم يقول أن الريح تتحكم في اتجاه السفن ، ولكن الحكمة تقول اضبط أشرعتك!

ليس على كل أحد أن يجرك حيث أراد ، لستَ مجبرًا أن تشارك في كل نزال تُدعى إليه ، ولا كل حوار يُفتح لك بابه! لا تخض معارك تافهة وإن وثقتَ بتحقيق النصر ، ثمة نصر تخسر فيه نفسك وهذه بحد ذاتها خسارة لا يرممها النصر الذي حققته مهما بدا ساطعًا ، وثمة انسحابات لها طعم الفتوحات ، فعندما تربح نفسك تكون قد سطّرت نصرًا بغض النظر عما بدا لحظتذاك هزيمة سطحية مؤقتة! قمة الذكاء أحيانًا أن تخفي ذكاءك ، وقمة الفهم أحيانًا أن تتظاهر بأنك لم تفهم!

من أمثال جدتي الجميلة : «اللي تعرف ديته اقتله» بمعنى أعطهم ما يريدون بشرط أن لا تخسر نفسك ، وليس هذا نفاقًا أو تلونًا ، ففي الحديث «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم» وعلى قدر عقولهم يدخل فيها نفسياتهم كذلك ، ويا صبر الأرض على بعض الناس!

الوطن
٢٠١٨/٣/٦

سُوءُ الفَهم!

قيل : إنّ أطول مسافة بين شخصين هي سوء الفهم!

وقيل هذه نستخدمهاً نحن معشر الكُتَّاب عندما نريدُ أن نسطو على جملة لا نعرفُ قائلها!

وما قيل في باب السطو أيضاً : إذا سرقتَ مقولة لكاتب فأنتَ لص ، وإذا سرقتَ مئة مقولة لمئة كاتب فأنتَ باحث!

وبالعودة إلى سوء الفهم ، يروي إدوارد غاليانو على ذمته في كتابه «صياد القصص» أنه عندما وطئت أقدام الغزاة الإسبان أول مرة رمال شبه جزيرة يوكاتان ، خرج بعض السكان المحليين للقائهم .

وحسب ما روى الراهب توربيو دي بينابيتوروا ، سألهم الإسبان باللغة القشتالية :

– أين نحن؟ ما اسم هذا المكان؟

فقال الأهالي ، بلغة المايا اليوكاتيكا : تيكتيتان ، تيكتيتان!

ففهم الإسبان ذلك «يوكاتان ، يوكاتان «

ومنذ ذلك الحين صار شبه الجزيرة يحمل هذا الاسم . . .لكن معنى ما قاله السكان الأصليون بلغتهم : لا نفهمك ، لا نفهمك!

قصة غاليانو هذه على طرافتها تشير إلى أكثر الظواهر البشرية شيوعًا ، وانتشارًا ، ألا وهي «ظاهرة سوء الفهم» ، وإذا سلّمنا أن سوء الفهم الحاصل بين شخصين يتحدثان لغتين مختلفتين هو مسألة واردة ونتيجة حتمية ، وإن ما يمكن أن يُحدثه غازٍ في أرض محتلة هو أسوأ بطبيعة الحال من مجرد تزوير اسم إحدى جزرها ، إلا أن ثمة أضرار أكثر فداحة قد يسببها فهم خاطئ في موضع لا يحتمل الخطأ!

ففقدان شبة جزيرة يوكاتان لاسمها الأصلي لا يضاهي فقد ٧٣ شخصًا حياتهم جرّاء تحطم طائرة بوينغ في حادثة أفيانكا الرحلة ٥٢ نتيجة سوء فهم بين المراقبين الجويين في مطار كينيدي الدولي وطاقم الطائرة حول الوقت المقدر لوقود الطائرة مما أدى إلى تحطمها في ليلة عاصفة ، ولذا أصبح قائدو الطائرات يستخدمون مصطلحات مثل read-back أي أعد قراءة ما قلت لتفادي أي سوء فهم قد يحدث!

وعلى مستوى أصغر مساحة من مطار كينيدي ، وأقل ارتفاعًا من المسافة المقدرة لتحليق طائرة نجد أن ثمة ضحايا كُثر لحوادث سوء الفهم التي تقتل الأشخاص والعلاقات على حدٍ سواء ، ففي تلك المساحة الضيقة بين شخصين قد ترتفع الكثير من الحواجز ، بسبب خاطئ لتصرف ، أو لكلمة تبدو من زاوية ما أشد على القلب من وقع السياط ، وحين نحبسها في الصدر ، ونحول بينها وبين التفسير الصحيح بالصمت والتكتم ، بدل المسارعة للاستيضاح الذي هو حق وواجب على حد سواء ، قد نفقد صفاء شعورنا تجاه الآخر ، وبالتالي يتحول ذلك الترابط الذي كان وثيقًا إلى مجرد خيط واهٍ أثقلته الظنون الناتجة عن الأفهام الخاطئة ، وصار عرضة للتمزق مع أدنى حدث عابر!

إن مستوى العلاقات بيننا وبين الآخرين متفاوت بلا شك ، فأكثرهم قربًا هو أكثرهم فهمًا أو تفهمًا ، ذلك أن أقوى عاطفة على الأرض لا يمكن أن تصمد طويلاً وسط نيران الشك ، وكلما كثرت الأمور التي ندفنها في أنفسنا تجاه شخص ما كلما تضاعفت المسافة الروحية بيننا وبينه ولو كانت المسافة المكانية هي شبر من الأرض!

التسرع غالبًا مدعاة للندم ، فكيف بالتسرع الذي يحفزه سوء فهم ، قد تقتل علاقة كانت لتكون أجمل لو استمعت قليلاً للطرف الآخر ، وسمحت لعقلك أن ينتقل لزاوية أخرى أكثر وضوحًا لعلك ترى ما لم تسمح عتمة زاويتك برؤيته ، وعلى غرار قائدي الطائرات استخدم مصطلح «read-back» لتسمع جيدًا ، وبالتالي تفهم جيدًا ، وبالتالي تتصرف جيدًا!

الوطن
٢٠١٨/٣/٨

صَدقة مُقنّعة!

سُئل حكيم : هل هناك أقبح من البخل؟
قال : نعم ، الكريم إذا تحدث بإحسانه لمن أحسن إليه!

ولعلّ هذا الحكيمُ الذي لا أعرفه قد استقى حكمته من الكتاب النابض بالحكمة ، الذي تعرفونه جميعًا ويقول فيه ربنا جلّ في علاه :

﴿لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى﴾

ويقول سبحانه في موضع آخر فيه :

﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾

والأذى ليس بالضرورة ضربة سيف ، ولا جلد سوط ، كلمة قد تُحدث في الإنسان جرحًا أعمق مما تحدثه ضربة السيف ، وطعنات اللسان توجع تمامًا كطعنات الرماح ، وإراقة كرامة إنسان كإراقة دمه!

يعجبني أولئك الذين يُرممون كرامة الإنسان قبل أن يرمموا جيبه ، ويسدوا مكامن الفقر في قلبه قبل أن يسدوا مكامن الفقر في عوزه! والكلام كالنمل عند السكّر ، وكالنحل عند الرحيق ، يستدعي بعضه بعضًا! قرأتُ البارحة أن مؤسسة خيرية في بنغلادش لا تعطي الفقراء وجبات الطعام مجانًا بل تبيعها لهم بمبلغ «سنت» واحد تقريبًا كي لا يشعر الفقير أنه يتسول وإنما قد اشترى طعامه بحرّ ماله!

أعجبتني فكرة الصدقة المقنّعة هذه ، وإدراك المحسنين أن الفقير ليس معدة خاوية فحسب وإنما كرامة أيضًا ، وإشباع الحاجتين معًا عمل عظيم حقًا!

ومنذ سنة تقريبًا قال أحدهم في تويتر : أرافق أبي إلى صلاة الجمعة ، فإذا فرغنا من الصلاة عمد أبي إلى الباعة البسطاء في الطريق قرب المسجد واشترى منهم ، ولم يكن يجادلهم في السعر أبدًا ، حتى قلتُ له : أليست الأسعار أغلى مما هي عليه؟

قال : بلى!

قلتُ : فلم لا تجادلهم؟

قال : صدقة خفية يا ولدي!

وإحدى الظواهر الاجتماعية المقيتة أن الناس يتركون الإكراميات الكثيرة في المطاعم الراقية ، ويجادلون البائع المسكين في الطريق في ريال أو دينار!

أيضًا ترك الإكراميات جميل ولا شيء فيه ، ولكن السؤال : لماذا على المرء أن يدفع في سبيل البرستيج الزائف ، ويجادل البائع المسكين في سبيل الشطارة!

النوايا مناط الأعمال ، النية النبيلة هي التي تجعل من عمل صغير عملاً عظيماً ، والنية السيئة هي التي تجعل من عمل عظيم وبالاً وخسرانًا ، وقد كان ابن سلول يصلي الفجر في المسجد خلف رسول الله ﷺ ! نصر عظيم أن يهزمك بائع مسكين برضاك في ريال أو درهم ، وصدقة مقنّعة أن تنخدع بملء إرادتك ، البسطاء طريق يسيرة إلى الجنة ، ودروب ممهدة ، تعالوا نمشيها بشيء من التغافل النابع من جميل النية ، فلن يضيع جميلٌ أينما زرعا! وإن ضاع عند الناس فلا شيء يضيع عند الله!

الوطن ٢٠١٨/٣/١١

نذالة!

تقولُ العربُ في أمثالها : المصائب لا تأتي فُرادى!

ولكن على ما يبدو لا شيء في هذه الحياة يأتي فردًا! فالبارحة كان يوم الأخبار التي تندرج تحت باب النذالة ، فقد قرأتُ فيه ثلاث معلومات تفوح منها رائحة النذالة ، أو أن هذا ما شممته أنا ، فلا أحبُّ أن أملي انطباعاتي على أحد! هذه كانت عناوين النشرة ، وإليكم الآن التفاصيل!

المعلومة الأولى:

تتعمد شركة آبل إبطاء أجهزتها القديمة عن طريق التحديثات التي تنشرها ، لتشعرك أن جهازك أصبح قديمًا ، وأنه قد آن الأوان لشراء جهاز جديد!

لطالما آمنتُ أن الاقتصاد قلّما يلتقي مع الأخلاق ، وها هي آبل تأتي لتُرسخ إيماني هذا! فمحاولة الشركة إبطاء جوالك لإجبارك على شراء واحد جديد ، سيعملون لاحقًا لإبطائه هو الآخر ، بعد إصدار هواتفهم الجديدة هو عمل لا أخلاقي ، العمل الأخلاقي يقتضي أن تبقى تصدر الشركة تحديثات تتيح لهذا الجوال العمل بكفاءة أطول مدة ممكنة ، ولكن لو فعلت هذا فإن كثيرين سيشعرون بالرضى عن جوالاتهم ولن يشتروا الجوالات الجديدة ، الأمر برأيي لا يختلف عن أن يقوم صاحب محل الجوالات بأخذ جوالك ورميه بالأرض ثم يقول لك تعال أبيعك واحدًا أفضل منه ، ولكن لأن آبل لا تستطيع إتلاف «الهارد وير» فإنها تتعمد إتلاف «السوفت وير» وما الجوال إلا بـِ «السوفت وير» تمامًا كما أن :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

كما قال زهير بن أبي سلمى يوم كان الناس يتواصلون بالحمام الزاجل!

المعلومة الثانية :

الكراسي في مطاعم الوجبات السريعة مصممة بطريقة غير مريحة بشكل متعمد كي تتناول طعامك وتغادر بسرعة!

كان بإمكانهم أن يصمموا كراسي مريحة ، وكنت وقتها ستجلس سعيدًا تتناول طعامك ، وتتفقد جوالك أو تتحدث أنتَ والذين معك ، ولكنهم في هذه الحالة سيضطرون أن يقولوا لك لقد أنهيتَ طعامك فغادر مفسحًا المجال لغيرك ، ورفعًا لهذا الإحراج صمموا هذه الكراسي التي تسبب لك الديسك إذا جلست عليها لأكثر من عشر دقائق!

حماية عمودك الفقري لا تدخل ضمن اهتمامهم ، ادفعْ وكُلْ وغادرْ ، هذه هي المعادلة التي تهمهم!

المعلومة الثالثة:

في جنوب أفريقيا هناك شرطي اسمه «أندريه ستاندر» يعمل في قسم جرائم السرقة ، كان يسرق البيوت والمحلات ، ثم يعود إلى قسم الشرطة ، ويصدر مذكرة تكليف لنفسه بالتحقيق في هذه الجرائم ، ويأتي ويحقق بها ، ويسجلها ضدّ مجهول لعدم كفاية الأدلة لملاحقة الجاني!

حاميها حراميها كما تقول جدتي!

وفيك الخصام وأنت الخصم والحكم كما يقول المتنبي!

ولمن تشتكي حبة القمح إذا كان القاضي دجاجة كما لا أعرف من الذي قال هذا!

على أية حال كانت هذه حصيلة يوم واحد من القراءة ، أحيانًا من المتعة أن لا تعرف ما الذي يدور في هذا العالم ، مرهق أن تشتري هاتفًا جديدًا وأنتَ تفكر أنهم سيتلفونه لك لاحقًا ، أو تجلس على كرسيٍّ في مطعم تسمعها تقول لك اغربْ عني ، أو يأتي شرطي إلى بيتك وتشك أنه السارق! ولكن على أية حال لا شيء يضاهي متعة أن لا تعرف سوى أن تعرف! ولا تكونوا كالمدخن الذي قرأ عن مضار التدخين فقرر أن يقلع عن القراءة!

الوطن

٢٠١٨/٣/١٣

كفى مثالية!

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في مذكراته :
لقد صرتُ معلمًا في الابتدائية ، ومدرسًا في الثانوية ، وأستاذاً في الجامعة ، وما ذهبَ عن نفسي الضيق بالمدرسة والفرح بالخلاص منها ، والأنس بيوم الخميس واستثقال يوم السبت ، وما ذهبتُ إلى المدرسة أو الجامعة مرةً إلا وتمنيتُ أن أجدها مغلقة ، أو أجد الطلاب قد انصرفوا منها ، والدروس معطلة فيها!

لأول مرةٍ اقتبسُ شيئًا لأبدأ به مقالاً وأنا أهتم بصاحب الاقتباس أكثرٍ من الاقتباس نفسه!

فالكلام عادي جدًا صياغة وفكرة ، يمكن لأي كان أن يصوغه ، والفكرة لا تحمل جديدًا ، إنها شيء يردده الطلاب من أول يوم يدخلون فيه إلى المدرسة حتى يتخرجوا من الجامعة! ولكن أن يأتي الكلام من شيخنا وأستاذنا علي الطنطاوي ، الرائع صياغة ، العذب لسانًا ، الدمث أخلاقًا ، الحلو أفكارًا ومعتقدًا ، فهنا بيت القصيد!

أجمل شيء في علي الطنطاوي هو أنه إنسان صريح وواقعي ، يخبرك بما يجول في خاطره دون خجل أو مواربة ، أشياء تجول في خواطرنا جميعًا وقد نجد حرجًا في الحديث عنها ، بالمناسبة فإن الرائع مصطفى محمود رحمه الله يفعل الأمر نفسه ، إذ تجده يخاطب فيك الإنسان ، يلمسك من الداخل بغرائزك وأمانيك وهواجسك وعواطفك ومخاوفك ، وشكوكك ، يحاول دائمًا أن يذكرك أنكَ إنسان في عالم يعجُّ بالمثقفين والكُتَّاب الذين يريدون منكَ أن تكون ملاكًا!

عندما نقول أننا نُحب العطلة فهذا لا يعني أننا نكره العمل ، ونشتهي أن نعيش على هامش الحياة ، على العكس تمامًا ، نحب العمل ، ونتفانى في وظائفنا ، ونجد أنفسنا فيما نقدمه أكثر مما نجد أنفسنا فيما نأخذه ، ولو أعطانا أحد مقدار ما نحصل عليه من مال من أعمالنا مقابل أن نجلس في بيوتنا ما رضينا ، ولكن نحن بشر ، نكره القيود ، ونحب الراحة ، نضيق بالرتابة والروتين اليومي ، لماذا علينا أن ندعي المثالية التي هي في أغلب الأحيان فيها انتقاص من إنسانية الإنسان!

عندما نقول أننا نحب المال فلا يعني أننا نعبده! ولا يعني أننا نبيع كل شيء مقابل الحصول عليه ، هذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا فقط ، هو أننا نعرف قيمته وأهميته ، ونكره ذل السؤال ومرارة الحاجة ، ولو تأملتَ في حال المثاليين الذين يقولون لك أن المال وسخ الدنيا لوجدتَ أغلبهم يلهثون وراءه ، ولكنها المثالية أحد أكثر الأمراض النفسية التي يعاني منها الناس!

عندما نقول أننا نحب الصحة والعافية ، فلسنا نسخط على الله إذا جاء المرض ، نحن لا نزيد على أن نقول أننا نحب أن نكون بخير فقط! لا أفهم لماذا يريدون منا أن نكون ملائكة!

لا أفهم أين المشكلة في أن يحب الإنسان العطلة ، ويرغب الشاب بزوجة جميلة ، والفتاة بزوج وسيم ، والزوجة ببيت مريح ، ورب الأسرة بسيارة فارهة ، أين المشكلة في السعي لوظيفة مرموقة ومرتب أعلى ، لا أفهم لماذا يريدون أن يقتلوا فينا الإنسان ولا ينفكون يرددون الدنيا زائلة ، فلتذهب الدنيا إلى الجحيم وتزول ،

ولكنها على أية حال لن تبقى إذا ألغوا أيام العطلة ، وأُجبر الشاب على فتاة لا يريدها ، والفتاة على زوج لا ترغب به ، لا تكونوا مثاليين كونوا بشراً فقط وهذا شيء عظيم جدًا!

الوطن

٢٠١٨/٣/١٥

الرُّجُوع إلى الحقِّ فضيلة!

يقول ابن حزمٍ في الجزء الرابع من رسائله :

ناظرتُ رجلاً من أصحابنا في مسألة ، فغلبته ، فقد كنتُ أفصحُ منه لسانًا ، وأقدرُ بيانًا عما أراه مما تناظرنا فيه ، وانفضَّ المجلس على أني الغالب ، فلما أتيتُ منزلي حاكَ في نفسي منها شيء ، فتطلبتها في بعض الكتب ، فوجدتُ برهانًا صحيحًا بيَّنَ بُطلان قولي وصحة قول خصمي ، وكان معي أحد أصحابنا ممن حضر نقاشنا ، فأخبرته بذلك ، ثم إنه لما رآني قد وضعتُ علامة في الكتاب حيث المسألة قال لي : ما تريدُ بهذا؟

قلتُ : أريد حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المُحق وأني المخطئ ، وأني تركتُ قولي وتبعتُ قوله!

قال : أوتفعل مع ما في هذا من بهتان لكَ؟

قلتُ : نعم ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى غد!

بداية . . النقاشات التي لا تقوم على مبدأ عنزة ولو طارت هي دليل عافية ، ولا يوجد مجتمع احتلَّ مرتبة مرموقة إلا وكان قد شهد سجالاً في الأفكار ، ومبارزة بين العقول ، ومن نقاش فكرتين كان أحيانًا تولد فكرة ثالثة هي أصوب من الفكرتين اللتين قام لأجلهما النقاش ، من نقاش الكوفيين والبصريين استقام علم النحو وبلغ أشده ، ومن نقاش الفقهاء والمجتهدين وُلدت المذاهب وكان فيها رحمة للناس ، حتى قال عمر بن عبد العزيز : ما كنتُ أحبُّ أن يتفق الصحابة فيما اختلفوا فيه ، ففي اختلافهم رحمة! ولقد كان من عمل الأنبياء ضرب الرأي بالرأي ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وقد

قال قوم نوح عليه السلام له : ﴿قد جادلتنا فأكثرتَ جدالنا﴾ ، وقد وقف إبراهيم عليه السلام مناقشًا النمرود في أمر التوحيد .

ولكن النقاش لا بد له من ضابط ، ولم أقرأ ضابطًا أحكم من قول الشافعي : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب!

كلنا معرضون لأن نخطئ ، كتابةً وشفاهًا ، وكتاب واحد لا ريب فيه هو كتاب ربنا ، وكل يؤخذ منه ويردُ عليه إلا صاحب هذا القبر كما قال مالك وهو يشير إلى قبر النبي ﷺ !

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل إذا ما تبين لصاحب الرأي فساد رأيه ، ولصاحب الكتاب خطأ كتابه ، ومما أوصى به عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري يوم ولاه القضاء : ولا يمنعنك قضاء قضيته أمس فراجعتَ اليوم فيه عقلك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق!

ويعرض القرآن لنا نموذجين في حال الخطأ ، هما إبليس وآدم عليه السلام ، فالأول رفض السجود حين أُمر ، والثاني أكل من الشجرة حين نُهيَ! فأما إبليس فأصرّ واستكبر ، وأما آدم فندم وتاب ، وبالاستكبار صار إبليسُ رجيمًا ، وبالعودة إلى الحق صار آدم نبيًا! وهكذا نحن جميعًا فينا بذرة من كل واحد منهما ، بذرة إبليسية وبذرة آدمية ، ومنا من يسقي بذرته الإبليسية فيُصر ، ومنا من يسقي بذرته الآدمية فيرجع ، وتصرفاتنا لحظة وقوعنا في الخطأ هي التي تخبرنا إلى أيهما نحن أقرب!

عندما رأى عمر بن الخطاب مغالاة الناس في المهور ، أراد أن يخفف على الناس ، فصعد المنبر يريد أن يحددها بمقدار معين ، فقامت الشفاء بنت عبد الله في المسجد ، وقالت له لا يحق لك يا أمير المؤمنين إن الله قال : ﴿وإن آتيتم إحداهن قنطارًا﴾ فكيف تحدده؟

فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر!

الذي يرجع إلى الحق يعلو ولا ينخفض ، يعزُّ ولا يذل ، وما ضرّ أحدنا أن يقول لصاحبه إذا راجع نفسه ، لقد أخطأتُ وأصبتَ ، فهذا موقف لا خسران فيه أبدًا ، إننا نربح أنفسنا أولاً والآخرين ثانيًا!

الوطن
٢٠١٨/٣/١٨

لماذا أيها الأطباء؟!

يقولُ صَفيُّ الدين الهندي وهو من فقهاء الشّافعية الكبار ، ولي القضاء والإفتاء في الشام في عهد الملك المظفر ، وهو صاحب كتاب الفائق في أصول الفقه :

كان أقراني يعيبون عليّ سُوء خطي ، وكنتُ مرة في السوق ، فوقفتُ أمام دكان أحد الوراقين أقلِّبُ في الكتب ، فوقفتُ على كتاب لم أرَ في حياتي خطًا أسوأ من خط كاتبه ، فاشتريته ، وعدتُ إلى البيت سعيدًا ، لأحتج به على أقراني أن هناك من أصحاب المؤلفات من خطه أسوأ من خطي ، فلما فتحتُ الكتاب وغصتُ فيه ، فإذا هو لي ، وقد كتبته في أول عهدي بالكتب والتأليف ، والله المستعان!

سوء الخط ليس سُبةً ، ولا يُنقصُ من عِلم العالِم ، ولا فقه الفقيه ، وإن الدنيا لا تكاد تستقيمُ لأحد ، فنجد رائع العِلم رديء الخط ، ونجد رائع الخط رديء العلم ، وتجد من لا يعرف أن يزنَ بيت شعر عذب الإلقاء ، وكان أحمد شوقي أمير الشعراء لا يلقي قصائده لأنه لا يحسن أن يلقي!

والذي دفعني لهذه البداية في الخط أني قرأتُ البارحة تقريرًا للأكاديمية البريطانية للطب صادر عنها في العام ٢٠٠٦ يقول :

خطوط الأطباء تتسبب في وفاة أكثر من سبعة آلاف شخص حول العالم سنويًا!

ومن أمانة النقل أني قرأتُ دراسة تقول أن الأذكياء خطوطهم رديئة في الغالب ، والسبب في هذا أن أدمغتهم تعمل بسرعة أكبر مما تعمل أيديهم ، فتركض اليد محاولة إدراك سرعة الدماغ!

ولا شك أنكم تعرفون أن البطل منكم من يستطيع قراءة خط طبيب ، فالوصفات الطبية أشبه بطلاسم السَّحرة ، يوشك أحدنا حين يقع على وصفة طبيب أن يقول : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق قبل أَن يقرأ حرفًا واحداً!

وكنتُ أعتقد أن كتابة الأطباء لا يفهمها إلا الصيادلة ، وأنها أشبه بالرسائل المشفرة التي يكتبها الجنود في الحرب ولا يستطيع فهمها غير الجنود المعنيين بالرسالة في جهة أخرى من الحرب . . . إلى أن حدث ذات يوم وذهبتُ إلى الصيدلية لشراء أدوية بوصفة طبية طبعا . . . فأعطاني هي إلا دواء واحدا أخذ يتهجى اسمه ، ويتوقع ما عساه أن يكون مقارنًا مناسبته لاستخدامات الأدوية التي استطاع فكّ طلاسمها ومعرفة هويتها! ولما أعيته الحيلة ، اتصل بالطبيب المدون اسمه ورقمه على الوصفة ، فسأله عنه وقضي الأمر

أنا لا أريد أن يكون الطبيب خطاطًا ، ولا أريد أن أقرأ الوصفة بنفسي رغم أنّ هذا لا يقدح في عبقريته ولكن على الأقل أن يستطيع الصيدلي قراءتها! أشعر أحيانًا أن رداءة الخط هو «كورس» يدرسه الاطباء في الجامعة!

وأتفهم أيضًا انشغال الطبيب ، وحاجته لفحص جميع المرضى ، وارتباطه بين عيادته والمستشفى ، ولكن ما ضر الأطباء لو راعوا أنها وصفة دواء وليست طلبية حاجات تكتبها الزوجة لزوجها ، فهمها أو لم يفهمها فلا ضرر غير ما ستنكده عليه إن لم يحضر ما طلبت!

وأتساءل ماذا كان ليحدث لو أن الصيدلي لم يتصل بالطبيب حين لم يفهم خطه وقام بالتخمين وأعطاني دواءً غير ما أراده الطبيب!

طبعًا الرقم الموجود في إحصائية الأكاديمية الطبية البريطانية يذكر حالات الوفاة ، يا تُرى كم عدد الذين أصيبوا بالتسمم أو المضاعفات الصحية ولم يأتِ التقرير على ذكرهم؟

أيها الأطباء : حسنوا خطوطكم يرحمكم الله!

الوطن

٢٠١٨/٣/٢٠

لعلَّ له عذراً وأنتَ تلومُ!

في مرحلةٍ من عمره، اعتزل الإمام مالك الناسَ عشرين سنة، ما كان يشهدُ فيها صلاة الجمعة ولا الجماعة ولا يُشيّع جنازة، ولا يعودُ مريضًا، فلما سُئِلَ بعد ذلكَ عن سبب هذا قال: ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره!

استطرادًا -وليس هنا مربط الفرس- حاولتُ أن أعرف في أي مرحلة من عمر الإمام مالك كانت هذه العزلة، فلم أجد جوابًا شافيًا، والذي أرجحه وقد أكون مخطئًا أنها كانت في خلافة أبي جعفر المنصور، فالثابت تاريخيًا وفقهيًا أن من مذهبه قوله الشهير: «ليس على مستكره طلاق» والمعنى من أُكره على طلاق امرأته بالتهديد بالقتل أو غيره فلا يقع طلاقه على امرأته، فاتخذ الذين رفضوا بيعة أبي جعفر المنصور هذه الفتوى وأنزلوها منزلاً سياسيًا أن من بايع خائفًا على نفسه فليس في عنقه للمنصور بيعة، وعمل الوشاة عملهم فأوغروا صدر الخليفة على الإمام فجلده حتى قيل أن كتفه انخلعت من مكانها، وقد يكون اعتزل الناس بعدها والله أعلم!

أما مربط الفرس فهو قوله رضي الله عنه: ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره!

الناس حشريون كما تعرفون، وهم كما تصفهم حكيمة الدهر جدتي بقولها: يريدون أن يعرفوا البيضة من باضها والدجاجة من جاجها!

يقع طلاق بين زوجين ، والبيوت أسرار ، وثمة أمور لا تُشكى ولا تُحكى ، يشعر المرء بالحرج في الحديث عنها ، سواءً كان صاحب الحق أو عليه الحق ، ولكن الناس يريدون أن يعرفوا ولا غاية من هذه المعرفة إلا المعرفة ، فلا هم في صلحٍ قرروا أن يمشوا ، ولا هم في ترميم ما أفسده الدهر قرروا أن يسعوا!

تعتذر امرأة من صديقاتها عن مرافقتهم إلى حفل زفاف ، ينسين الزفاف وينشغلنَ لماذا قررت أن لا تذهب معهنّ ، الأولى تريد أن تعرف إن كان زوجها لم يعطها ثمن فستان ترتديه ، الثانية تريد أن تعرف إن كانت على خلاف مع حماتها ، الثالثة تريد أن تعرف إن كانت تكره العروس ، ولا هدف من المعرفة إلا المعرفة التي تسبب لصديقتهن حرجًا أكثر من حرج عدم الذهاب نفسه!

لماذا لا تذهب في إجازة يا فلان؟
ولماذا لا تغيرين أثاث بيتكِ يا فلانة؟
لماذا لم تُلبِ دعوة فلان ، ولَماذا لا تزورين أهلكِ؟

الذي يسألك لماذا لا تذهب في إجازة لن يعطيك تكاليف إجازة إن أخبرته أن المانع مادي ، ولن يصحبك إلى طبيب إن أخبرته أن المانع صحي ، ولكنها حشرية الناس!
التي تسألك لماذا لا تغيرين أثاث بيتك وهي تخبرك كيف غيرت هذا وذاك تريد فقط أن ترفع ضغطك ، ولن تقدم لك حلاً مهما كان السبب الذي قلتيه لها!!
والذي يسألك لماذا لم تلبِ دعوة فلان يريد فقط أن يتأكد من

السيناريو الذي تخيله بينك وبين فلان فقط!

والتي تسألك لماذا لا تزورين أهلكِ تريد أن تستمتع بأسرار بيتكِ ولو قلتِ لها المشاغل والالتزامات ستقول لكِ غير معقول ، وغير معقول تعني هاتي المخبوء يرحمكِ الله!

الإنسان غالبًا يتكيف مع ظروفه مهما كانت سيئة ، وحدها حشرية الناس هي التي تفسد عليهم تكيفهم هذا ، يبقى قليل الراتب صابرًا حتى يأتيه من يريد أن يعرف كيف يكفيه ، وتبقى الزوجة المحتسبة صابرة حتى تأتيها من تريد أن تعرف كيف تصبر على كل هذا!

ما لكم وللناس ، اتركوا المخبوء مخبوءاً حتى يقرر صاحبه أن يكشفه ، وفي هذا يقول أحد دهاة العرب : لم يغلبني إلا جارية رأيتها تمشي وفي يدها طبق مُغطى ، فسألتها : ماذا في الطبق يا جارية؟

قالت : فلمَ غطيناه إذاً!

الوطن

٢٠١٨/٣/٢٢

جاوِرْ السَّعيدَ تسعَدْ!

تقولُ العامة في أمثالها : جاور السّعيد تسعدْ!

وأمثال العامة لا يمكن التسليم بها جميعًا ، فبعضها أحمق من أبي غبشان الذي باع سدانة الكعبة في الجاهلية لقصي بن كلاب بزقٍّ خمر! وبعضها يفيضُ حكمة كأنه كلام لقمان!

وعلىً ما يبدو أن قولهم جاور السّعيد تسعد فيه من الحكمة الكثير ، وهذا ليس مجرد رأي مني ، وإنما أثبته العلم ، أجل العلم ولا تتعجلوا فسآتيكم «من سبأ بنبأ يقين»!

منذ شهر تقريبًا قرأتُ دراسة بريطانية تقول :

إن السعادة مُعدية ، وفور البدء بالانضمام لمجموعات سعيدة من الناس والابتعاد عن البؤساء حتى في مواقع التواصل الاجتماعي فستتحسن حالتك النفسية!

وقتها قلتُ في نفسي ، دراسة يتيمة ، والدراسات أحيانًا أكذب من أمثال العوام ، ولكن شاء الله أن لا تبقى هذه الدراسة يتيمة وأن يكون لها أهلون ، فقد قرأتُ البارحة أن هناك دراسة نمساوية حيث قام الدارسون بوضع طلاب أذكياء وسط مجموعة من الطلاب الأغبياء فانخفض معدل ذكائهم ، وبذلك أثبتوا أن الغباء مُعد فعلاً!

وفي الحقيقة لسنا بحاجة إلى الدراسات لإثبات هذا الأمر ، فمنذ قديم الدهر قالت العرب : الرفيق قبل الطريق! هذا لأنهم عرفوا أن إنسانًا غثيثًا بإمكانه أن ينكد على قافلة كاملة ويجعل السفر من مدينة إلى مدينة كأنه رحلة ماجلان حول العالم لإثبات كروية الأرض! وبالمقابل قد يجعل آخر السفر الذي هو قطعة من العذاب رحلة عذبة يرغب المرء بتكرارها!

وكذلك من قديم الدهر قالوا : الجار قبل الدار! لأنهم عرفوا أن جارًا سيئًا قد يجعل دارك الواسعة أضيق عليك من خرم إبرة ، وأن جارًا جيدًا قد يجعل دارك الضيقة أوسع عليك من قصر الخليفة!

وعلى سيرة جيران السوء ، باع شاعر بيته بسعر رخيص ، فلامه الناس على هذه الصفقة الخاسرة ، فأنشد قائلاً :

يلومونني أن بعتُ بالرخص منزلي
ولم يعلموا جارًا هناك يُنغصُ
فقلتُ لهم : كفوا الملام فإنما
بجيرانها تغلو الديار وترخصُ

وباع أعرابي داره ، فسئل : لمَ بعتَ دارك؟
فقال : لم أبعْ داري وإنما بعتُ جاري!

وعلى سيرة الجار الطَّيب ، روى الزمخشري في ربيع الأبرار قال : باع أبو الجهم العدوي داره بمئة ألف دينار ، ثم قال لمن اشترى : بكم تشتري جوار سعيد بن العاص؟!
فقال المشتري : وهل يُشترى جوار قط؟
فقال أبو الجهم ، ردوا عليَّ داري إذًا ، والله لا أترك جوار رجل إذا غبتُ سأل عني ، وإذا رآني رحب بي ، وإذا غبتُ حفظني ، وإذا حضرتُ قرّبني ، وإذا سألته أعطاني ، وإذا لم أسأله ابتدأني!
فبلغ ذلك سعيد بن العاص ، فأرسل إليه مئة ألف دينار مع رسالة كتب فيها : هذا ثمن الدار ولا تترك جوارنا أبدًا!

المهم من هذا كله ، تجنبوا النكديين ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً ، بدقيقة واحدة يستطيع أحدهم أن يفسد يومك من شروق الشمس حتى مغيبها ، ويفسد ليلتك من أول المساء حتى مطلع الفجر ، وإياكم أن تخلطوا بين المتشائم والنكدي ، المتشائم هو الذي يرى نصف الكوب الفارغ ، بعكس المتفائل الذي يرى نصف الكوب الممتلئ ، أما النكدي فلا يعنيه لا النصف الفارغ ولا النصف الممتلئ ، كل ما يعنيه أن يكسر الكوب لينغص عليك ويرتاح!

الوطن
٢٠١٨/٣/٢٥

دُيُونٌ لا تُسَدَّد!

كانت الأمُ تجلي الصحون عندما دخل عليها ابنها الصغير وناولها ورقة وقال : هذه الفاتورة يا أمي!

جففت الأم يديها ، وأخذت الورقة من ابنها فإذا فيها :

دولار أجرة قيامي بتنظيف طاولة الطعام ، دولاران لاهتمامي بحوض الأزهار في الحديقة ، وثلاثة دولارات للعلامات المدرسية العالية التي حققتها!

أخذت الأم الورقة بهدوء دون أن تُحدث ردة فعل ، وجلست إلى الطاولة في المطبخ ، وكتبت تحت ما كتبه ابنها ما يلي :

حملتك في بطني تسعة أشهر مجانًا ، وذقتُ الموت وأنا أنجبك مجانًا ، قمتُ من نومي لإرضاعك كل ليلة مجانًا ، كل يوم أطبخ طعامك وأغسل ثيابك وأرتب غرفتك مجانًا ، أداويك حين تمرضُ مجانًا ، والعلامات العالية التي حققتها أنا درستك موادها مجانًا!

القصة رمزية ولم تقع فعلاً ، وإنما الغرض منها أن نعرف أن ثمة ديون لا تُسدد ومواقف لا تُنسى ، ليس في علاقة الأولاد بالأبوين فقط فهذا دَينٌ اتفقت الأديان السماوية والأخلاق الحميدة والفطرة البشرية أنه لا يُسدد ، وقد حملَ ولدٌ أمه المقعدة على ظهره وحجَّ بها ، يطوف ويسعى ويرجم ، فلقي عبد الله بن عمر فقصَّ عليه الخبر ، ثم سأله : أوفيتها حقها؟

فقال عبد الله : ولا بطلقة من طلقاتها!

النبيل ينتهز أدنى فرصة ليسدد ولو جزءًا يسيرًا من معروف أُسدي إليه ، وهذه أخلاق الأنبياء ، يوم رُجم النبي ﷺ في الطائف ، وقفل عائدًا إلى مكة عرف أنهم لن يدعوه يدخل ، وأنه لا بد أن يدخل في جوار أحد الأقوياء ، فأرسل إلى مطعم بن عديّ ليجيره ، فقبل مطعم ، ودعا أولاده وفرسانًا من قومه وقال لهم كونوا عند البيت ثم أخذ النبي ﷺ إلى هناك ونادى في الناس : يا معشر قريش قد أجرتُ محمدًا فلا يقربنه أحدًا!

ولما كانت معركة بدر ونظر النبي ﷺ إلى أسرى قريش قال : لو كان مطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له!

وهذا من أبلغ دروس الوفاء في التاريخ!

ثم قد لا تأتي لحظة تسمحُ لكَ أن تردّ معروفًا أُسدي إليك ، ولكن المهم أن لا تنسى!

دخلت امرأة من الأنصار على عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك وبكت معها كثيرًا دون أن تنطق بكلمة!

تقول عائشة : والله لا أنساها لها ما حييت!

لم تنسها عائشة لها رغم أنها لم تكن إلا دمعات!

ولما تخلّف كعب بن مالك عن غزوة تبوك ، وصدر القرار النبوي بمقاطعة كل من تخلف ، لا سلامًا ولا كلامًا ، ضاقت الأرض على كعب ، ثم تاب الله عليه لما علم من صدق قلبه ، فلما دخل المسجد مستبشرًا ، قام إليه طلحة يهرول ثم احتضنه!

يقول كعب : لا أنساها لطلحة

لم ينسها كعب رغم أنها لم تكن إلا عناقًا!

الديون ليست أموالاً فقط
الديون كلمة حانية في لحظة انكسار
ومواساة في لحظ حزن
ومساندة في لحظة ضعف
وإرشاد في لحظة تيه
ونصيحة في لحظة طيش
وضمة في لحظة عزاء
وتربيتة على كتف وقلب في لحظة وهن
هذه ديون مسموح أن لا تُسدد ولكن من العار أن تُنسى!

الوطن
٢٠١٨/٣/٢٧

حتى وإن!

قيل للحسن البصري : إن فلانًا لا يعظُ الناس . . ويقولُ أخافُ أن أقول ما لا أفعل!

فقال الحسن : ومن منا يفعل ما يقولُ؟! ودَّ الشيطان أنه قد ظفر بهذا!

لم أبدأ المقال بهذه القصة لأقول :

لا بأس في أن نكون متناقضين ، وأن نفعل ما يحلو لنا ، المهم أن نقول قولاً سديدًا! ما هكذا يكون الاستدلال ، ولا من هنا تُؤكل الكتف ، ولا هكذا تُورَدُ الإبلُ يا سعد!

أيضًا لا يُستنتج من القصة أن على الجميع أن يكونوا وُعَّاظًا! الفكرة أن لا يمنعك الخطأ عن قول الحق ، أو على الأقل إن لم تستطع قول الحق فلا تصفق للباطل!

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

كثيرًا ما كنتُ أسمع أبي يقول : اللهم ارحم أبا الهيثم ، اللهم اغفر لأبي الهيثم!

فقلتُ له : ومن أبو الهيثم يا أبي؟

فقال : لَمَّا سجنوني في الليلة التي في صبيحتها جَلْدِي أمام الناس ، وكزني رجل وقال : أنت أحمد بن حنبل؟

قلتُ : نعم

قال : أتعرفني؟

قلتُ : لا

قال : أنا أبو الهيثم ، اللص ، شارب الخمر ، قاطع الطريق ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني جُلدت ثمانية عشرة ألف جلدة متفرقة ، وقد احتملتُ هذا في سبيل الشيطان ، فاحتمل أنتَ في سبيل الله يا أحمد!

فلما جلدوني كنتُ أتذكر كلامه فأصبر!

حتى وإن لم تكن من المصلحين فلا تكن ضدهم

حتى وإن كنتَ غارقًا في المعصية فلا تكن ضد أهل الطاعة

حتى وإن سرقتَ فلا تقل إن الذين لا يسرقون جبناء ، الأمانة تحتاج شجاعة أكثر مما تحتاجه السرقة!

حتى وإن زنيتَ فلا تقل إن الذين لا يزنون ليس لديهم شهوات ثمة أشخاص يتركون الأشياء لله فقط!

حتى وإن هجرتَ المساجد فلا تقل أن روادها يتصنعون التقوى!

حتى وإن شربتَ الخمر فلا تقل أن الذين لا يشربونها ليس لديهم مزاج ثمة أناس مزاجهم في الله ولله ومع الله!

حتى لو مشيتَ بالنميمة بين الناس فلا تقل أن الذين لا يمشون بها لا يعرفون ثمة أشخاص لو أرادوا أن يخربوا مدينة لخربوها!

حتى إن لم تتحجبي فلا تقولي أن الحجاب تخلف ورجعية!

حتى إن لم تطيعي زوجك فلا تقولي أن التي تطيع زوجها ضعيفة شخصية!

حتى إن لم تقف ضد الظلم فلا تقل أن الذين يقفون ضده دعاة فتنة!

حتى وإن لم تطالب بحقك فلا تقل أن الذين يطالبون بحقهم يخربون أوطانهم!

الخطأ سمة بشرية ، ارتكبناه في السماء قبل نزولنا إلى الأرض ، وسنبقى نرتكبه حتى ينفخ إسرافيل في الصور نفخته الأولى ، الملائكة يسكنون السماء لا الأرض ، نحن ذرية آدم نسكنها ، وعندما أخطأ عاد ورجع ، إبليس هو الذي عندما أخطأ استكبر ، وكان ضد الحق فقط لأنه لم يستطع أن يكون معه!

الوطن
٢٠١٨/٣/٢٩

مُصْطلحاتٌ خَادِعة!

أكـدَّتْ دِراسـة أنَّ المرأة أبرع من الرجل في إنجـاز الأعـمـال المكتبية ، فقدَ أثبتَ العلماءُ أنها أكثرُ تركيزًا وأقلُّ التهاءً كما هو الحال عند الرجال ، وكانت هذه الدراسة محط اعتراض كثيرين ، فقد تناقلتْ وسائل الإعلام أن الهدف منها إعطاء المرأة مكانًا أكبر في الوظائف العامة ، وأكد شهود عيان تململاً في صفوف الموظفين الرجال من نتائج هذه الدراسة ، وبالمقابل أيّد ناشطون مدافعون عن حقوق المرأة ما خلصت إليه الدراسة معتبرين أنه قد حان الوقت لإقصاء الهيمنة الذكورية على الوظائف!

لطفًا لا أمرًا أعِدْ قراءة الكلام أعلاه ، فهذا أمر ضروري لما سيأتي لاحقًا . .

سأفترض عزيزي القارئ أنك قرأت الكلام مرة ثانية ، والآن دعني أسألك عن عدة مصطلحات وردت فيه :

أكدت دراسة علمية : هل سألتَ نفسك أين جرتْ هذه الدراسة ، ومن قام بها ، ومن هي عينة الدراسة؟!

أثبت العلماء : هل سألتَ نفسك من هم هؤلاء العلماء ، وهل راودك الفضول لتعرف اسم واحد منهم على الأقل؟

كانت الدراسة محط اعتراض كثيرين : هل سألتَ نفسك عن هؤلاء الكثيرين الذين اعترضوا ، أين يعيشون ، ما هي ثقافتهم ، معتقداتهم ، مستوياتهم الاقتصادية؟

تناقلت وسائل الاعلام : هل سألتَ نفسك من هي وسائل الإعلام هذه ، هل هي قنوات متلفزة ، صحف ، مواقع تواصل ، من يديرها ، من يمولها؟

وأكد شهود عيان : هل سألتَ نفسك من هم شهود العيان هؤلاء ، وكيف كانوا هناك ليشاهدوا ، وما هو غرضهم من هذا التأكيد العظيم ، أو لمن أكدوا ما شاهدوه؟!

أيّد ناشطون : هل سألت نفسكَ من هم هؤلاء الناشطين ، ولماذا نشطوا لا أضاع الله لهم تعب نشاطهم؟!

الآن حان الوقت عزيزي القارئ لأخبرك أنّ الدراسة التي أكدت ليس لها وجود ، ولم تؤكد شيئًا ، أنا قمتُ بتأليف الكلام أعلاه «لغاية في نفس يعقوب» ، والعلماء الذين أثبتوا ، أنا جعلتهم يثبتون ، والكثيرين الذين اعترضوا ، أنا جعلتهم يعترضون ، ووسائل الإعلام التي تناقلت أنا جعلتها تتناقل ، وشهود العيان أنا جعلتهم يشاهدون ، والناشطون أنا جعلتهم ينشطون ، حتى أولئك الذين تململوا أنا جعلتهم يتململون!

الهدف من هذا الكلام كله أن أخبركم أن ثمة مصطلحات تُستخدم لخداع الرأي العام ، لأنها عادة ما تبعث على الارتياح عند القارئ ، وتجعله يُسلِّم بما قرأه ، فالدراسات العلمية توحي بجهد عظيم ، والعلماء يوحون بالثقة ، وشهود العيان يوحون أن الأمر قد وقع فعلاً ، والمعترضون يوحون أن تجاذبًا ما قد حدث ، ووسائل الإعلام توحي أن الأمر موثق!

ليس غرضي أن أقول أن المرأة أقل كفاءة من الرجل ، أو العكس ما لهذا جمعتكم ، وتبًا لي سائر اليوم إن كنتُ أردتُ هذا ، كل ما أردته أن تقرأوا بعقولكم لا بأعينكم ، وأن تحاكموا ما تقرأوه ولا تتلقوه بالتسليم كأنه وحي نزل من السماء ، وأن الرأي العام يُصنع كما تُصنع بقية الأشياء من الإبرة إلى الطائرة ، وأن الإنسان إذا لم يكن فطنًا سيتم حشوه بكثير من المعتقدات والأفكار الخاطئة .

كما لا يفوتني أن أنوه أني على استعداد لمساعدة أي إنسان يريد أن يجعل من رأيه أو فكرته الخاصة حقيقة ، في بضعة أسطر أستطيع تحويل الرأي إلى دراسة علمية ، وأوظف لها علماء لن يسأل عن أسمائهم أحد ، وأجعل وسائل الإعلام التي لا تهم أحدًا تتناقلها ، كذلك سأحضر شهود عيان ،ليشهدوا اعتراض المعارضين ، ورضى المدافعين!

وكل دراسة علمية وأنتم بخير!

الوطن
٢٠١٨/٤/١

أيها النّاس: نحن نهاية المطاف ناس!

أمَّا البداية فمن طين . . وأما النهاية فإلى طين . . وما بين الطينين نحن بشر . . تختلف أفكارنا ، تتنافر آراؤنا ، تتعدد معتقداتنا ، تتفاوت ثقافاتنا ، وكل هذه أمور مكتسبة لو لاحظتم ، أما نحن من الداخل ، فسواء «فطرة الله التي فطر عليها الناس»!

إحدى معتقدات الناس الظالمة ، أنهم ينتظرون من أناس آخرين أن يكونوا ملائكة لمجرد أنهم وصلوا إلى شيء مرموق مكتسب ، يستغربون أن يغضب إمام المسجد ، وتحب المُتدينة ، ويجمع المال الوزير ، ويكره الملك ، ويحب الأولادَ العالِمُ ، ويخاف البروفسور ، ويتذمر الفيلسوف ، ويشكو الثري!

لا الدين ، ولا العلم ، ولا المال ، ولا المنصب يجعلون من الإنسان ملاكًا ، ولو كان بإمكان فئة من الناس أن يكونوا ملائكة لكان الأنبياء ، ولكن سنة الله في الناس أن يبقوا ناسًا يحبون ويبغضون ، يوم ماتت خديجة رضي الله عنها بكاها النبي ﷺ بكاءً مرًا ، من قال أنها منقصة أن يبكي نبي زوجته ، وعندما مات إبراهيم الصغير بكاه النبي أيضًا ، من قال أنها منقصة أن يبكي النبي ابنه ، وعندما رُجم في الطائف عاد هائمًا على وجهه بأبي هو وأمي ، يسير حيث تأخذه قدماه ، ويقول عن هذا الخذلان الذي لاقاه ، وهذا الهم الذي أصابه : لم أستفق إلا وأنا في قرن الثعالب! فلماذا نريد من الآخرين أن لا يصيبهم الغم ، وأن لا يتكدروا ، وأن لا يمشوا أحياناً في الطريق وهم لا يعرفون إلى أين؟

كان يوم الزينة عندما جمع فرعون السحرة لنزال موسى عليه السلام ، وعندما ألقوا حبالهم وعصيهم ، «أوجس في نفسه خيفة موسى» ، ثم ثبته الله لأنه لا يترك رسله ، فلماذا نريد من الناس أن لا يخافوا وهذا كليم الله قد دخل إليه الخوف لحظة!

وعندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ، رجع بعدها إلى قومه فوجدهم يعبدون عجل السامري! غضب غضبًا شديدًا ، وألقى الألواح التي فيها التوراة ، ثم لما هدأ «فلما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح» ، فلماذا تريد المرأة زوجًا لا يغضب ، ويريد الرجل زوجة لا تغضب ، ويريد الموظف مديرًا من ثلج ، ويريد المدير موظفًا أحلم من الأحنف بن قيس ، يا أيها الناس نحن نهاية المطاف ناس!

صدر أمر السماء بصنع السفينة في الصحراء ، امتثل نوح عليه السلام ، دون أن يسأل نفسه ولو مرة ماذا تفعل سفينة في الصحراء ، ولما فارَ التنور ، وصبت السماء الماء صبًا ، وانشقت الأرض بالماء شقًا ، نادى نوح ابنه فأبى ، ولما غرق الولد تحركت غريزة الأبوة عند شيخ دعاة أهل الأرض «إن ابني من أهلي»! رغم أن المسألة عقيدة ، صراع كفرة وإيمان حيث لا مواربة ولا منطقة وسطى ولا حياد ، ولكن الأب أب! فلماذا نريد من الناس أن يكونوا ملائكة ، يا أيها الناس نحن نهاية المطاف ناس!

شذّ قوم لوط شذوذًا لم يسبقهم إليه أحد من العالمين ، أصدر الجبار أمره إلى رؤساء الملائكة ، إسرافيل وميكائيل وجبريل هم الذين سينفذون الحكم ، وفي الطريق إلى سدوم مروا بإبراهيم عليه

السلام في هيئة بشر ، إبراهيم الكريم يأتي بعجل حنيذ إلى ضيوفه ويقربه إليهم ، ولكنهم لا يأكلون ، عندها خاف عليه السلام ، وقد يتعجب ساذج ، خليل الله يخاف؟! أجل يخاف أليس إنسانًا ، ولكنه لما علم من هم هؤلاء الثلاثة ، ذهب خوفه وأنس «فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قم لوط»! فلماذا نريد من الناس أن يكونوا ملائكة ، يا أيها الناس نحن نهاية المطاف ناس!

الوطن
٢٠١٨/٤/٣

إنها فرصة لنتذكَّرهم!

خلال تصوير فيلم «Django unchained» اضطر الممثل ليوناردو دي كابريو للتوقف أكثر من مرة لأخذ استراحة لأنه تعب نفسيًا من الألفاظ العنصرية التي كان عليه سماعها .

لكن الممثل صامويل جاكسون الأسود البشرة - وهذا من باب التوصيف ليس إلا - قال له : صديقي ليوناردو استرجلْ فنحن متعودون على هذا!

الموقف على طرافته فيه كثير من الجدّة لمن أراد أن يقرأ ما بين السطور ، قد يقول قائل أن ليوناردو رجل «نعنوع» ، ولستُ بصدد أن أنفي أو أثبت ، بعيدًا عن الأشخاص وقريبًا من الموقف ، ما يمكن استخلاصه عبرة واحدة فقط هي أن العنصرية مقيتة وموجعة ، واعتياد الإنسان على تلقيها يجعله ربما أصلب في مواجهتها من المستجد فيها ، ولكنها تبقى موجعة ومؤذية على أيه حال ، فالذي اعتاد على حمل الأحجار الثقيلة سيتعب أقل من عامل في يومه الأول في هذا المجال ، ولكن هذا لا يجعل حمل الأحجار الثقيلة ترفًا!

ثمة أشياء بسيطة نملكها ولا ندرك أهميتها لأننا لم نذق طعم الحرمان منها ، ولو تذكرنا أولئك الذين يفقدونها لبدت لنا أشياؤنا البسيطة أشياء في غاية الأهمية!

يتذمر الأبوان من ولد عنيد صعب المراس ، ولكن هذا الولد المشكلة هو حلم زوجين حُرما من الأولاد ، لهذا إذا أراد الإنسان أن يخفف عن نفسه شقاء ما يجد فليتذكر شقاء من لا يجد أصلاً! وفي هذا يقول أحد الحكماء : كنتُ أتذمر من حذائي القديم حتى رأيتُ رجلاً بُترت قدماه!

إن وظيفتك الشاقة هي حلم ملايين العاطلين عن العمل!

وبيتك الصغير هو حلم ملايين المشردين الذين ينامون في خيام اللاجئين أو على قارعة الطرقات!

راتبك الذي بالكاد يصمد حتى آخر الشهر هو حلم ملايين الذين يرزحون تحت وطأة الديون!

زوجتك التي تجدها صعبة المراس أحيانًا هي حلم ملايين العازبين الذين يتمنون زوجة على أيه حال كانت!

زوجكِ العصبي أحيانًا هو حلم ملايين اللواتي فاتهن قطار الزواج وحُرِمنَ شعور أن تأوي امرأة إلى رجل آخر الليل!

الصحة التي لا ندرك أهميتها تعج المستشفيات بالذين فقدوها!

الحرية التي ترفل فيها ولا تحسبها شيئًا تعج السجون بالذين فقدوها!

حتى الضحكة التي تخرجها بعد نكتة تسمعها أو موقف طريف تمر به في العالم ملايين من الذين يرزحون تحت وطأة الهموم ولا تستطيع نكات العالم كله إضحاكهم!

أن نقوم ونتوضأ حين ينادي المؤذن «حي على الصلاة» ومليارات من البشر غارقون في الضلال نعمة تفوق كل النعم!

إن كان للسعادة من أسرار فهي في ثلاثة :

١ . انظر لمن يفقد ما لديك ولا تنظر لمن يملك أكثر منك

٢ . استمتع بما أُعطيت ولا تتحسر على ما أُخذ منك

٣ . عدد نعمك ولا تعدد همومك

الوطن ٢٠١٨/٤/٥

العقل الباطن!

يُحكى أن فلاحًا زار أحد فلاسفة الرومان في بيته ، وصادف وقت مجيئه وقت غداء الفيلسوف ، فأصرَّ على ضيفه أن يجلس معه على مائدة الغداء . . لبّى الفلاحُ دعوة صاحب البيت ، وعندما تناول طبق الحساء بين يديه رأى فيه أفعى صغيرة ، ولكنه رغم هذا أكل ما في الطبق لأنه كره أن يحرج الفيلسوف!

عاد الفلاح إلى بيته ولم ينم ليلته تلك من وجع في بطنه ، وقال في نفسه هذا أثر السُّم ، وفي الصباح الباكر قصد بيت الفيلسوف علّه يجد دواءً لما ألمّ به ، وكم كانت دهشته عظيمة عندما أخبره الفيلسوف أنه لم يكن في الطبق أية أفعى ، وإنما هذا انعكاس رسمة على السقف في الطبق ، واصطحبه إلى غرفة الطعام وسكب له طبقًا وقال : انظر أيوجد به أفعى؟

قال الفلاح : لا

عندها وضع الفيلسوف الطبق تحت الرسمة التي في السقف مباشرة ، انعكست صورة الأفعى فيه ، ثم قال له : الأفعى توجد في عقلك فقط!

الغريب أن الألم في بطن الفلاح زال فور معرفته بالحقيقة!

المفترض أن العقل هو الأداة التي يميز بها الإنسان الحقائق من الأوهام ، ولكن الإنسان أحيانًا يُنشئ أوهامًا تصبح لها قوة الحقيقة ، فيتلقاها العقل كأقوى ما يتلقى الحقائق وبدل أن يعمل على دحضها كما هو مفترض يقوم ببناء تصرفات وردات أفعال مبنية على الأوهام ولكن لها فعل الحقائق في ذهن صاحبها!

الحيوانات التي تُربط مدة طويلة لا تُغادر أماكنها عندما نحلُّ وثاقها ، والسبب أن القيد المعنوي صار له في النفس قوة القيد المادي الذي هو الحبل!

نصنع للزريبة بابًا ولكن فتح الباب لا يؤدي دائمًا لفرار الحيوانات ، لأن إغلاق الباب مدة طويلة أنشأ بابًا معنويًا لم يفتح حين فُتح الباب المبني من الخشب!

ثمة عصافير حُبست في الأقفاص مدة تنسى فيها أن الغصن هو الأصل وأن القفص استثناء ، لهذا بعضها لن يطير بعيدًا إذا نسي صاحب القفص الباب مفتوحًا ، وربما لن يبرح القفص أساسًا وأكثر ما يفعله هو أن يخرج من الباب ويبقى قريبًا من القفص لأن قفصه الحقيقي في داخله!

وما ينطبق على الحيوانات حدث فعلاً مع الناس بعد إقرار قانون تحرير العبيد في أمريكا ، غادر العبيد مزارع أسيادهم ، ولكن المفاجأة كانت أن كثيرًا منهم قد عاد إلى تلك المزارع وأولئك الأسياد ، والسبب أنهم اعتنقوا الإنسان من المزرعة المادية ، ولكن المزرعة التي كانت تحبس جسده بقيت تحبس روحه ، فالحرية الحقَّة تنبع من الداخل ، وممارستها تكمن عبر إيمان الفرد أنه حر ولو كان يرزح تحت نير العبودية ، ولا مثال أصدق على هذا من بلال بن رباح وأمية بن خلف ، الإسلام حرر روح بلال ، فصار ندًا لسيده رغم أن أميه بعرف الصحراء كان يملك جسد بلال ، وعندما نقول أن أبا بكر أعتق بلال بن رباح فإننا نعني أنه دفع ثمن الجسد لأمية بن خلف أما الروح فكانت حرة تنطق «أحد أحد» قبل عقد تلك الصفقة الجليلة!

والأوهام غالبًا ما تكون لها صورة المعتقدات ، ومتى ما تحكمت بالإنسان جعلت حياته مزرية ، فالذي يؤمن أن لا وجود للأصدقاء من المستحيل أن يبني علاقة صداقة متينة مع أحد مهما كان هذا الأحد نبيلاً ويستحق أن يُدعى صديقًا! المشكلة أحيانًا فينا وليست في الآخرين!

والذي يؤمن أن لا وجود لزواج ناجح ،لن يكون زواجه ناجحًا ، هذا لأنه وسَمَ علاقة قبل أن يخوض غمارها!

لا يمكن للمرء أن يربح معركة دخلها وهو مهزوم من الداخل ، معارك المسلمين الأوائل كانت بغالبيتها غير متكافئة عددًا وعتاداً ، ولكنهم كانوا ينتصرون بالروح العالية والإيمان الراسخ اللذين كانا يجعلان الفارق في ميزان القوى غير موجود فعليًا ، وعندما وقف ثلاثمئة مقاتل لم يخرجوا أصلاً للقتال إنما طلبًا لقافلة قريش في وجه جيش مدجج يزيد عن الألف ، قال حمزة رضي الله عنه : إن كلّ ما أمامي لا يخيفني ، هم أكثر عددًا ولكننا بالإيمان أكثر قوة!

شعور النجاح والفشل يبدأ من الداخل ، فأصلحوا أفكاركم!

الوطن

٢٠١٨/٤/٨

الإجهاض!

دخلتْ امرأةٌ على طبيبتها وهي تحملُ بين ذراعيها طفلها البالغ من العمر تسعة أشهر ، وجلستْ بسرعةٍ على الكرسي قبالتها ، وبادرت قائلة حتى قبل أن تسألها الطبيبةً ما بك : أنا حامل وأريد منكِ أن تساعديني!

– وكيف أساعدكِ؟
– أريدُ منك أن تجهضي هذا الجنين الذي في بطني ، فلا أريد أطفالاً متتابعين!
– لديَّ حل أفضل لمشكلتك ، وأقل خطورة عليك أيضًا
– وما هو الحل؟
– بما أنكِ لستِ راغبة في تربية طفلين معًا ، أقترح أن تقتلي الطفلَ الذي تَحملينه في يدك لا الذي تحملينه في بطنك ، وهكذا يمكنك أخذ فترة راحة ريثما يولد ابنكِ الجديد ، وبما أنكِ راغبة في قتل أحدهما ، فلا يهم أيهما يكون ، وبهذا لن يَكون هناك أي خطر على صحتك ، ولا أية مضاعفات على جسمك
– ولكن هذه جريمة قتل أيتها الطبيبة ، وهذا طفل خلقه الله!
– بالتأكيد هي جريمة قتل ، ولكن من أخبركِ أن إجهاض الطفل الذي في بطنك ليس جريمة قتل أيضًا ، هو الآخر قد خلقه الله!

بداية تنظيم النسل في الأسرة هو أمر تركه الإسلام للزوجين ، وإن كان قد شجع على النسل فلم ينكر على أحد أراد أن يترك بين

ولد وآخر فترة من الزمن ، ومن أقوال الصحابة في هذا المضمار كنا نعزل والقرآن ينزل! بمعنى لو أراد الله أن ينهانا لفعل ولما لم يفعل سبحانه فقد أذن! أما الإجهاض فإن كان حفاظًا على حياة الأم فواجب بلا خلاف بغض النظر عن عمر الجنين ، أما الإجهاض لسبب آخر فالفقهاء على قولين ، الأول يجوز الإجهاض قبل نفخ الروح في الجنين ، والثاني حرمه مطلقّا ، وهذا ما أدين الله به ، فالأشياء موجودة إما بالقوة أو الفعل كما يقول الفلاسفة ، بمعنى الموجود بالقوة هو ما لديه القدرة على أن يكون موجودًا بالفعل ، البذرة هي نبتة بالقوة لأن فيها القدرة على أن تكون نبتة ، فإن كانت نبتة انتقلت من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ، والبنت الصغيرة هي امرأة بالقوة ، لأن لديها مقومات أن تصبح امرأة في المستقبل ، فإذا صارت كذلك كانت امرأة بالفعل ، وعليه قِس ما تبقى ، كالبيضة هي طائر بالقوة ما يلبث أن يصير كذلك بالفعل ، والزهرة في شجرة التفاح هي تفاحة بالقوة فإذا صارت كذلك كانت تفاحة بالفعل!

الجنين في بطن أمه هو إنسان بالقوة وقتله برأيي لا يختلف كثيرًا عن قتل إنسان موجود بالفعل ، لو أن طائرًا وضع بيضه في عشه وجئت وكسرت هذه البيوض ، فأنتَ في الحقيقة لم تكسر بيضة وإنما قتلت عصفورًا ، ولو أنك دخلت إلى أرض مزارع وعمدت إلى شجرته المزهرة فأسقطت زهرها ، أنتَ لم تسقط زهرًا بقدر ما أتلفتَ ثمرًا!

هذا في المطلق والمحاججة والقياس بقي أن الإجهاض بغير خطر على حياة الأم فيه وهن في العقيدة ، وسوء أدب مع الله! من حق الأم أن تأخذ فترة راحة بين ولد وآخر ولكن ليس من حقها إذا وقع الحمل أن تقتل جنينها لأنها تريد أن تستريح ، أو أن لا تتلف جسمها! والأمر أكثر مرارة وأوهن عقيدة إذا ما تم الإجهاض بسبب الخوف من قلة الرزق ، فتسمعهم يبررون : كيف نطعمهم جميعًا ، وكيف نعلمهم جميعًا وكيف نعالجهم جميعًا ، هذه التساؤلات قد تكون محقة قبل حدوث الحمل ، أما وقد وقع ففيها سوء أدب مع الله! الأب الذي يرزق نفسه فليسقط ابنه ، والأم التي ترزق نفسها فلتجهض جنينها ، أما العبد الذي يتحلى بالأدب مع الله ويعرف أن رزقه ورزق أولاده فقط من الله ، لا ينقصه إنسان ولا يزيده آخر ، فليحمد الله فإن في العالم أشخاصًا حرموا الأولاد ، ويتذكر أنه عبد لا يخلق ولا يرزق ، ولسنا إلا أسبابًا واقعة في قدر الله ، فلنتأدب .

وتحية لكل طبيب رفض أن يشارك في جريمة قتل!

الوطن
٢٠١٨/٤/١٠

اصنَعْ يومَ إنسان!

في عـام ١٩٩٥ فـاز المكسـيكي مـاريو مـولينا بجـائزة نوبل للكيمياء ، ولكن الحديث ليس عن كيمياء المختبرات ، أساسًا هذا شيء لا أجيـد الحـديث عنه ، والكيـميـاء مـادة لم أهضـمـهـا ولم تهـضـمني طوال سنوات جـهـادي على مـقـاعـد الدراسـة ، ولكن الحديث عن كـيمياء السعـادة فقد كان ماريو مولينا يقوم اسبوعيًا بتحضير الطعام لفنيي الصيانة في المختبر الذي يعمل فيه في جامعة بركلي في كاليفونيا ، ويقول أن أسعد لحظات حياته عندما يرى عمال الصيانة سعداء وهم يأكلون الطعام الذي حضره لهم!

الحـائز على جائزة نوبل في الطب لعام ٢٠٠٠ ، بول جرينجارد هو الآخر كان لديه مبادرة جميلة في إسعاد الآخرين ، فقد كان يكتب رسائل امتنان لكل من يصنع معه معروفًا مهما بدا صغيرًا لصانعه ، كان يكتب لجاره شكرًا لك منظر الورد على شرفتكَ جميل جدًا ، ويكتب لسائق سيارة الأجرة شكرًا لك قيادتك حكيمة وتبعث على الارتياح ، ويكتب لطفل يلعب كرة القدم في الحديقة العامة ، شكرًا لك لقد كانت تمريراتك متقنة!

ليس هناك أسهل من إسعاد إنسان ، كذلك بالمقابل ليس هناك أسهل من التنكيد عليه وإفساد يومه! ولا أعرف لماذا يختار بعضنا شرّ السهلين في حين بإمكانه اختيار خيرهما!

السعادة كالحبّ والمعروف تزداد بالمشاركة ولا تنقص ، والإنسان السويّ يشعر بلذة مضاعفة في السعادة التي يمنحها أكثر مما يشعر بلذة في السعادة التي يحصل عليها ، الذي يشتري الهدية يفرح بالابتسامة التي ترتسم على وجه من قدمها إليه أكثر مما يشعر من تلقاها ، والذي يعطي الصدقة أسعد بها ممن آخذها ، والبار بوالديه أسعد ببره منهما به ، والمُعانِق أسعدُ من المُعانَق ، والعافي أسعد من المعفيِّ عنه ، إن سعادة العطَاء أكبر بكثير من سعادة الأخذ ، ولكن كثيرًا من الناس لا يعلمون!

اصنع يوم إنسان تصنع يومك!

ثناء لزوجة على طبقٍ أعدته يصنع يومها

ابتسامة لعامل نظافةٍ في الشارع تصنع يومه

إشادة بتصرف جميل لأحدهم

الإعجاب برأي سديد لآخر

الشكر على منشور جميل وصلك

الإصغاء لمن يريد أن يفضفض

السؤال البسيط عمن تغير حاله

الاتصال بزميل متغيب

سؤال صديق عن قريب مريض

تعزية آخر بفقيد

كل هذه الأشياء البسيطة تصنع أيام الناس ، وما العمر إلا محطات قصيرة ولحظات ، وكما يقول مصطفى محمود : نحن لا نملك أكثر من أن نهوّن على بعضنا الطريق!

الوطن

٢٠١٨/٤/١٢

أَوْقِدْ شَمعةً!

يُحكى أنّ ملكاً طلب من وزيره أن يحفرَ في الليل حفرةً في وسط الطريق ، ويضع فيها صندوقاً مليئاً بالذهب ، ويضع على فم الحفرة صخرة ، وأن يكلف حارساً أن يراقب ما الذي سيفعله الناس في الصباح!

مرَّ تاجرٌ فرأى الصخرة وقال : هذا تسيّب ، كيف لم يرَ الحارسُ الأحمقُ من الذي وضع الصخرة هنا؟

مرَّ رسامٌ فرأى الصخرة وقال : أي مستهتر فعل هذا؟! وأكمل طريقه .

مرَّ ثلاثةُ أصدقاء فقالوا : هذه بلد لا تطاق ، الفساد والفوضى في كل مكان .

مرَّ فلاحٌ وقال : خطأ جسيم أن تكون الصخرة هنا سأزيحها ، حاول أن يفعل ولكنها كانت ثقيلة ، طلب من المارة أن يعاونوه ، وبالفعل استطاعوا إزاحتها ، وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى الصندوق وفتحه فإذا هو مليء بالذهب وفيه رسالة من الملك يقول فيها :

هذه هدية الملك لمن بادر بحل المشكلة بدل أن يشكو منها!

الناسُ في هذه الدنيا يقسمون إلى قسمين :

قسم يلعن الظلام وقسم يُوقِد شمعة!

ولستُ أنكر لعن الظلام ، الباطل يجب أن يُعرّى ، والظلمُ يجب أن نُخبر عنه! ولكن تعرية الباطلِ ، والإخبار عن الظلم هو نوع من إيقاد الشموع أيضا! ولكن أحياناً يكون لعن الظلام وسيلة العاجز فقط ، يحسب وهو يمارسه أنه قام بالدور الذي عليه ، في حين أن الدور الأمثل والحقيقي هو إيقاد الشمعة!

السقف الذي ينز بالماء كل مطر لن تتعافى صدوعه إذا جلسنا تحته نلعن المطر! أصلح سقف بيتك ولتمطر متى شاءت!

الطقس البارد لن يصبح دافئاً إذا لعنّا الريح ، دفء نفسك!

الولد المتأخر دراسياً لن يحل مشكلته تأففك منه ، درِّسه ، خذ بيده ، استغلْ قدراته على ضآلتها تتغير الحال ولو قليلاً!

قولك أن فلاناً لا يصلي لعن للظلام ، أخذه معك إلى المسجد هو إيقاد شمعة!

قولك إن فلانة لبسها مستفز لعن للظلام ، نصحها هو إيقاد شمعة!

قولك أن فلاناً جاهل لعن للظلام ، إعطاؤه كتاباً هو إيقاد شمعة!

وهذا العالم لن يتغير بلعن الظلام وإنما بإيقاد الشموع!

كل طريق شُقّت كان آلاف قد لعنوا صعوبة المسير هناك حتى قرر أحدهم أن يشق طريقاً

كل جسر رُفع بين ضفتين كان آلاف قد لعنوا طول المسافة حتى قرر أحدهم أن يُنشئ جسراً

كل دواء تم اختراعه كان آلاف الناس قد لعنوا المرض حتى قرر أحدهم أن يصنع دواءً

حين كان الناس يلعنون النار قرر أحدهم أن يخترع إطفائية!

وحين كان الناس يلعنون البحر قرر أحدهم أن يخترع سترة نجاة!

وحين كان الناس يلعنون الحرب قرر أحدهم أن ينشئ ملجأً!

وحين كان الناس يلعنون الجفاف قرر أحدهم أن يحفر بئراً!

الفكرة أن المشاكل لن تكف عن الحدوث ، والصعوبات لن تنتهي ، والأزمات لن تزول ، ولكن الفرق بين الناس أن بعضهم سلبي ينشغل بشتم المشكلة والبعض إيجابي ينشغل بحلها!

لا يوجد في هذا العالم ظلام أقبح من الشرك والضلال ، ولكن الله سبحانه لم يكن يأخد الناس بالشرك والضلال ابتداءً ، كان يضيء لهم شمعة ، كان يرسل نبياً!

الوطن
٢٠١٨/٤/١٥

تعالوا نُشيِّعهم!

قرأتُ البارحة خبراً طريفاً عن مجموعة من الأصدقاء الذين كانت تربطهم صداقة متينة ، وكان أحد أعضاء هذه الشلة يُدعى «كاين كايبل» تعرّف على فتاة جميلة ووقع في غرامها ، فانشغل بها عن أصدقائه ، وقد حاولوا الإتصال به طوال ثمانية عشر شهراً إلا أنه لا يرد على اتصالاتهم ولا رسائلهم ، رغم أنه حسابه في الفيسبوك نشط وفعال ينشرُ فيه صوره مع حبيبته ، وعندما ضاقوا به ذرعاً اشتروا تابوتاً وكتبوا عليه اسم صديقهم العاق وأقاموا له جنازة رمزية الرسالة من ورائها : ليكن ما تريد أنتَ الآن ميتٌ بالنسبة إلينا!

وكنتُ أحسبُ أنّ هذا الأمر لا يحصل إلا عندنا ، ولكن يبدو أن البشر في هذا سواء! شخصياً عرفتُ أشخاصاً ، وسمعتُ عن آخرين هم نسخة عربية عن «كاين كايبل» ما إن يرتبط أحدهم بشريك العمر حتى يطوي صفحة أصدقائه وكأنه كان يمضي الوقت معهم ريثما يرتبط!

وإن كان هذا الأمر يحصل عند الشباب فهو عند الفتيات على نطاق أوسع! وربما هذا مرده برأيي أن المرأة جزء من حياة الرجل في حين أن الرجل حياة المرأة كلها! ولكن قد لا تبدو هذه الحقيقة ماثلة للعيان بسبب أن الرجل يبالغ في إظهار حبه ويصنع من الحبة قبة ومن قطرة الماء محيطاً وغالباً لا يطيق متى ينهي مكالمة الشوق ليعود إلى متابعة مباراة كرة القدم ، في حين أن المرأة بطبيعتها متمنعة ،

وقد تهيم حدَّ المحيط ولا يبدو منها إلا قطرة! والشباب الذين تركوا أصدقاءهم بعد ارتباطهم هم أقل من الفتيات اللواتي تركن صديقاتهن بعد الارتباط!

طبعاً أتفهم أن الارتباط مرحلة جديدة في حياة الإنسان تفرض عليه التزامات ومهاماً لم تكن من قبل وبالتالي من الطبيعي أن تشهد علاقاته بالآخرين تغييراً ، فليس من الطبيعي أن يصرف الشاب وقته في الزواج كما كان يصرفه في العزوبية ، والأمر سيان في حالة الفتيات هذا إن لم يكن التغير بصورة أكبر!

ولكن ما لا أتفهمه لماذا على الإنسان أن يتنكر لكل ماضيه بما فيه من أصدقاء ومعارف فقط لأنه ارتبط ، وما المانع أن نتزوج ونُبقي على صداقاتنا مع الآخرين وننظمها بما يتوافق مع ظروفنا الجديدة وفق استراتيجية جدتي في الاعتدال «لا يموت الذيب ولا يفنى الغنم»!

من حق أصدقائنا علينا أن نتفهم ظروفهم الحياتية الجديدة ، وأنهم بعد الارتباط لن يكونوا متاحين كما من قبل ، ولكن بالمقابل ليس من المنطقي أن نبقى نركض وراء إنسان يركض منا ، تدق عليه الباب فيهرب من الشباك ، وتقصده من طريق فيفر منك إلى طريق آخر كأنك مصاب بالجرب أو كأن معرفتك شبهة! مثل هؤلاء علينا أن نشيعهم ولا داعي للجنازة والتابوت بعض التكاليف في بعض الناس خسارة!

الوطن ٢٠١٨/٤/١٧

وأينَ السَّعادة في هذا؟!

قرأتُ البارحة أن كثيرين يعتقدون أنّ «مالكوم ميت» ربما يكون أسعد إنسان في العالم ، والسبب أن «مالكوم» أُصيب بسكتة دماغية تعافى منها عام ألفين وأربعة . ولكن هذه السكتة الدماغية تركت وراءها مضاعفات أبرزها أن مالكوم لم يعد يشعر بالحزن أبداً ، حالته أشبه ما تكون بالأعمى الذي لا ينزعج من الأضواء الساطعة إذا سُلطت عليه لأنه ببساطة لا يراها ،وهكذا «مالكوم» إن الأجزاء المسؤولة على التقاط الحزن في دماغه معطلة فهو لا يستطيع أن يتفاعل مع الحدث ويحزن!

لا أعرف إن كان أحداً منكم يوافق على تصنيف «مالكوم» من السعداء ، كونه غير قادر على الحزن!

شخصياً أراه إنساناً تعيساً جداً ، لا لأني «مازوشي» والعياذ بالله ، ولكنّي أُميِّز بين الأفعال الإرادية والأفعال غير الإرادية ، فمثلاً أحترم الإنسان الذي يعفو ولكن العفو لا بد له من مقدرة على العفو أولاً ، والذي يعفو عن عجز منه عن الإنتقام إنما هو ذليل في ثوب العَفُوِّ!

كذلك لا يمكن أن يكون المرءُ عفيفاً ما دام لا يشتهي ، لا يمكنك أن تقول أن فلاناً البالغ ثمانين سنة من العمر لا يسعى وراء النساء بالحرام في حين أنه بالكاد يقدر أن يقوم من فراشه ، ما لم يكن الإنسان يدافع نار الشهوة فلا يمكن وصفه بالعفة!

وهذه بالضبط حال صديقنا «مالكوم» إنه إنسان لا يشعر بالحزن لا لأن حياته مليئة بالفرح بل لأنه عاجز عن الحزن أساساً ، إنها صفة عجز لا صفة كمال ، وإلاّ بنفس المنطق أقول لك إنّ فلاناً الأعمى يغُضُّ البصر! أي غض بصر هذا وأنت لا ترى أساساً!

لست أنادي بالحزن ولا أقدسه ، أحبُّ الفرحَ والفرحين ، وأعرف أن الحزن ما جاء في القرآن إلا منهياً عنه! رغم أن المفردة وردت أكثر من عشرين مرة في المصحف!

ولكن ما أقوله أن الحياة لا تبقى على وتيرة واحدة ، إنما هي مد وجزر ، إقبال وإدبار ، وثمة مواقف يكون الحزن فيها صفة إنسانية لا غنى عنها وما عدا ذلك نقص في الإنسانية! هذا بالطبع مع التأكيد أن الحزن لا يتنافى مع التسليم بقضاء الله وقدره ، وهذه الإشكالية يمكن تلخيصها بحادثة وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ ، يومها قال رسول الله : «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي الله» .

هذا الموقف وأمثاله ما أعنيه حين أقول أن الحزن من كمال الإنسانية وغيابه نقص ومثلبة!

إذا ماتَ «لمالكوم» ابن فسيقف في جنازته كالأطرش في الزفة يرى الحدث ولا يتفاعل معه!

وإذا طُرِد من عمله فسيعود إلى بيته كالمهرج مبتسماً!

إذا زار صديقاً في مرض وليس في عينيه لمحة حزن فأين السعادة في هذا وهل السعادة إلا الإحساس بالآخرين؟!

إذا احترق بيته فما الذي سيفعله أكثر من أن يشعر إن كان يشاهد احتراق منزل في فيلم!

أعرف أن الحزن شعور صعب ، ولكن صدقوني ثمة مواقف في الحياة لا يوجد أقسى من أن تحزن تجاهها إلا أن لا تحزن!

ودمتم بسعادة!

الوطن

٢٠١٨/٤/١٩

عن الذين لا يعرفون أنهم قالوا!

على الرغم من شهرة الفيلسوف اليوناني سقراط ، وتداول أقواله وحِكمِه ، وقصص رواها ، وأحداث شهدها ، إلاّ أنه لم يُدوِّن شيئاً عن فلسفته وعلمه ولم يُؤلِّف كتاباً قطّ!

طبعاً ليس بالضرورة أن يؤلف المرءُ كتاباً ليُعرف ، ثمة أشخاص وإن زهدوا هم بالتدوين نجد كثيرين لم يزهدوا بهم وكتبوا عنهم ، ومشاهير التاريخ من غير الكُتّاب والفلاسفة أكثر من الكُتّاب والفلاسفة! وليس بالضرورة أن يكتب المرءُ أقواله ليتناقلها الناس ، فإن ذاكرة البشرية المنقولة شفاهاً كانت أكبر من تلك المكتوبة حتى أمدٍ قريب ، وكثير من العلوم نشأت وأينعت وآتت أكلها قبل أن ينبري لها من يدونها ، خذ على سبيل المثال شعر العرب في الجاهلية فقد كان الناس يتناقلونه كأوثق ما نتناقل الكتب اليوم ، والحديث النبوي الشريف تأخر تدوينه حتى خلافة عمر بن عبد العزيز!

وإن كان لا يمكنة اليوم _مع تطور أدوات الكتابة والتدوين والتوثيق _رد كل قول ليس مدوناً ، إلا أنه بالمقابل صار هذا التناقل الشفهي مثار شك ، وأنا وإن كنت لستُ شكاكاً إذا ما تعلق الأمر بالعلم والأدب ، ولستُ ديكارتيَّ النزعة إلا أني أشك في نسبة كثير من الأقوال لأصحابها! والفضل أو الإثم بتعبير أدق يتحمله أصحاب حسابات الأقوال المشهورة والاقتباسات والنقولات في مواقع التواصل عموماً وفي تويتر خصوصاً!

والغريب في مواقع التواصل أنها تضربها «الموضة القولية»، فكما في عالم الأزياء يدرج كل موسم لون محدد ما يلبث أن يُطوى في الموسم الذي بعده، كذلك هي أقوال القائلين الذين أشك أساساً أنهم قالوا!

يمر علينا شهر في مواقع التواصل تصبح كل أقوال الأرض لديستويفسكي، مع أن الرجل ماتَ وشبع موتاً ولم يعد بإمكانه تأليف أكثر ممّا ألّف، وكتبه موجودة، ولو نبشتها فلن تجد أكثر من عشرة بالمئة من الأقوال التي قيلت أنها له هي له فعلاً!

يتركون ديستويفسكي وشأنه ثم تصبح كل أقوال أهل الأرض لجلال الدين الرومي، ثم يحيلون جلال الدين الرومي على التقاعد ويمنحون أقوال أهل الأرض لشمس التبريزي! مرةً يصبح جبران خليل جبران صاحب ألف قول لم يقله، وأخرى يحمل غسان كنفاني راية القائلين، بعد ذلك يستلم زمام الأمور شكسبير، ثم يقيلونه ويُسندون الأمر إلى مارك توين، وهكذا تضيع حقوق الناس الذين قالوا ما نُسب لغيرهم، وتُبنى في الناس ثقافة هشة خاطئة متخمة بأقوال لأدباء هم منها كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب!

لا يقدح في ثقافة المرء أن يحفظ بيت شعر دون أن يعرف قائله، وليس سُبة أن يذكر المرء حكمة أو مقولة جميلة بين علامتي تنصيص لأنه لا يعرف قائلها، ولكن البعض من باب التباهي الثقافي، والفشخرة الأدبية، يجدون حرجاً في نقل قول دون تذييله باسم أدبي لامع! وهؤلاء يشوهون الثقافة بدل أن يخدموها، وهم

جُناة أكثر منهم ناقلي معرفة ، وإن كان هناك جناة وهم هؤلاء المتباهين المتفشخرين فإن هناك ضحايا يتلقون منهم القول مع صاحبه الذي ليس صاحبه عن ثقة ، وأنا شخصياً كنت مرات كثيرة ضحية هذه الثقة ، فكثيراً ما قرأتُ قولاً ممهوراً باسم شخص ما ونشرته عن حسن نية وثقة كما وصلني لأكتشف بعد ذلك أني جزء من لعبة التزييف هذه حتى أخذتُ قراراً أن لا أضع اسم القائل ما لم أكن على يقين أنه الذي قال وإنما أكتفي بوضعه بين علامتي تنصيص على أنه مقتبس طبعاً هذا بعد محاولتي التأكد إن كان القول منسوباً لقائله فعلاً! فإن عجزتُ فالأقواسُ تُصلِح ما أفسد الناسُ!

شيء من الأمانة في النقل لن يضر أحداً ، فتثبتوا يرحمكم الله!

الوطن

٢٠١٨/٤/٢٢

عيش اللحظات أم توثيقها؟!

قرأتُ البارحة عن دراسة مفادها أنَّ تركيز الإنسان على توثيق اللحظات التي يعيشها يُفسد عليه متعة عيشها لأن الدماغ يكون منصباً على الصورة لا على الحدث فيفقد الإنسان جزءاً كبيراً من السعادة التي كان من الممكن أن يحصل عليها لو اندمج باللحظة!

ويمكنني أن أُقرِّب لكم مفهوم الدراسة -حسب ما فهمتُ منها- بمثال بسيط خطر لي وأنا أقرأ ، الفرق بين عيش اللحظة وتوثيقها كالفرق بين مؤرخ وسائح في مكان يعبق بالتاريخ ، الأول يعمل والثاني يستمتع وإن كان في عمل الأول متعة إلا أنه يبقى عملاً!

بالمناسبة . حتى فترة قصيرة جداً كنتُ ضد توثيق اللحظات ، ولكنني الآن لستُ ضدها ، وإن كنتُ ضد المبالغة فيها ، والسبب الذي دفعني لأصبح أكثر مرونة تجاه الأمر أني قضيتُ منذ شهر ساعة كاملة مستمتعاً بصور عائلتنا القديمة وبعض تلك الصور لم يعد أصحابها بيننا ، فقلتُ : الحمدُ لله أنهم وثقوا تلك اللحظات! وإن كنتُ الآن لم أعد حاداً تجاه تصوير اللحظات ، إلا أني ما زلتُ على يقين أن بعض اللحظات لا تصلح إلا للعيش!

عيش اللحظات ليس بهذا السوء الذي يعتقده الأشخاص الذين جعلوا حياتهم كتاباً مفتوحاً على مواقع التواصل .

قراءة جملة جميلة في كتاب لن ينقص من جماليتها إذا لم نصورها وننشرها خصوصاً أننا جميعا نعرف أن نشر الأشياء لا يكون

غالباً بهدف إفادة الآخرين بقدر ما هو نوع من التباهي الثقافي!

وأكل وجبة لذيذة في مطعم فاخر لن ينقص من لذتها إذا لم نصورها وننشرها خصوصاً أنه لا يوجد هدف وراء هذه الخطوة سوى إخبار الناس أننا نأكل طعاماً لذيذاً .

هدية نتلقاها من شخص نحبه ستبقى تشعرنا بالسعادة ولو لم يعرف القاصي والداني أننا نتلقى الهدايا

لم يبقَ إلا أن يُوثق الناس لحظات سجودهم ، أساساً هذا شيء موجود وكلكم تعرفون!

الأدهى من هذا أن كثيرين يعتقدون أن الآخرين غير سعداء لمجرد أنهم لا ينشرون لحظات سعادتهم!

لا أعرف من أخبر هؤلاء أنّ الذي لا يصور نفسه وهو يقبل أيدي والديه بأنه ولد عاق .

وأن الذي لا يصور نفسه وهو يعانق زوجته هو زوج فظ غليظ .

وأن الذي لا يصور كتباً يقرأها هو إنسان لا يقرأ!

هؤلاء بخير على عكس ما يعتقده الآخرون ، يبرون آباءهم وأمهاتهم ، يحبون زوجاتهم ، يأكلون طعاماً لذيذاً ، ويصلون ، ويقرأون ، فقط هم يؤمنون أن في حياتهم مساحة من الخصوصية تعنيهم وحدهم ولا شأن للناس أن يعرفوا عنها!

توثيق اللحظات للذكرى شيء وأن يجعل الإنسان حياته كتاباً مفتوحاً شيء آخر ، لا تخلطوا بين الأمرين!

الوطن

٢٠١٨/٤/٢٤

المحبة!

تقولُ الأسطورة : فتحتْ المرأةُ باب منزلها قاصدة السوق ، فرأت في فناءِ منزلها ثلاثة شيوخ طاعنين في السن ، فقالت لهم : لم أركم من قبل ، يبدو أنكم غرباء ، ولا بدَّ أنكم جائعون ، هلّا تفضلتم بالدخول فأصنع لكم طعاماً!

قالوا : هل ربُّ البيت موجود؟

قالت : لا ، في عمله ، يعود في المساء .

قالوا : لا بأس ، إذا جاء دخلنا!

وفي المساء سألت الزوجة زوجها عمّا إذا كان قد انتبه للثلاثة في فناء البيت ، فأخبرها أنه دخل مسرعاً ولم ينتبه ، فأخبرته بالخبر ، فطلب منها أن تناديهم للدخول وبالفعل طلبت منهم الدخول ، ولكن أحدهم قال : نحن لا ندخل معاً ، أحدنا يدخل فقط .

استغربت المرأة وقالت : ولِمَ؟

فقال أحدهم : أنا الثروة ، وهذا النجاح ، وهذا المحبة . . اذهبي واسألي زوجك أيُّنا يدخل!

تناقشت المرأة مع زوجها من عساه يكون ضيفهم ، اقترح الزوج أن تدخل الثروة ، ولكن الزوجة قالت : ليدخل النجاح فإنه يجلب المال ، ولكن الخادمة التي كانت تسمع حوارهما قالت : أقترح أن تأذنا للمحبة ، ما قيمة المال والنجاح بدونها؟

وافق الزوجان على اقتراح الخادمة ، فخرجت الزوجة وقالت : لتدخل المحبة .

وكم كانت الدهشة عظيمة عندما قام الثلاثة ودخلوا معاً .

فقال الزوج : سمحنا للمحبة فقط بالدخول .

فقالت المحبة : لو سمحتم للثروة أو النجاح لدخل أحدهما فقط ، أما وقد سمحتم لي فحيثما وجدت المحبة كان معها الثروة والنجاح!

برأيي تقسم الأساطير من حيث المنشأ إلى قسمين :

قسم يولد من جهل الإنسان وقسم يولد من معرفته!

الإنسان كائن شغوف في تحليل الظواهر والأحداث ، وكان دأب البشرية منذ أن استوطنت الأرض أن تعطي تفسيراً للظواهر الطبيعية التي تشاهدها عياناً ، فإذا ما انقطعت بها سبل العِلم عزَّ عليها أن تقول أنها لا تعرف! فترخي العنان لجهلها الذي ينسج حول الظاهرة أسطورة ، عندما عجز الفراعنة في أرض مصر عن فهم سبب فيضان نهر النيل اخترعوا أسطورة عروس النيل وقالوا غضبَ النيل ولا بد من استرضائه ، فكانوا يعمدون إلى فتاة جميلة يزينونها و يوثقونها ثم يقدموها له قرباناً ليهدأ! وعندما عجز سكان بلاد ما بين النهرين قديماً عن تفسير ظاهرة خسوف القمر قالوا أن حوتاً في البحر قد ابتلعه ولا بد من تهديده وإخافته حتى يلفظه ، فكانوا يقرعون على الأواني المعدنية حتى يعيد إليهم الحوت قمرهم! ولمّا سطعت شمس العلم عرفنا لماذا يفيض نهر النيل ، ولماذا يحدث خسوف القمر ، فاندثرت الأسطورتين!

هذا بالنسبة لما يحوكه الجهل من أساطير ، أما بالنسبة لما يحوكه العلم أو لِنَقُل المعرفة بتعبير أدق ، فثمة أشياء يعرفها الإنسان يقيناً ،

تماماً كما أن الموت حقيقة لا مفر منها ، ولا ينكرها مؤمن ولا ملحد! وقد نشأت أسطورة جلجامش من رحم هذه المعرفة ، وكانت رحلة البحث الطويلة عن نبتة الخلود التي تجعل الإنسان لا يواجه حتمية الموت!

وهذه الأسطورة التي بدأتُ بها تنضوي تحت الباب الثاني من الأساطير ، أي التي تنسجها المعرفة ، عرف الناس أن النجاح بلا محبة ليس إلا فشلاً يرتدي زي النجاح فلا قيمة للشهادات ولا المناصب ولا الإنجازات ما دام الإنسان حقوداً لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ، ولا يألفُ ولا يُؤلف! ولا قيمة للثروة والذهب والقناطِير المقنطرة منه ما لم يجمعه الإنسان بنبل وينفقه بنبل!

وكما تقول الأسطورة : قد يدخل النجاح وحده ، وقد تدخل الثروة وحدها ، ولكن متى ما دخلت المحبة كان النجاح والثروة رفيقاها ، فانجحوا ، واغتنوا ، ولكن لا تنسوا أن تُحبوا!

الوطن

٢٠١٨/٤/٢٦

الألمُ جزءٌ من الحياة!

ليشرح لنا فلسفته في الحياة ، كتب آناتول فرانس القصة التالية :

اعتلى العرش ملك شاب ، جمع حكماء القصر ، وطلب منهم أن يكتبوا تاريخ البشرية ، ليقف على محطاته ويستخرج منه الدروس والعبر . بعد سنوات عادوا إليه يحملون المجلدات الضخمة

قال لهم : هذا كثير جداً ، ألا يمكنكم اختصار التاريخ؟

غاب الحكماء سنة ، وعادوا بمجلدات أصغر من الأولى ، ولكنه قال لهم : هذا كثير أيضا ، ألا يمكنكم اختصار التاريخ؟

عندها اقترب منه كبير حكماء القصر وقال له : جلالة الملك :

تاريخ البشرية يتكرر دائماً وبوسعي إن شئتَ أن أختصره لك بجملة واحدة

قالً له الملك الشاب : حبذا لو تفعل

قال كبير الحكماء : تاريخ البشرية يتلخص في عبارة واحدة : يولد الناس ، ثم يتألمون ، ثم يموتون!

آناتول فرانس فيما أعرفه عنه ليس «مازوخياً» يجد لذة في التشكي وتعذيب نفسه ، وليس سادياً يجد لذة في آلام الآخرين وأوجاعهم ، وهذا التوصيف ليس دفاعاً عنه وإنما وجدته من باب الضرورة كي لا يُفهم هذا من القصة المقتضبة أعلاه! كل ما يعنيه الرجل – بحسب فهمي له– هو أن الألم جزء من الحياة!

الألم جزء من الحياة هذه حقيقة يؤكدها القرآن ، حيث يقول جلَّ في علاه ﴿ولقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أي في صعوبة ومشقة ، الزواج مكلف ، العمل مضنٍ ، وتربية الأولاد مشقة ، والدرس بحاجة إلى مجاهدة ، والصبر علىً الناس جهاد أكبر ، حتى العبادات لا تخلو من كبد ، فصلاة الفجر شاقة ، والصيام مُتعب ، والحج مكلف ، وكلمة الحق خطرة ، والشهوة مستعرة ، والمال عزيز ، والعفة تحتاج إلى مجاهدة ، والأمانة أصعب من الخيانة ، وغض البصر خلاف الهوى ، والنفس أمارة بالسوء وطريق الجنة شائكة بينما طريق الناس معبدة!

من ظنّ أنه سيصل إلى هدفه دون تعب فلم يفهم الحياة بعد وإن كان يحياها ، ولم يفهم الدروس من القصص وإن كان يعرف القصص! لفة سريعة على حياة الأنبياء تخبرنا بمقدار الألم الذي لاقوه ، تسعمئة وخمسين سنة هي عمر نوح عليه السلام في الدعوة لم يُسلم معه إلا ثمانين على أكثر الروايات ، ثمانية عشرة سنة قضاها أيوب عليه السلام في المرض ، خمسة وثلاثون سنة فرّقت بين يعقوب عليه السلام وابنه ، ابراهيم عليه السلام يُقذف بالمنجنيق إلى النار ، وزكريا عليه السلام يُنشر بالمنشار ، ويحيى عليه السلام يقُدم رأسه مهراً لبغي ، وعن سيد الخلق فحدث ولا حرج!

تحصيل السعادة والراحة مطلب ، ولا يقول دين ولا عقل أن يُعذب المرء نفسه ، ولكن الدين والعقل يقضيان أن يفهم الإنسان الحياة ، طبيعتها أولاً ومقصودها ثانياً ، طبيعتها كبحر متلاطم الموج السابح فيها لا بد أن يصيبه البلل سواء قرر أن يسبح ليصل أو أن

يعيش على الهامش! ومقصودها فهي دار عبور لا دار إقامة ، ودار زراعة لا دار حصاد ، وكما يقول ابن القيم : الناس من ولدوا ما يزالون مسافرين وليس لهم محط رحال إلا في الجنة أو في النار! والعاقل لا يجمع عليه ألم الدارين!

وكما يقول ابن حزم : العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة!

الوطن

٢٠١٨/٤/٢٩

الرِّزق والأجل

في إحدى مستشفيات سيدني ، أعلن الأطباء وفاة المواطن الاسترالي « بيل مورغان « ، وأثناء نقله إلى ثلاجة الموتى ، وكان قد مضى على إعلان وفاته خمسة عشرة دقيقة ، فتح «بيل « عينيه ، فأسرع به الممرضون إلى غرفة الإنعاش ليتم إنقاذه ، ويتبين فيما بعد أن الأطباء أعلنوا وفاته لأن قلبه توقف ، ولم يستجب لكل محاولات الإنعاش ، ولا أحد أمكنه تفسير كيف عاد قلبه إلى العمل! ولكن القصة لم تنته هنا . . عاد «بيل» إلى حياته الطبيعية وقرر أن يشتري بطاقة ياناصيب ، ففاز بمبلغ سبعة وعشرين ألف دولار! القصة لم تنته هنا أيضًا! صار «بيل» حديث المجتمع ، وتهافتت عليه وسائل الإعلام ، وإحدى القنوات التي أجرت معه مقابلة ، أرادت منه أن يعيد تمثيل مشهد الفوز ، فاشترى بطاقة أخرى وكشطها ، وإذا به يربح في البطاقة الجديدة الجائزة الكبرى التي قيمتها مئتان وخمسون ألف دولار ، وهكذا تحول «بيل» بين عشية وضحاها من جثة فقيرة إلى رجل حي ثري!

عندما سمعت بالقصة أول مرة لم أصدقها ، فقدت بدت لي مختلفة وغير منطقية ، ولا أعرف ما الذي دفعني لأبحث عنها ، وأتثبت من حصولها أم لا ، أهو حب الفضول ، أم عدم استغرابي من أن تكون بعض مظاهر الحياة غير منطقية ، وبالفعل أمضيت قرابة ساعتين أبحث وانتقل من رابط إلى آخر ، ليتبين لي في نهاية المطاف أن القصة حقيقية ، وأن «بيل» الذي كان في طريقه إلى ثلاجة الموتى عاد إلى بيته وصار رجلاً ثريًا!

ولأنني دومًا أقول : إنَّ حُكمنا على حدث ما يختلف تبعًا للنظرة التي ننظر فيها لهذا الحدث ، وجدت في هذا الحدث شيئًا أعمق من قصة تروى في باب الحظ ، إنها أمر موغل في العقيدة ، تحكي أكثر ما يحفل به الناس ويقلقون بشأنه ، ألا وهما الأجل والرزق!

كان للقدر كلام آخر غير كلام الأطباء ، «بيل» ما زال أمامه عمر يعيشه ، لا أحد يستطيع إنهاء حياة مخلوق ما لم يصدر الأمر من السماء بذلك! والسماء لم تقل كلمتها بعد ، وأمر الموت لا يسع العقل فهمه ولا تحليله ، إن التسليم لله بشأنه هو الشيء الوحيد الذي يجعل الأمر منطقيًا! حدث مرة أن سمعت عن طفل رضيع في منطقتنا شرق بحليب أمه وهي ترضعه ، فاختنق ومات! هناك في حضن أمه ، أكثر الأماكن على وجه الأرض دفئًا وأمنًا قضى الجبار أن حياة الرضيع انتهت عند هذا الحد! بعد أيام ، شاهدت صورة من صور الحرب فيها رجل طاعن في السن يحمل بندقيته ، قلت في نفسي يومها : رضيع يموت في حضن أمه ورجل ينجو لسنوات في ميادين الحرب ، سبحانك ربي . لا تُسأل عما تفعل!

وبعيدًا عن موضوع اليانصيب في حله وحرمته ، المبلغ الذي حصل عليه «بيل» هو رزقه الذي كُتب له قبل أن يُولد ، وما كان يستقيم أن يموت دون أن يحصل عليه . .

لو فهمنا الحياة هذا الفهم ، أن الأجل مكتوب ، والرزق مقسوم ، لاسترحنا كثيرًا وأرحنا!

بأبي هو وأمي سيد الناس يريدنا أن نستريح ونريح فيقول : «إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي أنّ نَفْساً لنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها ، فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلب ، ولا يَحْمِلنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله ، فإنَّ الله تعالى لا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِهِ» .

وما أجمل إيمان الجدات اللواتي يقلن : «اركض ركض الوحوش غير رزقك لن تحوش»!

الوطن
٢٠١٨/٥/١

عن الذين يعرِفُون معنى الحرمان!

ماتَ ابنها الوحيد عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره .

فقال الزوج لزوجته : كل أبناء كاليفورنيا يجب أن يكونوا أبناءنا!

هذا الزوج اسمه «ليلاند ستانفورد» لم يجد طريقة في أن يجعل جميع أولاد كاليفورنيا أبناءه سوى أن يبني لهم جامعة! واليوم تعتبر جامعة «ستانفورد» إحدى أعرق الجامعات في العالم!

إن كان من نبلاء في العالم ، فهم أولئك الذين يعطون الآخرين ما حرموه هم!

«ولا يجرمنكم شنئآن قوم أن لا تعدلوا»

لقد كان ليلاند ستانفورد نبيلا حقًا!

وإن كان هذا الذي بنى جامعة تقتضي العدالة أن نشهد له بالنبلِ وإن خالفناه فكرًا ومعتقدًا ، فكيف بمن بنى أمة ، واتّبعناه اقتداءً وإيمانًا وحبًا وهيامًا ، ومن سواه غير رسول الله ﷺ يكون!

وليس الحديث سياقه المقارنة ، فقد قال الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

وحاشاه سيد الناس أن يقارن به غيره!

ولكن الكلام يجر بعضه بعضًا ، ولا بد للحديث من فاتحة ، وإلا فحيث وضع رسولنا قدمه تشرفتُ بوضع رأسي!

وإن المتأمل في حياته ﷺ يجدها مسلسلاً طويلاً من الحرمان، هكذا هم الأنبياء، أشد الناس بلاءً وهم على ذلك أكثرهم عطاءً، وخيرهم أعطاهم!

إن الذي حُرم القراءة والكتابة، قضى في أسرى بدر من كان منكم يحسن القراءة والكتابة فليعلم عشرة من المسلمين فذلك عتاقه! جاؤوه بالسيف، فأخذ منهم القلم، لم يرد أن يُحرم المسلمون مما حرم هو منه، وما حرمه إلا لتكون معجزة لا منقصة، وإلا لو كان الكمال رجلاً لكان هو!

وإن الذي حُرم حنان الأبوة طفلاً، فجاء

إلى الدنيا فوجد أباه قد غادرها قبل مجيئه هو الذي أمر ببر الآباء، وأوصى بحسن تربية الأبناء!

والذي حُرم حنان أمه وهو ابن ست سنوات، هو الذي أجاب السائل عن أحق الناس بصحبته: «أمك، أمك، أمك، ثم أباك!»

وإن الذي حُرم زوجته في مكة وهو بأمس الحاجة إليها، فخديجة لم تكن زوجة فقط، كانت جبهته الداخلية، وخطوطه الخلفية، وطريق إمداده مالاً، وحُبًا، هو الذي قال يوصينا في آخر عهده من الدنيا «واستوصوا بالنساء خيرًا» و«خيركم، خيركم لأهله».

وإن الفقير الذي كان يرعى الغنم لسادة قريش على دراهم قليلة يتقاضاها، هو الذي جاء بالزكاة، وحثَّ على الصدقة، وأرسى مبدأ التكافل!

الحياة مليئة بالحرمان ، وقلما تعطي كل شيء لأحد ، وإننا حين نرى ما أُعطي فلان ، فإننا لا نرى ما الذي حُرم منه ، ومن المفترض أن الذي حُرم من الشيء هو أكثر الناس بذلاً له لأنه أعرف الناس بلوعة الحرمان منه ، وعلينا أن نفكر بنبل ، ونتصرف بنبل . . فالذي لم تمتد إليه يد المساعدة ، فليمد بها يدًا ، فقد جرب حرمانها!

والذي لم يجد حنان الأب ، فليغدق على أولاده ، فقد جرب حرمانه!

والذي شهد معاملة أبيه السيئة لأمه فليكرم زوجته ، فقد جرب معنى أن تهان أم على مرأى من ابنها .

والتي لم تجد صديقة جيدة ، فلتكن هي الصديقة الجيدة .

إن معاقبة الآخرين بأشياء حرمناها نحن لن يعوضنا حرماننا القديم ، لا شيء كالعطاء يعوض الإنسان ما فقد!

الوطن

٣/ ٥/ ٢٠١٨

لا يوجد نوبل للأدب!

البارحة زفَّتْ صحيفة نيويورك تايمز إلى البشرية خبراً تقول فيه : جائزة نوبل للأدب لن تُمنح هذا العام ، لأن اللجنة الأكاديمية المسؤولة عنها تغرقُ في فضيحة تحرشٍ جنسي"!

بعيداً عن قضيّة التحرش الجنسي ، يعرفُ الجميع أن جائزة نوبل للأدب طالما خضعتْ لمعايير غير أدبية! فعلى عكس جوائز نوبل للمجالات العلمية كالكيمياء والفيزياء والطب التي تُعتبر إلى حدٍّ بعيد صادقة ومستحقّة ، تقفُ جائزة نوبل للأدب رهينة تجاذبات فكرية وعقديّة وسياسيّة . . . فمن السهل مثلاً أن يحصل كاتب على جائزة نوبل للأدب إذا تناول في روايته المحرقة اليهودية! بينما الصعود إلى القمر بدراجة هوائية أسهل من الفوز بجائزة نوبل للأدب لكاتب تناول في روايته المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحقِّ العرب ، مهما كانتْ تلك الرواية رائعة في سردها وبنيتها الروائيّة!

وكي لا يبدو الكلام رجماً بالغيب ، عندما منحتْ اللجنة الأكاديمية جائزة نوبل للأدب للروائي «بوريس باسترناك» عن روايته «الدكتور زيفاجو» التي يتناولُ فيها دكتاتورية الحكم الشيوعي يعرفُ الجميع أن الجائزة قد مُنحت له بضغط من المخابرات الأمريكية والمخابرات البريطانية! على أية حال أجبر النظام الشيوعي باسترناك على رفض الجائزة! وإن كان باسترناك قد رفضها قهراً ، فقد رفضها كل من سارتر وبرنارد شو طوعاً!

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قضية الجنس في الأدب ، أوغل في التاريخ ، وأبعد عمراً من «ألفرد نوبل» وجائزته ، ولا أعتقد أن أمة من الأمم دوّنتْ أدباً لم يحمل إيحاءات جنسيّة أو تصريحات ، بدءاً «بإلياذة هوميروس» ، مروراً بأدبنا العربيّ الذي أخذ حظّه الوافر من القضية! ويحفظُ دارسو الأدب على سبيل المثال لا الحصر هجاء «ولادة بنت المستكفي» لحبيبها «ابن زيدون» بعد خيانته لها مع خادمتها! ولم يخلُ أدب «نجيب محفوظ» من بعض هذا الشيء! وعند الغربيين حدِّثْ ولا حرج ، كتابات «هنري ميللر» زاخرة بالإباحية ، «والماركيز دو ساد» ترك وراءه أدباً فاحشاً ، وما قصّر «لورانس» في روايته «عشيق الليدي تشاترلي»!

ولكن يبقى الأدباء كغيرهم من الناس ، كالأطباء ، والمهندسين ، ولاعبي كرة القدم ، والنجارين ، وكانسي الطرق ، وعاملي المصانع ، منهم المريض ومنهم الصحيح ، وفيهم المكبوت والمُعافى ، والطيب والشرير! وإن كان بعضهم ترك أدباً جنسياً تقشعر له الأبدان ، إلا أن بعضهم ترك أدبا إنسانياً تُرفع له القبعة! ولكن أن تكون علاقة الأدب مع الجنس حبراً على ورق شيء ، وأن يستسلم أعضاء اللجنة المانحة لجائزة نوبل للأدب لغرائزهم شيء آخر!

كانتْ جائزة نوبل للأدب متهمة في مصداقيتها من قبل قضية التحرش هذه ، فكيف وقد أضافوها إليها؟! ولا يسعني في الختام إلا أن أُهنّئ نفسي وزملائي الكُتّاب الذين لم يكونوا من ضمن المرشحين للجائزة ، نحن براءة ولم يتحرش بنا أحد!

الوطن ٦/٥/ ٢٠١٨

إلفةُ الخطأ!

لم يرسل الله سبحانه رسولاً ، أو يبعث نبيًا ، إلا ولقي من قومه جدلاً ، وصدودًا ، ولم يحدثنا القرآن أن نبيًا واحدًا بُعث في الناس وقال : « آمنوا . . .» فأجابه الناس على الفور! بل إن العكس من هذا هو ما حدث . .

فشيخ دعاة أهل الأرض نوح عليه السلام لبث تسعمئة وخمسة وتسعين عامًا يدعو إلى الله ، لاقى فيها الصد والعذاب ، وما آمن معه إلا قليل ، وإبراهيم عليه السلام لم يسلم من أبيه آزر حتى يسلم من الناس ، وألقي عليه السلام في النار . موسى عليه السلام نعته فرعون بالفاسد الذي يريد تبديل دين الناس . وزكريا عليه السلام نشر بالمنشار ، ويحيى عليه السلام قُدّم رأسه مهرًا لبغي من بغايا بني إسرائيل . ولم يكن نزل من القرآن إلا خمس آيات عندما قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ : «ليتني أكون جذعًا حين يخرجك قومك» فسأله الرسول ﷺ مستغربًا : «أومخرجيّ هم؟» رد ورقة : «ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي! ولقد صدق ورقة بن نوفل ، فلقد أوذي وعودي!»

وبعيدًا عن الخلفية الدينية لهذه المواقف الآنفة الذكر ، ثمة خلفية اجتماعية مقيتة وراءها هي إلفة الخطأ ، حيث يمارس الناس عادات خاطئة ، ويتبنون عقائد زائفة تصبح لها مع طول المراس والمعايشة قوة الحقيقة ، ويدافع عنها أهلها دفاع أهل الحق عن حقهم بل أشد!

حتى الأنبياء عندما كانوا يغيرون معتقدات أقوامهم ، وعاداتهم ، ويبينون لهم خطأها ، لم يكن ذلك سهلاً وإنما كانوا يستميتون دفاعًا رغم جلاء الحقيقة ، وبيان زيف المعتقد ، ويعزون هذا الضلال إلى إلفة الخطأ صراحة لا كناية ولا مواربة ، وما قولهم «هذا ما وجدنا عليه آباءنا» إلا إقرارًا بهذه الألفة!

مصيبة إلفة الخطأ أنها لا تفسد الفكر فقط ، وإنما تفسد الفطرة ، فإن كان ذنب نوح في قومه أنه جادلهم فأكثر جدالهم ، وذنب إبراهيم أنه كسر أصنامهم ، لم يكن ذنب آل لوط سوى أنهم أناس يتطهرون ، فعندما تفسد الفطرة تصبح الفضيلة رذيلة ، والرذيلة فضيلة ، وإلا كيف يُعيّر آل لوط بالطهارة!

وأرى مصداق ذلك قول جدتي في مثلها : «لم يجدوا في الورد عيبًا» ، فقالوا له : «يا أحمر الخدين!»

ولذا ، فعلى الذين ينبرون لتغيير المجتمعات ، وتخليصها من شوائب المعتقد والسلوك أن لا تغيب عن أذهانهم حقيقة إلفة الخطأ . .

يعتقد كثير من الدعاة أن الخطأ في المجتمعات أمر حادث ، بينما هو في الحقيقة أمر متجذر ، الخطأ في المجتمعات ليست نارًا شبّت فجأة ، يكفي المصلح أن يلقي عليها دلاء ماء لتنطفئ ويعود الأمر كما كان!

الأمر أعتى من هذا وذاك . . . إنه يشبه محاولة فصل الملح عن الماء بعد أن شبع ذوبانًا فيه ، نسي الماء عذوبته السابقة ، والملح لن

يخرج بسهولة! وكل الدعاة الذين وهنوا ويئسوا فانكفأوا في بيوتهم أو اعتزلوا مجتمعاتهم فعلوا هذا لأنهم حسبوا الخطأ طارئًا ، ونارًا شبّت فجأة ، لم يعرفوا أنه لحم قد اختلط بعظم!

وفي إلفة الخطأ يروي الأوائل قصة تلخص الأمر كله!

قالوا : يحكى أن حجرًا ثقيلاً وقع على ذيل ثعلب فقطعه ، فرآه صديق له وسأله : «ما الذي حدث لذيلك؟» فقال : قطعته لأشعر وكأني أطير في الهواء ، يا لها متعة!

شعر الصديق بالغيرة ، وعمد إلى قطع ذيله! فلما شعر بألم شديد ولم يجد لذة الطيران ، قال لصديقه : «لم كذبت عليّ؟!»

فقال له : «خشيت أت تسخر مني فاخترعت القصة!»

فانطلقا في قومهما ، وكلما رأيا ثعلبًا حدثاه عن متعة الطيران دون ذيل ، حتى قطعت أغلب الثعالب أذيالها ، وكان القطيع كلما ولد ثعلبًا قطعوا ذيله ، وإذا وجدوا ثعلبًا له ذيل سخروا منه! وهيهات أن تقنع الثعالب بعدها أن الأصل أن يكون لها ذيول!

الوطن

٢٠١٨/٥/٨

إنها قاسية بما يكفي!

منذ أربعين سنة تقريبًا قُرع منزلُ الطبيب النفسي «جيروم موتو» . . . فتح الطبيبُ الباب، فبادر الرجل الواقف أمامه قائلاً: صباح الخير سيدي الطبيب أنا جار «كريس» المريض الذي يتعالج عندك، أوصاني إن حدث له مكروه أن أوصل لك هذه الرسالة، وقد انتحر «كريس» البارحة!

فتح الطبيب الرسالة فإذا فيها:

عزيزي الدكتور «موتو»:

لقد قررتُ الانتحار بالقفز من أعلى جسر البوابة الذهبية، لن يثنيني شيء عن هذا إلا إذا ابتسم شخص واحد وأنا في طريقي إلى هناك! فإن وصلتك رسالتي هذه فاعلم أن أحدًا لم يفعل!

ابتسامة واحدة كان ستنقذ حياة إنسان! تخيلوا كم كان هذا الأمر بسيطًا وغير مكلف، ولكنه لم يحدث، طبعًا لست أحمّلُ الناس الذين مروا به ذلك اليوم مسؤولية موته . . . «كريس» كان يعاني من اضطرابات نفسية، ويشعر أن لا أحد يحبه في هذا العالم، وأنا على يقين لو أن أحد المارة علم بوضعه لم يكن ليكتفي بابتسامة بل ربما دعاه إلى فنجان قهوة وحادثه مدة كافية وأنقذه، ولست أقول أن على المرء أن يسير في الطريق موزعًا ابتسامته على الذين يمر بهم، الحادثة هذه أعمق من أن يكون هذه الغاية منها!

ما أريد قوله أن الحياة قاسية، وأن الإنسان الطبيعي حتى بحاجة إلى التقدير واللطف . وصحيح أنه ليس على الإنسان إذا لم

يجد تقديرًا ولطفًا أن يقفز عن جسر شاهق ، أو يتردى من جبل ، ويضع حدًا لحياته ، ناهيك أن الانتحار خسارة للدارين الأولى والآخرة ، ولكن واجبنا تجاه بعض أن لا نزيد الحياة قسوة ، وأن هناك أشياء بسيطة يحتاجها الناس ليستمروا في صراعهم مع الحياة!

أحيانًا لا يريد زوج عاد من عمله أكثر من ابتسامة ، وكلمة حلوة لينسى نهاره الشاق كله!

ولا تريد زوجة أمضت يومها في أعمال المنزل الشاقة أكثر من كلمة حانية وبعض التقدير لتنسى نهارها المضني!

ولا يريد موظف بسيط أكثر من ابتسامة مديره ليشعر أنه إنسان ، وليس آلة

ولا يريد ولدٌ بعد ساعات من الدراسة أكثر من كوب شاي وقبلة ليطوي تعب الساعات الماضية!

ولا تريد ابنة أكثر من سؤال أبيها عن يومها ، ماذا فعلت به ، وماذا تريد أن تفعل غدًا!

ولا تريد أم من ابنها المتزوج أكثر من قبلة على يدها أو جبينها لتشعر أن أشهر حملها ، وسنوات تربيتها لم تذهب سدى! من قال أن الناس يحتاجون المال فقط؟!

ولا يريد صديق أهمه أمر أكثر من سؤال وتفقد!

من قال أنّ الدنيا مال فقط؟!

الناس لا يريدون منا أن نعطيهم أموالنا لتكفيهم مرتباتهم!

ولا يريد كنّاس الطريق أن نقول له هات المكنسة عنك ، واسترح قليلاً!

ولا يريد عامل المحطة أن نعطيه كرسيًا ليجلس ، ونملأ عنه خزّان الوقود!

الناس يريدون الاحترام والتقدير والحب فقط ، يريدون من يشعرهم أنهم فعلاً بشر . . . بشر فقط!

الحياة من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت رحلة سفر ، و«السفر قطعة من العذاب» كما أخرج البخاري في الأدب المفرد . فترفقوا بالناس ، الحياة قاسية بما يكفي ، وكل إنسان فيه ما يكفيه!

الوطن
٢٠١٨/٥/١٠

الرأي العام!

يُحكى أن أولاد رجل ثري انتظروا موته ليَرِثُوه ، ولكن عُمْر الوالد طال ، فنفد صبرهم ، وقرروا أن يقتلوه . . . ولكن الابن الصغير أخبر والده بما خطط له إخوته . . .

فكر الأب في طريقة ينجو بها ، وأخيرًا ارتأى أن يطلب من أولاده أن يحملوه قبل موته في التابوت كأنه ميت فعلاً ، ويدفنوه حيًا بشرط أن تنتهي الجنازة عند بيت حاكم البلدة!

وافق الأبناء العاقون على عرض والدهم ، فالمهم عندهم أن يرثوا ماله ، حملوه في التابوت معلنين موته ، ومشى الناس في الجنازة وهم لا يعلمون ما كان بين الأب وأبنائه ، وعندما وصلت الجنازة إلى بيت الحاكم ، قفز الأب من التابوت ، وقال له : أيها الحاكم أيرضيك أن يدفنني أولادي حيًا؟!

فقال له الحاكم : أمجنون أنت؟! أتريدني أن أكذب كل هذا الحشد الماشي من جنازتك ، وأصدقك في ادعائك أنك لم تمت!

ثم التفت إلى الناس وقال لهم : ادفنوه!

هذه القصة رمزية بلا شك ، والمراد منها ومن أمثالها من القصص الدرس الذي تنضوي عليه ، والفكرة التي قامت بها ، وهذا ميدان إعمال العقل فيها ، لا من حيث منطقية أحداثها ، وإمكانية وقوعها فعلاً ، وفي الأدب باب شاهق من هذا كالقصص السائرة على ألسنة الحيوانات ، ولا تكاد تخلو أمة من الأمم إلا وفي أدبها الشعبي أو الفصيح أو في كليهما حظ من ضروب هذه الحكايا ، أما في العبرة والدرس والمغزى فمتروك لذهن القارئ يستخلص منها على قدر ما أوتي من فهم واستدلال وإسقاط على الواقع!

برأيي أن الجنازة ترمز إلى الرأي العام في المجتمع، والحاكم يرمز إلى الناس الذين يقعون ضحية هذا الرأي العام!

والرأي العام منتج تتم صناعته، ويغدو مع الوقت حقيقة من العسير مجابهتها، وقلة من الناس من يملكون جرأة السباحة عكس التيار، فالأكثرية غالبًا ما تتبنى الرأي العام على أنه من المسلمات التي لا يجوز إعمال العقل بشأنها، تمامًا كما كذّب الحاكم عينيه وأذنيه، وصدق الرأي العام الذي قضى أن الرجل قد مات فعلاً!

يقول سعيد تقي الدين: الرأي العام بغل كبير!

والسبب في قوله الصائب برأيي أن الرأي العام صنيعة الحكومات، فإن حكومات أهل الأرض إذا أرادت أن تصنع رأيًا عامًا، جيشت أسلحتها: التلفاز، والصحف، والانترنت، والمنابر... وقطرة الماء تحفر في الصخر لا بالقوة، ولكن بالإصرار كما يقول ابن حزم، فإذا هرب الإنسان من التلفاز تلقته الصحيفة، وإن هرب من الصحيفة، تلقاه المنبر، وما يلبث أن يصبح له رأي المجتمع، أو بالأحرى رأي الحكومة!

ختامًا: يقول الأميركي الجميل «مالكوم إكس»: إن لم تكن فطنًا، فإن الإعلام سيجعلك تكره المظلومين وتحب من يمارس الظلم!

الوطن

٢٠١٨/٥/١٣

ما أُخذ بالجهل لا يُستردُّ إلا بالوعي!

يُصادف اليوم الذكرى السبعين للنكبة ، وما يزيدُ هذه الذكرى مرارة ، أنه يُقابلها على الطرف الآخر الذكرى السبعين لقيام المسخ الحقير المسمى «دولة إسرائيل»!

وكما جرت العادة كل سنة لا بُدَّ أن تسمع بعض الفلسطينيين يقولون : لقد خان العرب فلسطين! وتسمع بعض العرب يقولون : لقد باع الفلسطينيون أرضهم! والناس جميعاً يجيدون تعليق مآسيهم على مشاجب الآخرين وإن المشاكل أينما عُلقتْ لن تُحل ، لا يحلُّ المشاكل سوى أن يجلس المرءُ أمامها بشجاعة ويقرر أن يفهم لِمَ حدثتْ ، ثم يعمل على إزالة أسبابها ، وغير هذا ليس إلا نفخاً في قِربة مثقوبة لا تُحدث نغماً فضلاً أنها تُسبب ألماً في حلق النافخ وأذيةً في أذن السامعين!

قضية فلسطين على تعقيداتها ليست عصية على الفهم برأيي ، وسبب حدوثها وعلاجها يتلخّصْ بكلمات قليلة هي :

العرب لم يخونوا فلسطين ، والفلسطينيون لم يبيعوها ، فلسطين سُرقتْ من الأُمة في حالة جهل وبعد عن الله ، ولن تعود إلا بحالة وعي وقرب من الله!

إنّ الذي يفترضُ أن البلدان تُحتل لأن هناك خيانة أو بيع لم يقرأ التاريخ جيداً ، أو أنه قرأه ولكن لم يفهمه جيداً! قديماً لم يبع أحدٌ بغداد للمغول ، وكذلك لم يخنها أحد حدَّ سقوطها ، وابن العلقمي أُعطي دوراً في سقوطها أكبر مما يمكن لرجل واحد أن يقوم

به! بغداد كانت ساقطة من الداخل ، منخورة بالفساد والجهل والبعد عن الله حتى العظم ، وما زاد المغول إلا أن أطلقوا عليها رصاصة الرحمة! وبنفس الطريقة ولذات الأسباب سقطتْ الأندلس ، وتهاوت الممالك هناك ، تهاوت بغير صكوك بيع ولا خيانة ، تهاوت بالفساد الذي استشرى فيها ، بترف شعوبها وقلة همة حكامها ، وعندما قام الأوروبيون ليسقطوها وجدوها هشة تقاوم على استحياء!

عندما قسمت بريطانيا وفرنسا بلادنا على الورق في سايكس بيكو ، كان عند المسلمين خليفة ، ولم يكن هناك حكام متفرقون لنحملهم إثم الخيانة ، وكان كل سكان البلاد رعايا هذه الخلافة بلا جنسيات لنحمل طائفة منهم بيع قطعة أرض! وعندما أراد اليهود فلسطين لم يكن للبلاد العربية حكام ليخونوا ولا يهود يشترون الأراضي ، جاؤوا إلى السلطان عبد الحميد ودفعوا له مبالغ طائلة ، فوقف موقفه المشرف الذي تعرفونه جميعاً!

إن قرار أن تكون فلسطين مرسومة بهذه الحدود لم يتخذه العرب ، ولا الفلسطينيين ، وعندما سلم الانكليز فلسطين لليهود لم يشاوروا العرب ولا الفلسطينيين ، كل ما في الأمر أننا كنا أضعف من أن نخون ، وأذل من أن يُعرض علينا صفقة بيع ، إن هذا العالم غابة تحكمه الأسود ، والأسود لا تهتم بآراء الخراف ولا تستشيرها أصلاً في مصيرها ، إن الخراف تُؤكل ، لأنها ضعيفة لا لأنها خائنة ومتخاذلة ، هذه هي المعادلة ببساطة ولقد كنا ، وما زلنا ، الخراف التي تُؤكل دون أن يكون لها خيار آخر!

حُررت بغداد من المغول ، بعدما زال سبب سقوطها ، عندما صار عندنا وعي ، والأهم من الوعي عندما كنا مع الله ، وحُرر بيت المقدس من الصليبيين بعدما زال سبب احتلاله ، عندما حل الوعي مكان الجهل ، والبعد عن الله بالقرب منه ، فلسطين سُرقت منا لأن الأمة كلها كانت جاهلة انطلتْ عليها خديعة أعدائها ، وضعيفة منقادة ، وبعيدة عن الله إلى الحد الذي زهد فيها فتركها للأسباب التي تحكم الكون! نعم فينا الصالحون ، وفينا الطيبون ، وفينا الشرفاء ، وفينا العلماء ، ولكن العزة والتمكين واسترجاع فلسطين ، شأن أمة بكاملها وليس شأن أفراد ، لتعود فلسطين لا بد أن تعود هذه الأمة صالحة طيبة شريفة واعية ، والأهم أن تعود إلى الله!

الوطن
٢٠١٨/٥/١٥

شُكراً مريم بنت عمران!

١- شُكراً مريم بنت عمران ، من قصتكِ تعلمتُ أن الأسباب تجري على الناس ولا تجري على الله ، وأنه سبحانه وضع للكون قانوناً ليحكمه به لا ليقيِّد قدرته ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً ، فكما خلق آدم من غير أبٍ ولا أم ، وخلق حواء من ضلع آدم ، أي من أبٍ من غير أم ، خلقَ ابنكِ من أم من غير أب ، لتكوني وابنكِ آية للناس على قدرته وعظمته سبحانه!

٢- شُكراً مريم بنت عمران ، من قصتكِ تعلمتُ أن دعاء الوالدين سهمٌ صائب ، لهذا لا يجب أن ندعو للأولاد إلا بخير ، فمذ كنتِ في المهد قالت أمكِ تدعو ربها لكِ : ﴿وإني أعيذها بكَ وذريتها من الشيطان الرجيم﴾! فما وجد الشيطان إليكِ سبيلاً ، وكانت ذريتكِ نبياً من أولي العزم من الرسل!

٣- شُكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أنَّ القلوب تُصقل في المحاريب ، وعلى سجاجيد الصلاة ، وأنها بقدر ما تلين بالتسبيح والدعاء ، يربطُ الله عليها ليُغيِّر بها العالم ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾!

٤- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أنّ المؤمن أول ما يفزعُ إلى الله ، فعندما رأيتِ جبريل ماثلاً أمامكِ بهيئة بشر ، كان أول كلام قلتهِ ﴿إني أعوذ بالرحمن منك﴾ ، لم يخطر لكِ زكريا الذي كفلكِ وساعدكِ ورباكِ ، ولا الرهبان الذين ألقوا أقلامهم يوماً يقترعون ، كلٌ واحد منهم يريد أن ينال شرف رعايتكِ ، هكذا هو المؤمن دوماً ، أولاً مع الله ثم يأتي الناس!

٥- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أن الإنسان يبقى

إنساناً مهما بلغَ من الإيمان عِتياً! كان أول ما قلته عندما وضعت ابنك : ﴿يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً﴾! مخطئ من يظن أن الإيمان يجعل الناس ملائكة لا يخافون ولا يقلقون ولا يتألمون ولا يحزنون ، الإيمان يهذبنا فقط ، يجعلنا أكثر فهماً وإحساساً ومسؤولية ، وما تمنيتِ الموت لحظتذاك إلا لأنك إنسان يعرف ما الذي ينتظره عند الناس!

٦- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أن الدنيا دار أسباب ، ولو أغنى الله أحداً عنها لأغناكِ وأنتِ في قمة ضعفك واضعة مولودك ترزحين تحت وطأة النفاس ، ولكنه قال لكِ ﴿هزي إليكِ بجذع النخلة تساقط عليكِ رطباً جنياً﴾ ، يعرف سبحانه أنكِ لا تقدرين على هزّ نخلة ، ولكنه أراد أن يعلمنا من خلالكِ أن نسعى بقدر ما نستطيع ، على أننا نؤمن أن السعي لا يزيد في الرزق ولا القعود ينقصه ، ولكن الدنيا ليستْ سائبة ، إنها محكومة بقانون!

٧- شكراً مريم بنتُ عمران ، من قصتك تعلمتُ أننا أحياناً نصمتُ لا ضعفاً ، ولا عجزاً ، وإنما لأن البعض لا يجدي معهم الكلام مهما قلنا ، فالناس أحياناً لا يسمعون إلا ما يريدون ، ولأنكِ تعرفين هذا قلتِ لهم : ﴿إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾!

٨- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أن أواجه مشاكلي بهدوء واتزان ، وأن لا أقلب الدنيا رأساً على عقب ، وأنه إذا واجهتني مشكلة في الحياة أن لا أنظر إلى الحياة كلها على أنها مشكلة ، برغم كل ما أنتِ فيه ، ولد في حضنك من غير أب ، صغيرة غضةً طرية لم تعجنكِ الحياة ، وقوم يتربصون بك ، إلا

أن الله أمركِ أن تلقي كل هذا وراء ظهركِ وتعيشي لحظتك ، ما أرحمه من رب حين قال لك : ﴿كلي واشربي وقري عيناً﴾!

٩- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتك تعلمتُ أن الفرَجَ يأتي من حيثُ لا نحتسب ، وأن قانون الدنيا الخالد ، كُن مع الله في الرخاء يكن معك في الشدة ، وقدِّمْ لله ما يُحب يُقدِّم لكَ ما تحب ، لم يكن أحد على ظهر الأرض بمن فيهم أنتِ يتصور أن وليداً عمره يوم واحد سيترافع عنكِ أمام محكمةِ الناس ، وسيُخرس كل الألسنة ، ويتلو بيان عفتكِ وطهركِ!

١٠- شكراً مريم بنت عمران ، من قصتكِ تعلمت أَن الإنسان لن يكون حُراً إلا إذا كان عبداً لله! وأن العَقيدة هوية ، والتوحيد جنسية ، وإفراد الله بالعبودية جواز السفر الوحيد إلى الجنة ، كانوا ينتظرون أن يعرفوا هوية ابنك وجنسيته ، فأعلنها لهم ﴿إني عبد الله﴾!

الوطن
٢٠١٨/٥/١٧

وطنيّون!

في القطار المتجه من فرنسا إلى إنكلترا ، كانت تجلس امرأة فرنسية تبدو عليها علامات التوتر بجوار رجل انكليزي

سألها الرجل الإنكليزي : سيدتي ، ما شأنك تبدين في غاية التوتر والقلق؟

فقالت له : بصراحة ، أحمل معي عشرة آلاف دولار ، وهو أكبر من المبلغ المسموح إدخاله إلى إنكلترا!

فقال لها : اقسمي المبلغ بيني وبينك ، فإنَّ أحدنا لا شك سيفلتُ من الجمارك ، واكتبي لي عنوانك ، وأعدك أن أوصلها لكِ

وثقت المرأة بجارها الإنكليزي في المقعد المجاور ، وقسمت بينهما المبلغ ، وعند وصول القطار اجتازت المرأة الجمارك دون عناء ، عندها صاح الرجل الإنكليزي الذي لم يحن دوره عند الجمارك قائلاً للضابط : سيدي الضابط ، هذه المرأة تنقل الأموال إلى إنكلترا ، وأعطتني نصف المبلغ وها هو خمسة آلاف دولار ، ومعها خمسة أخرى وأنا رجل لا أخون وطني!

فتشوا المرأة وصادروا مالها ، وشكر الضابط الرجل الإنكليزي على وطنيته ، وتمنى لو أن جميع المواطنين مثله!

بعد يومين قرع باب السيدة الفرنسية ، فإذا هو الرجل الإنكليزي الذي وشى بها . قالت له : «أنت ، ماذا تريد ، ألا يكفي ما فعلته في الجمارك؟»

عندها أخرج لها مغلفًا وقال : خذيه ، يوجد به خمسة عشر ألف دولار ، وسامحيني كانت الوشاية بك هي الطريقة الوحيدة لأدخل شنطتي التي فيها مليون دولار إلى البلاد!

هذا الرجل الإنكليـزي يوجـد منه في بلادنا مـلايين النسخ العربيـة ، تراهم ليل نهار يتشدقون بحب الوطن ، وهم يسيؤون إليه أكثر مما يسيء إليه أعداء الوطن الخارجيين ، وهم على الوطن أخطر من كل أعداء الخارج لأن القلاع الحصينة لا تسقط إلا من الداخل!

الوطن عندهم ليس إلا خزنة للنهب ، ومال عام محلل للسلب ، وما الخطابات الرنانة ، والمقالات الحماسية ، والقصائد المدبجة ، والمعاريض الموزونة والمقفاة إلا زي عمل!

وتجـدهم ليل نهـار يوزعـون صكوك الوطنيـة على من شـاؤوا ، ويحرمون منها ما شاؤوا ، كما كانت الكنيسة في القرون الوسطى تبيع الجنة عبر صكوك الغفران!

ليثبت أنه وطني فلا بد أن يصفك بالخائن المتربص بالوطن شرًا فقط ، لأن قرار الحكومة لم يعجبك!

من أخـبـر هذا الوطني المزيف أن الوطن هو الحكومـة؟ وأن الشكوى من الضـرائب البـاهظة تآمـر مع الأعـداء ، والشكوى من البطالة خيانة لله ورسوله ، وانتقاد الواقع المزري للمستشفيات فضح للوطن وتشكيك بحكمة أصحاب المعالي ، وانتقـاد برنامج التعليم ومناهج التـدريس يوازي التـشكيك بالمصحف ، رغم أن التـاريخ والتجربة والواقع يثبـتـون أن أكـثـر الناس حبًا لأوطانهم هم أولئك الذين لم يرضوا بالواقع المزري للأوطان ، وأنه متى ما جدّ الجدّ ، ووقع الفأس في الرأس لم يجـد الوطن له غـيـر أبنائه الذين اُتهِمـوا بعدم حبـه ، وأن الوطنيين الزائفين أصحاب الخطابات والتطبيل هم أول من يقفر إذا أوشكت السفينة على الغرق ، ولولاهم أساسًا ما غرقت!

الوطن ٢٠١٨/٥/٢٠

شُكراً بلقيس!

١- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أن الحيوانات في فطرتها وغريزتها السليمة أفضلُ من الناس وهم في الضلالة ، قديماً عندما نادى نوح الخلائق لتركب السفينة ، لم يتخلف من الحيوانات أحد ، بينما تخلف كثيرٌ من الناس ، وفي زمنكِ ساء الهُدهد أن قومكِ يسجدون للشمس من دون الله ، وما ساءكم هذا ، وظللتم عليها عاكفين!

٢- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أنَّ كلام الناس يخبرنا بمحتواهم ، وأنَّ كل إناء بما فيه ينضح! «إنه من سليمان» . أعجبكِ هذا التواضع ، سليمان فقط ، لا الملك ، ولا السلطان ، ولا حاكَم الأرض ، مع أنه ملكَ الدنيا بإِنسِها وجِنِّها وحيوانها وطيرها!

٣- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أن الإنسان النبيل ، يُقدِّر اللطف ، ويُعجَب بمكارم الأخلاق ، وما أنبلكِ يوم قدَّرتِ لطف سليمان ، وأُعجِبتِ بمكارم أخلاقه ، وقلتِ لقومكِ : ﴿إنيَ أُلقيَ إليَّ كتاب كريم﴾!

٤- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أنّ الرعية ليستْ قطيعاً يملكه الحاكم ويتصرف فيه كيفما يشاء ، منذ آلاف السنوات أعطيتِ البشرية درساً في احترام الرعية ، وسماع رأيها ، فقد جمعتِ قومكِ وقلتِ لهم : ﴿ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون﴾!

٥- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أن الحكام يتمايزون ، منهم العادل ومنهم الظالم ، وأنَّ أفضل الحكام من استراحت به

رعيته، وشر الحكام من شقيت به رعيته. ﴿إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾. وما أرسلتِ الهدية إلى سليمان إلا امتحاناً تريدين أن تعرفي أيّ الملوك كان!

٦- شكراً بلقيس، من قصتكِ تعلمتُ أنه لا يستقيمُ أن يكون المرءُ عادلاً مع الناس ويظلم نفسه، وإن البعد عن الله أكبر مراتب ظلم النفس، ويوم عرفتِ هذه الحقيقة قلتِ: ﴿رب إني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين﴾!

٧- شكراً بلقيس، من قصتكِ تعلمتُ أن الله إذا علم في قلب إنسانٍ خيراً هيّأ له الخير، ولأنه سبحانه علم ما في قلبكِ أرسل لكِ الهدهد الذي لم يكن يجرؤ أن يغيب عن سليمان دون إذن!

٨- شكراً بلقيس، من قصتكِ تعلمتُ أن الحضارة ليست في العُري، رغم المال والسلطة والجاه كانتْ ثيابكِ طويلة ساترة، وعندما حسبتِ الصرح الممرد بالقوارير ماءً كشفتِ عن ساقيكِ لتعبري، حتى السيقان كانت قد سترتهما الملكة، منذ آلاف السنين أخبرتِنا أن الستر من أزياء الملكات!

٩- شكراً بلقيس، من قصتكِ تعلمتُ أن الإجابة الدقيقة تدلُّ على ذكاء صاحبها، فعندما سألكِ سليمان عما إذا كان هذا هو عرشكِ، قلتِ إحدى أذكى الإجابات في التاريخ «كأنه هو»! لو قلتِ «ليس هو» ما يستقيم لمن كان في مثل عقلكِ أن تجهل عرشها! ولو قلتِ «إنه هو» ما يستقيمُ لمن كان في مثل عقلكِ أن يُسلِّم من أول مرة دون أن يتساءل كيف جاء العرش إلى هنا؟!

١٠- شكراً بلقيس ، من قصتكِ تعلمتُ أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، لم تأخذكِ العزة بالإثم ، ولم يُعمكِ ملككِ عن نور الحق ، تركتِ مُلكَ سبأ ، لتصيري ملكةً مرتينَ ، ملكة في الدنيا وزوجة نبي ، وملكة في الجنة ، والجزاء من جنس العمل!

الوطن
٢٠١٨/٥/٢٤

لا مكان لكم في المسلسل!

يقول إرنست ليفي :
ستبدأ الإنسانية بالتحسن عندما تأخذ الفن على محمل الجد كما الفيزياء أو الكيمياء أو المال!

على أنَّ الفن ليس حكراً على خصور الراقصات ، ولا حنجرات المطربين ، ولا المسلسلات الهابطة . . . ويخلط الناس كثيراً بين ما يتخذه الآخرون باباً للاسترزاق وبين ما يحمل في طياته رسالة ، وإني أحد الذين يؤمنون أن كل نشاط بشري لا يؤدي رسالة فإنه يهدم رسالة أسمى منه مهما صفق له الناس وكثُر مريدوه!
ولعلّني أوافق -على كراهة- بعض ما ذهب إليه شيخ الشيوعيين الضال كارل ماركس يوم قال : الرأسمالية ستجعل كل الأشياء سلعاً ، الدين ، والأدب ، والفن وستسلبها قداستها!

المهم وبلا طول سيرة ، ولا كثير فلسفة ، من شاهد منكم المسلسلات التي تُعرض في رمضان ، أو من سمع عنها ، يعلم يقيناً أن كثيراً من المسلسلات تسير في واد والمجتمعات التي من المفترض أن هذه المسلسلات تحكي واقعها تسير في واد آخر! بعض الأعمال الدرامية تحاكي الواقع فعلاً ، وتحمل في طياتها رسالة ، والدنيا كما تقول جدتي وهي تتوسم الخير في الناس : «إن خلتْ بلَتْ»! على أية حال هي ستبلى نهاية المطاف! ولكن هناك مسلسلات يريد أن يقنعنا أصحابها أننا نشبه أبطالها بينما يُشاهدها الناس ويتساءلون : هل هذا يحدث فعلاً بين ظهرانينا؟! فأحداث هذه المسلسلات تخبر

الناس عنا أننا ما زلنا نعيش في الجاهلية ، وأن الوحي لم ينزل على أمين الأرض بعد!

في مسلسل واحد تجد أن البنات اللاتي يحبلن من الزنا أكثر من اللاتي يحبلن من الزواج ، للأم عشيق ، وللأب عشيقة ، والشباب في الاستراحات والمقاهي والمعاكسات! الشباب والفتيات الذين يملأون المساجد في صلاة التراويح لا مكان لهم في المسلسل ، المجاهدون والمجاهدات في الجامعات ومقاعد الدراسة ، أمهاتنا النقيات كالمصاحف ، آباؤنا الخيرون كأن فيهم مسحة من نبوة ، زوجاتنا في المطابخ وتدريس الأولاد ومناشر الغسيل ، جيراننا الذين نحبهم ويحبوننا كل هؤلاء لا مكان لهم في المسلسل أيضاً!

من هم أبطال مسلسلاتهم الذين يجب أن نتعاطف معهم ونقتدي بهم :

التي تخون زوجها لأنه أكبر منها سناً ، هذه ضحية العادات والتقاليد ، ضحية الفقر ، والمجرم هو ذاك الزوج ، هي من حقها أن تحب شاباً بعمرها ، أن تخون المجرم الذي قدم لها بيتاً وعائلة مع الملاك الطاهر الذي ابتسم لها فشعرت بالدفء الذي تفتقده!

الذي يرتشي ، ويأخذ مالاً حراماً مكرهاً لأن لديه أطفال صغار والراتب لا يكفي ، هذا البطل المجاهد لولا وضعه الاقتصادي لكان أحمد بن حنبل ولكن الدنيا قاسية ودفعته مكرهاً إلى هذا العمل الخسيس!

التي تهرب مع حبيبها ، فالحب لا يحتاج مبرراً إنه يبرر كل شيء!

الذي يقضي وقته وراء بنات الناس لأنه لم يجد احتواء داخل المنزل!

هذه هي مسلسلاتهم ، وهؤلاء هم أبطالهم ، أما أنتم ، الزوجات المصونات كالدرر ، الأبناء البررة ، البنات اللاتي لا يرفعن عيونهن في وجوه آبائهن حياءً وإيماناً ، الأزواج الذين يعودون إلى البيوت منهكين بعد رحلة البحث عن رغيف خبز وكرامة ، شباب صلاة الفجر ، صبية السنوات السبع الذين نمرنهم على الصيام ، فتيات السنوات العشر اللاتي زينا لهم الحجاب والستر ، العجائز على سجاجيد الصلاة وحبات السبحة ، الشيوخ المتهالكون المتكئون على عصيهم في الطريق إلى المسجد ، لا مكان لكم في المسلسل ، الفن مرآة الواقع ، وأنتم لا تعيشون هنا ، أنتم سكان كوكب المريخ ، انتظروا فقط أن يصبح هناك سينما!

الوطن
٢٠١٨/٥/٢٩

شُكراً سيدنا يعقوب!

١- شُكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن لا أُحدث الناس بكل النعم التي حباني الله إياها ، لأن البعض عيونهم فارغة ، ونظراتهم سهام مسمومة ، كانت هذه أولى وصاياك لابنك الوسيم حدّ الذهول ﴿يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾!

٢- شُكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أنّ الإنسان لا يقوى على قلبه ، ولكنه يجب أن يقوى على تصرفاته! وقد جعل الله تعالى يوسف أثيراً في قلبك ، وقدَّر سبحانه أن تهبه فؤادك وتميزه عن بقية إخوته ، ليعلمنا ربنا العادل أن لا نُميِّز ولداً على ولد في المعاملة وإن كان يستحق ، فنحن أحياناً دون أن نشعر نوغر صدور أولادنا على بعضهم البعض!

٣- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن لا أُصرِّح بمخاوفي كي لا يستخدمها الناس ضدي ، ولأنك قلت لأولادك ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ قالوا لك : ﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾! نحن أحياناً نعطي الآخرين الأسلحة التي يحاربوننا بها!

٤- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن لا تنطلي عليَّ أدلة الباطل الزائفة ، وأن لا أصدق كل ما أسمع ، وأن أقلِّب كل ما أرى ، فأفكر وأتدبر وأحلل ، وما أنبهكَ يوم لم يخدعك الدم الكذب على قميص ابنك! فعرفتَ أنه أمر دُبر بليل أي ذئب هذا الذي يفترس غلاماً صغيراً ويترك قميصه سليماً!

٥- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن الطعنات تأتي أحياناً من حيث لا نحتسب ، وأن الأقربين طعناتهم أشد إيلاماً من طعنات الغرباء ، لأنهم يعرفون أين يغرسون رماحهم ، ولأن فيها طعم الخذلان ، وحين سلم ابنك من الذئب لم يسلم من إخوته ، وحين كفّ الناسُ أذاهم عنك جاءتك الطعنة من أولادك!

٦- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن المؤمن لا ييأس من رحمة الله ، وأن أفضل العبادة انتظار الفرج من الله ، والله عند ظن عبده به ، وما أرسخ إيمانك إذ تقول لأولادك ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾!

٧- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن السؤال لغير الله مذلة ، فالشكوى لغيره طرق لباب خاطئ ، والاعتماد على المخلوقين خيبة ، وأن من ربح الله قد ربح كل شيء ولو خسر الناس جميعاً ، ومن خسر الله قد خسر كل شيء ولو ربح الناس جميعاً ، فعندما سُدت الأبواب ، وبلغ القلب الحنجرة ، قلتَ ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾!

٨- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن للحب رائحة تشمها قلوب المحبين قبل أنوفهم ، وعندما أخبرتهم أنك تجد ريح يوسف ، قالوا عن هذا أنه ضلالك القديم ، من يقنع الكارهين أن القلوب تشم ولا تُخطئ رائحة أحبتها؟!

٩- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن لا أُصرِّح بالغاية من وراء كل أفعالي ، وأن أترك شيئاً لنفسي ولا أشارك الآخرين

بكل ما يجول في خاطري ، لم تخبر أولادك لمَ أردتهم أن يدخلوا متفرقين ، تركتها لنفسك ، فتركها الله غيباً كرامة لك ، ما أعزك عند ربك حتى حفظ لك حاجة أضمرتها في نفسك ، فحين جعل قصتك قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة لم يخبرنا بها!

١٠- شكراً سيدنا يعقوب ، من قصتك تعلمتُ أن الغائب يعود ، فالصبي الذي أحالوا بينك وبينه عاد إليك عزيزاً لمصر كلها ، وأن المريض يشفى فإن بصرك الذي ذهب بكاءً وحزناً عاد سيرته الأولى ، وأن الشمل يلتئم فإن الأبناء الذين فرقتهم الدنيا جمعتهم مرة أخرى ، وأن قدر الله نافذ لا محالة فبعد أربعين سنة تحققت رؤيا الصبي ﴿وخروا له ساجدين﴾ ، وأن الله لا يعجل بعجلة أحد!

الوطن

٢٠١٨/٥/٣١

الإصدار الأخير من الإسلام، احجزْ نسختَك!

تقومُ الرأسمالية على مبدأ «الحرية المطلقة» . . . والحديث عن الحرية المطلقة في مجتمع بشريّ ليس إلا نوعاً من السفسطائية والتّرف الفكريِّ . . . فلا بدَّ لأي مجتمع بشريٍّ من ضوابط ، وهذا هو المعمول به في الدول الرأسمالية على أية حال! بينما تقوم الشيوعية على مبدأ «المساواة المطلقة» ، والمساواة المطلقة تحملُ في طيّاتها وجهاً من وجوه الظلم ، ناهيك أنها الأخرى شعار جميل برّاق لم يستطع أحدٌ منذ بدء الخليقة إلى اليوم تطبيقه في أي مجتمع بشري! أما الإسلام فيقوم على مبدأ «العدل» ، وهو المبدأ الأسمى على الإطلاق ، فلا هو مع الفرد يعيثُ فساداً في المجتمع ، ولا مع المجتمع يكتم أنفاس الفرد ، ولا هو ضدَّ الملكية الفردية والثراء ، ولا مع الاحتكار والاستغلال . . . وهذا مبدأ تم تطبيقه فعلاً وواقعاً على ظهر الأرض في حقبات متفرقة من تاريخ حكم الإسلام!

غيّر أن مشكلة الإسلام اليوم ليست مع المفكرين من الأفكار الأخرى ، وإنما مع الذين من المفترض أنهم «مفكرون إسلاميون» يعتقدون من حيث لا يدرون أنهم أعدل من الله سبحانه! وما أعلى أصواتهم إذا ناقشوا المواريث وتوزيعها على غير ما هي في القرآن!

منذ يومين خرج علينا محمد شحرور في برنامجه الرمضاني ليخبرنا أنه قد وضع مواريث جديدة ، فيها إضافات مستحدثة فتحها الله عليه فتوح العارفين ليست موجودة في كلامه السابق عن المواريث! طبعاً قد يقول قائل : أين المشكلة في أن يجتهد الرجل في فهم المواريث فإن أخطأ فله أجر الاجتهاد وإن أصاب فله أجران؟!

وهذا سؤال مشروع لا شيء فيه لولا أنَّ محمد شحرور نفسه أغلق باب الاجتهاد في وجوه فقهاء الأمة جميعها ، بل في وجه نبيها عليه الصلاة والسلام!

محمد شحرور من دعاة الاكتفاء بالقرآن الكريم دون السُّنّة النبوية الشريفة شارحة له ، ومتممة لدين الإسلام بصفتها المصدر الثاني من مصادر التّشريع في الإسلام ، فهو يرى أن ما عدا القرآن الكريم ليس إلا حواشي يمكن الاستغناء عنها! صحيح البخاري يمكن التعامل معه كأنه حبر على ورق ، فهم الصحابة للإسلام شأنهم الشخصي ولا علاقة لنا به ، أصحاب المذاهب جميعاً أضاعوا وقتاً واجتهدوا بما ليس لهم شأن فيه ، فالإسلام لا يُؤخذ إلا من القرآن ، وبهذا المنطق الأعوج لا تتعدى مهمة النبي في الإسلام إعطاءنا القرآن ثم كل إنسان وشأنه!

المهم ما علينا من كل ما سبق ، الشيء الوحيد الذي لم أفهمه ولم أجد أحداً من الكائنات المحيطة بي أن يشرحه لي ، كيف لرجل يدعو لترك شرح النبي للمصحف والدين ، ويدعو لنبذ فهم الصحابة وآراء أصحاب المذاهب أن يدعونا لشراء كتابه الذي يحوي أفكاراً وفهما جديداً لآيات الميراث! فإن كان كل ما عدا القرآن بما في ذلك تفسير ابن كثير رتوشاً فما حاجتنا إلى «رتش» جديد يضيفه إلينا محمد شحرور! وإن كان لا بد من إعمال العقل لفهم المصحف فمن العدل احترام الفقهاء الأوائل واجتهاداتهم فعلى الأقل كانوا يحفظون القرآن ، ويقرأونه بشكل صحيح ، ولا يُخطِئ أحدهم ثلاثة أخطاء في الآية الواحدة ، فيرفع فيها وينصب ويجر على هواه كما حدث مع شحرور في حلقته الميراثية!

الوطن ٢٠١٨/٦/٣

مدرسة بدر الكبرى!

١- علمتنا غزوة بدر أن العبد يريدُ واللهُ يريدُ ولا يكون إلا ما أراد الله ، خرج المسلمون في طلب قافلة قريش ، فرّ بها أبو سفيان ، أفلتت قافلة المشركين وضاع صيد المسلمين ، ظنَّ أطراف الصراع أن الأمر قد انتهى ، وما تنتهي الأمور في الأرض قبل أن تقول السماء كلمتها ، وقد قالت : فلتكن الحرب!

٢- علمتنا غزوة بدر أن الباطل يمشي نحو مصرعه ، نجتْ القافلة من طلابها ، ولكن قريشاً لم تنجُ من غرور أبي جهل ، رأى الأمر فرصة سانحة ، قال : لنقضِ عليهم! قال عتبة : اعصبوها برأسي وقولوا جبُن عتبة وارجعوا! ولكنه غرور الباطل ، وفرعون هذه الأمة قتله غروره!

٣- علمتنا غزوة بدر أن لا أحد يعلم الغيب إلا الله ، حتى النبي ﷺ ظنَّ أن الأمر لن يكون أكبر من الإغارة على قافلة ، ولو تواعد الطرفان لاختلفا في الميعاد ، ولكنه موعد قضى الله أن يكون فكان!

٤- علمتنا غزوة بدر أن الحكيم لا ينام عن عدوه ولو كان نملة! فحكيم ولد آدم لم تشغله الدعوة عن أمر عدوه ، ولم يصرفه القرآن وقيام الليل عن تتبع أخبار قريش ، كان يتحسس أخبارهم ، وإلا كيف عرف أساساً بأمر القافلة ، إن هذا الدين توازن ، فما يقوم الدين بهدم الدنيا ، وما تستقيم الدنيا بهدم الدين!

٥- علمتنا غزوة بدر أن الإسلام لم ينتشر بالسيف ، فالذين حملوا السيوف في بدر مُنعوا من القتال لسنوات قبلها ، إن الإسلام انتشر بالحق الكامن فيه ، بالنور المنبعث من جنباته ، ولكن

الحق الذي لا تدعمه القوة يستهين به الناس ، ولم يكن السيف إلا لإزالة العوائق من وجه الدعوة ، وإلا فإن بلاداً كثيرة فتحها التجار المسلمون بأخلاقهم!

٦- علمتنا غزوة بدر أن الإنسان لا يعلم الخير من الشر ، وأن نظره قاصر ، وعقله ينتهي عند حد ، وأنه لا يرى من المشهد إلا جزأه الظاهر ، أراد المسلمون «غير ذات الشوكة» ، ولكن الله أرادها ، ولو عملوا بإرادتهم كيف كان لصناديد قريش أن يكونوا صرعى ، ويخاطبهم رسول الله ﷺ : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً!

٧- علمتنا غزوة بدر أهم درس من دروس القيادة ، الأخذ بالشورى ، وضرب الرأي بالرأي ، لما فيه مصلحة الأمة ، قبل المعركة يقول سيدنا : أشيروا عليَّ أيها الناس! ولما رأى فيهم ما يسر قلبه سار بهم إلى القتال! وفي ترتيبات الحرب ينزل سيدنا على رأي الحباب بن المنذر ، لنجعل آبار بدر خلف ظهورنا فنشرب ولا يشربون ، ما دام الأمر ليس وحياً إنما هو الرأي والحرب والمكيدة! وبعد المعركة يستشير سيدنا أصحابه ماذا يفعل بالأسرى ، ولو استغنى قائد عن الشورى لكان النبي ﷺ أغناهم!

٨- علمتنا غزوة بدر أن النصر لا يأتي إلا مع التسليم الكامل للهِ ورسوله ، يتفحص القائد العظيم نفسيات جنده ، فالمعارك لا تحسمها السيوف فقط ، وبعد أن اطمأن على جبهة المهاجرين ، بقي أن يطمئن على جبهة الأنصار ، ولم يتأخر سعد بن معاذ كثيراً حتى أعلنها : يا رسول الله إيَّانا تريد؟ فوالذي بعثك بالحق لو خضتَ بنا برك الغماد لخضناها معك! أمة تُسلم أمرها لربها ونبيها كيف تُهزم؟!

٩- علمتنا غزوة بدر أن من أطاع الله طوَّع الله له كل شيء ، يغشاهم النعاس أمناً ، وينزل عليهم المطر كرامة ، ويأخذ جبريل مكانه في المعركة ، وخلفه صفوف الملائكة مسلحة بأمر الله ﴿ثبتوا الذين آمنوا﴾ و﴿اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾! ونكص الشيطان على عقبيه ، فهو الآن يرى ما لا ترى قريش ، جبريل يصدر الأمر إلى فرسه : أَقْدِمْ حيزوم!

١٠- علمتنا غزوة بدر أن الدعاء أخذ بالسبب أيضاً ، ولو استغنى أحد عن الدعاء يوماً لاستغنى عنه رسول الله ﷺ يوم بدر ، إنها حرب الإيمان الذي لا لبس فيه ، ضد الشرك الذي لا لبس فيه ، ولكن سيدنا كان يدعو ملء قلبه : اللهم نصرك الذي وعدتَ ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً!

١١- علمتنا غزوة بدر أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الجهاد عبادة ، وأن الرب الذي قال ﴿كُتب عليكم الصيام﴾ هو الذي قال ﴿كُتب عليكم القتال﴾! لهذا لم يقل سيدنا لأصحابه قوموا إلى الحرب ، وإنما قال قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فطاب هناك الموت وألقى عمير بن الحمام تمراتٍ بيده ، إنه لوقت طويل أن تفصله هذه التمرات عن الجنة!

١٢- علمتنا غزوة بدر أن الأعداء ليسوا سواء ، فقال سيدنا لأصحابه : من رأى البختري بن هشام فلا يقتله! كان البختري ينصره في مكة ويوقره! ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنما خرج مكرهاً! يعلمنا سيدنا أنه حتى في الباطل مسحة خير ، وأن معاملة الجميع بأسلوب واحد قاتل تماماً كمعالجة الأطباء جميع المرضى بدواء واحد!

١٣- علمتنا غزوة بدر أن النبلاء لا يشغلهم النصر عن الوفاء ، عندما رُجم سيدنا في الطائف ومنعته قريش من دخول مكة ، أنزله مطعم بن عدي في جواره ، فلما رأى أسرى المشركين في قيودهم قال يعلمنا أحد أهم دروس الوفاء في التاريخ : لو كان مطعم بن عدي حياً و كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له! يا للوفاء يا رسول الله ، يا للوفاء ، تطلق من حاربوك لأجل مشرك صنع معك معروفاً!

١٤- علمتنا غزوة بدر أن القائد لا يُخبئ أقاربه ويلقي بأولاد الناس في أتون المعارك ، فعندما حانت لحظة البدء ، واصطف الجيشان للمبارزة ، أرسل سيدنا أحب أعمامه إليه ، سيد الشهداء حمزة ، وصهره وحبيبه علي بن أبي طالب ، وابن عمه الآخر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب!

١٥- علمتنا غزوة بدر أن العقيدة أوثق رابطة ، وأن الولاء لله ورسوله فوق كل ولاء ، وقبل كل اعتبار ، وأن الحق لا يُحابي الباطل ولو كان ذا قُربى ، قريش قبيلته ، وهؤلاء قومه ورحمه الذين عفا عنهم يوم الفتح ، ولكنه يعفو عن مقدرة ويسامح عن قوة ، أما وقد جاؤوا أشراً وبطراً فليس للباطل إلا السيف ، ولو كان الأب والابن في الجهة المقابلة!

الوطن

٢٠١٨/٦/٥

عندما ربحتُ مليون دولار!

يقول الملياردير المكسيكي ديفيد مشيل في مذكراته :

لا تيأس من أي عمل تقومُ به ، فجمْعُ الثروة يأتي من الأشياء البسيطة التي قد لا يهتمٍ بها الآخرون ، فأنا بدأتُ بجمع ثروتي عندما كنتُ في التاسعة من عمري ، كنتُ في طريقي إلى المدرسة أقوم بجمع التفاح الملقى على الأرض ، وأقوم بتنظيفه وبيعه للناس ، حينها ضحك وسخر مني الكثيرون ، ولكني كنتُ صابراً متفائلاً ، ثم بدأت تجارتي تكبر ، وأصبحتُ أشتري من المزارعين مباشرة ، وأخذت تجارتي تتطور حتى بلغتُ الخامسة والثلاثين من عمري ، عندها مات عمي الملياردير الذي لم يكن متزوجاً وليس له أقرباء على وجه الأرض غيري ، كان مُهرِّب مخدرات في البرازيل وورثتُ ثروته وحدي! أرجو أن لا تكونوا قد اعتقدتم أني أصبحتُ مليارديراً من ذلك التفاح العفن ، فتلك أيام أدعو الله أن لا يعيدها!

هذه القصة أخبرتُ بها صديقي البارحة ، والمناسبة التي أدتْ لعرض عضلات ثقافتي عليه ، أنه قد وصلني بريد الكتروني من شخص مجهول يخبرني فيه أني قد ربحتُ مليون دولار ، وأنه يتمنى عليَّ أن أتكرم وأرسل له بياناتي البنكية كي يقوم بتحويل المبلغ لي ، وأنا حتى الساعة لا أعرفُ كيف ربحتُ هذا المبلغ ، فأنا لا أشترك في المسابقات ، ولو اشتركتُ فحظي وأعرفه ، يشبه حظ جدتي الذي تقول عنه : أنا لو بعتْ طرابيش لصارت الناس بلا رؤوس! طبعاً هذه ليستْ المرة الأولى التي أربح فيها مبالغ مهولة عن طريق الايميل ، دائماً تصلني رسائل من هذا النوع فيها أرقام مالية يصعب عليَّ تخيل امتلاكها ، حتى أن هذه الأرقام آخر مرة

استخدمتها في مادة الجغرافيا للإجابة على عدد سكان دولة ما ، ولا أفهم حتى اللحظة ما هي الحكمة من معرفة عدد سكان بنغلاديش!

المهم أن صديقي تحمَّس لفوزي المزعوم هذا ، وأصرَّ عليَّ أن أرسل لهم بياناتي البنكية ، ومن فرط حماسه اشترط عليَّ نسبة من المبلغ بعد تحويله لي من قبل الشخص المجهول رغم أنه يعرف أننا نأخذ حقوقنا بشق الأنفس من الأشخاص الذين نعرفهم ، فكيف يأتي مجهول ليعطيك مبلغاً كهذا من فوز أنت لا تعرف كيف فزته ، طبعاً أعرف أن هذه الايميلات ليست إلا محاولة نصب ، ورغم أن الموجود في الحساب لن يشكل لهذا النصاب صيداً ثميناً وأني سأقوم بتخييب أمله ، إلا أني لم أرضخ لمحاولات صديقي الحثيثة بإقناعي لإرسال بياناتي البنكية! ولما ضاق بي ذرعاً قال لي : يا أخي ماذا ستخسر؟!

في الحقيقة لو فعلتُ هذا سأخسرُ أشياء كثيرة أولها صديقي ، فبعد امتلاكي لمليون دولار سيصعب عليَّ الاستمرار بصداقة هذا المنتوف الأجرب ويعزُّ عليّ فعلاً أن أخسره! وسأخسرُ إيماني بأن هذا الكوكب فاسد ، لقد تأقلمتُ على فكرة أن هذا الكوكب أسوأ بكثير من أن يهبك مبلغاً كبيراً لقاء لا شيء! طبعاً لم أجرؤ أن أخبره بهذه الأسباب ، وإنما أعطيته محاضرة عن أهمية القناعة وأن المال لا يجب أن يكون غاية عند الإنسان ، وأن الغنى الحقيقي غنى القلب ، وثروتنا الحقيقية في الأشخاص الذين نحبهم ويحبوننا ، رغم أني على قناعة أنه لا يمنع أن يكون المرء غنياً بجيبه وقلبه ، وأن يُحِبَّ ويُحَبَّ ، ولكني لا أخبر الآخرين بقناعاتي التي يمكن أن يستخدموها ضدي في الحوار!

الوطن ٢٠١٨/٦/٧

كُنْ أنت!

يُحدثنا ابن المقفع في كليلة ودمنة أنَّ غُراباً رأى حمامةً تمشي فأعجبته مشيتها، فقرر أن يُقلِّد مشي الحمام، فحاول وحاول، وبعد جهد طويل في التقليد اكتشف أنه لن يستطيع أن يمشي كالحمام، فقرر أن يعود إلى مشيته القديمة، لكنه تفاجأ أنه قد نسي حتى مشيته القديمة، فلا هو مشى مشية الحمام، ولا استطاع أن يُبقي على مشية الغربان!

ولعل قائل يقول: قصة خرافية، ومثل سائر بقصد التسلية والإمتاع ليس إلا!

ولستُ بصدد الدفاع عن القصص التي تجري على ألسنة الحيوان والطير ومدى مطابقتها للواقع، ولكني سأكتفي بأمثلة قصيرة ضاعت فيها شخصيات أصحابها الحقيقية وهم يحاولون تقليد شخصيات أخرى!

في الفيلم العالمي الشهير «The Dark Knight» لعب الممثل «هيث ليدجر» شخصية الجوكر، لقد تقمَّص هذه الشخصية إلى درجة أنه لم يستطع أن يعود إلى شخصيته الحقيقية بعد انتهاء التصوير، فأصيب بانفصام حاد، واكتئاب شديد سيطر عليه، ليموت بعد ذلك بسبب جرعة زائدة من عقاقير الاكتئاب!

في المسلسل العالمي «Breaking Bad» لعب الممثل «دين نوريس» شخصية هانك الشرطي الذي يعمل في مكافحة المخدرات، ويُصاب بالشلل خلال عمله، فكان دوره على كرسي مدولب، لم

يستطع أن يتخلص منه بعد انتهاء المسلسل ، فكان يقضي عليه في منزله فترات طويلة كأنه مشلول حقاً ، حتى أُصيب بالاكتئاب والاضطرابات المزاجية ، وقد عانى لسنوات من هذا الأمر!

في مسلسل «Game of Thrones» لعب الممثل «جاك جليسون» دور «كينغ جوفري» وبعد موت الشخصية في المسلسل لم يستطع هو أن يقتل الشخصية في حياته اليومية ، فلم يجد حلاً إلا أن يعتزل التمثيل ، وقال معقباً على قراره هذا «كينغ جوفري» ما زال حتى اللحظة يثير فزعي!

فإذا كان الغراب في كليلة ودمنة قد نسي مشيته بعد محاولات حثيثة لتقليد مشية الحمامة ، وإن كان الممثلون آنفو الذكر قد نسوا شخصياتهم الحقيقية وسيطرت عليهم أدوارهم السينمائية ، فإن شيئاً من هذا يحدث للناس في الحياة!

لأسباب كثيرة -ليس هذا وقت سردها- يعيش بعض الناس أدواراً على خلاف ما هم عليه فعلاً ، حتى يصل بهم الأمر نهاية المطاف أن يقف أحدهم أمام المرآة ويتساءل عن هوية هذا الشخص الذي يراه أمامه!

كل واحد منا خلقه الله سبحانه شخصية فريدة ، وكل الشخصيات في المجتمع محجوزة . الشخصية الوحيدة المتوفرة هي شخصية كل منا ، فلماذا يصرُّ البعض على أن يكونوا نسخاً عن الآخرين في حين بإمكان الإنسان أن يكون ذاته!

طبعاً الحيـاة تفرض بعض التنازلات أحيـاناً ، والتـعـايش في الغـالب قـرار صـائب ، والتـجاهل والتـغاضي كـان ومـا زال من شـيم الكرام ، ولكن هذا كله شيء ، وأن يكون الإنسـان شخصاً آخـر غير نفسه شيء آخر ، وهنيئاً لمن استطاع أن يكون نفسه!

الوطن
٢٠١٨/٦/١٢

وجه إلكتروني!

من الطرائف التي قرأتُها مؤخراً :

تقول إحداهنّ : ناقشتُ زوجي بموضوع في تويتر وهو لا يعرفُني .

فقال لي : أحترمُ رأيكِ يا راقية ، كلك ذوق .

مع أني ناقشتُه بنفس الموضوع في البيت فقالَ لي : انطمي ونامي!

وعلى سيرةِ الطرائف فإني أحبُّها كثيراً ، وهذا الحُبُّ دفعني لتأليف كتابي طرائف العرب الذي جمعتُه مما يقارب ستين كتاباً من أمهات كتب التراثِ والأخبارِ والأدبِ ، فجاء في ما يزيد على الألفي صفحة ، ورغم هذا فإنّ الذين لا يعرفونني عن قرب يعتقدون أني إنسان كئيب! أما الذين يعرفونني عن قربٍ فعلى يقين من هذا!

وبالعودة إلى الطرفةِ التي بدأتُ بها . . . يتفق الناس على أن الطرائف والمزاح يحمل في طياتِه شيئاً من الجد! ولا أعرف من هو الذي قال : إذا أردتَ أن تعرف مما يخافه شعبٌ فانظر إلى الأشياء التي يسخر منها!

وقد حاولتُ البحث في غوغل عن صاحب القول ، ولكن الشيخ غوغل لم يُفتِني بها ، وأضاع عليَّ فرصة ذهبية لإثبات أني مثقف وأحفظ المقولات التي أسطو عليها في مقالاتي مع أسماء قائليها ، وأمر الله من سَعة!

برأيي -الصائب طبعاً- أن قلة من الناس هم من يظهرون في مواقع التواصل الاجتماعي بالوجه الحقيقي الذي يحملونه في حياتهم الحقيَقية ، وإن كانت طرفة الزوجة مع زوجها مُختَلَقَة ، إلا أن أمثالها يحدثُ كثيراً ، يحدث أن يوزع أحدهم ورد العالم الالكتروني كله على من تكتب له تعليقاً وهو طوال حياته كلها لم يُهدِ زوجته وردة! ويحدث أن يكتب أحدهم مقالاً عن حرية التعبيرِ وهو في بيتِه كفرعون في أهل مصر ، لا يُريهم إلا ما يرى! وكثيرون من أهم دعاة الحرية وبناء الشخصية تُسيِّرهم زوجاتهم بالريموت كونترول!

على أنّ هناك وجهاً الكترونياً غير هذا الذي تحدثنا عنه ، فإن كان البعض يُخفون وجوههم الحياتية القبيحة خلف معرّفات ووجوه إلكترونية جميلة ، فإن البعض على العكس من هذا تماماً ، هناك أشخاص جبناء ، لو مرَّ أحدهم بجانب شرطي السير ترتجف ركبتاه وتصطك أسنانه يريدُ من الناس أن يتظاهروا في الشوارع ، والتظاهر في الشوارع ليس خطيئة بالمناسبة ، وهو حق من حقوق الإنسان في التعبيرِ عن رفضِهِ لواقع مزرٍ! ولكن الخطيئة أن يتبطحَ أحدهم تحت المكيف ، بيده كوب شاًي ، ويبدأ بتصنيف الناس ، فلان وطني ، فلان خائن ، فلان عميل ، وهو كالهرِ الأليفِ أمام مديره في العمل! في كل بلادنا العربية هناك أخطاء لو أردنا التحدثَ عنها لما وسعتها كل مفردات اللغةِ العربية ، وحين يُقرر أحدهم الصمت ، على مبدأ اسكت تسلم ، وهو مبدأ لا مشكلة عندي فيه ، لأني أعرفُ أن قائل رأيه غير آمن على نفسه ، ولكن جَرِّب أن تكتب منشوراً فيه فكرة ليستْ على هواه ليُخرج لكَ الإنسان المريض المكبوت في داخله ، ويمارس معك شخصية سيد الشهداء حتى ليبدو أنه يأمُرك وينهاك ويطلب الشهادة!

الفكرة في كل هذا ، ليس كل دعاة الاسلام الإلكترونيين دعاة حقاً في حياتهم ، وليس كل دعاة الحريةِ يمنحون الحرية لمن حولهم في أن ينتقدوهم ، أو يُعبِّروا عن آرائهم بطلاقة ، كثيرون من الذين يحاضرون بكم عن أخلاق الزوجية ، هم أزواج فاشلون وزوجات فاشلات ، ولكن المرء يتعامل مع الموضوع على مبدأ : خُذ القول ودع القائل! ثم إنه لأمر جيد أن يُخبر الإنسان الآخرين بالصواب وإن لم يكن يفعله!

المهم أن لا تنخدعوا وجوه مواقع التواصل ليست دوما وجوه الحياة!

الوطن
٢٠١٨/٦/١٤

ربانيون لا رمضانيون!

عندما تُوفيَّ النبيُّ ﷺ ، وأصابَ الحزنُ المسلمين ، وتملكتْهُم الحيرة ، وقفَ صدِّيقُ هذه الأمة في المسجدِ ليضع النقاط على الحروف ، يومها قال للناس قولته الشهيرة :

أيها الناس : من كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيّ لا يموت!

واتكاءً على كلام أبي بكر ، وقياساً عليه ، أودُّ لو أنادي في الناس :

أيها الناس : من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد انقضى ، ومن كان يعبد الله فإنّ الله ربّ كل الأشهر!

لا أحبُّ التخذيل وتكسير المجاذيف ، ويُعجبني النصف الممتلئ من الكوبِ لدرجة أنه أحياناً يشغلني عن نصفِه الفارغ ، وأحبُّ أن أوقد شمعة لأن في هذا الموضع لا يُجدي لعن الظلام!

إنّ إقبال الأمة على شهرِها الذي اجتباه لها ربها ليسرُّ القلب ، ويثلجُ الصدر!

إنَّ مشهد الصفوف الكثيرة في صلاة الفجر متعة للعين ، وطمأنة للقلب أن هذه الأمة تمرضُ ولا تموتُ ، وأنه سبحانه يبعثُ لها على رأس كل عام شهراً يُحيي فيها ما مات منها طوال العام!

ومنظرُ المساجد ممتلئة في صلاةِ التروايحِ عن آخرها يدعو للبهجة ويبعثُ على السرور!

وإن حديث الناس عن ختماتِ القرآن ختمة بعد ختمة مفرح!

واشتراك الصغار في مسابقات حفظ القرآن الرمضانية يُنبئ أن بذور مستقبل هذه الأمة بخير وأنها ستهيج وتؤتي أُكلها يوماً ما!

وإن أطباق الطعام المتبادلة بين الجيران لهو طقس من طقوس المحبة والإلفة وليس عادة غذائية!

إن كثرة الصدقات ، وتعاهد الفقراء ، لآية من آيات التكافل!

ولكن الأمر الذي لا أفهمه ، لماذا لا نحمل أخلاق رمضان ، وعبادات رمضان معنا طوال العام؟

لماذا في العشر الأواخر تتعدد الصفوف في صلاة الفجر وفي أيام شوال الأولى لا يكاد يكتمل الصف الأول؟

لماذا علينا أن نتعامل مع القرآن على أنه كتاب شهر لا كتاب دهر؟

لماذا لا نبحث عن الفقراء في بقية أشهر السنة؟

لماذا لا نهدي جيراننا أطباق الطعام في ربيع الأول أو حزيران أو ديسمبر!

لماذا يتوقف تشجيع الصغار على حفظ سور القرآن أو يخبو بعد رمضان ، لماذا لا يكون سباقاً طوال العام؟!

إنّ مشاهد تبجيل رمضان ، والقيام بحقه صلاةً وصياماً وقرآناً وصدقات لهو أمر عظيم ومفرح ، والأمة التي تتمسك بهذا الشهر بهذا الشكل ولا تضيعه كما فعلت الأمم من قبلها لهي أمة خليقة أن تعود سيرتها الأولى قائدة لهذه البشرية ، وحاملة لواء الحضارة والإنسانية كما فعلت على مدى قرون!

ولكن هذه الأمة لن تستعيد مكانها الطبيعي حتى تحمل رمضان معها إلى بقية الشهور ، فكونوا ربانيين لا رمضانيين ، وكل عام وأنتم بخير!

الوطن
٢٠١٨/٦/١٧

عن الأشياء التي تبقى!

وقعتُ البارحة على صورة طريفة ، هي عبارة عن إعلان في مجلة أمريكية يعود إلى العام ١٩٣٠م ، صاحب هذا الإعلان مركز لمساعدة النساء على اكتساب الوزن الزائد ، وفي الإعلان صورة لإمرأة نحيفة مكتوب تحتها :

سيدتي لا تكوني جلدة وعظمة!

تخيلوا أنه منذ أقل من مئة عام كانت السُمنة في النساء من معايير الجمال ، والنحافة المطلوبة اليوم كانتْ في ذلك الوقت قبحاً وسُبة!

والعربُ والغربُ في هذا سواء ، ففي أخبار العرب أنهم كانوا يتعوّذون من المرأة النحيفة الزلاء قليلة الشحم! ومن دعائهم يومذاك : أعوذ بالله من زلاء ضاوية كأنَّ ثوبيها قد عُلِّقا على عود!

وكانت العربُ ترى البدانة في المرأة من معايير الجمال ، وكانت تصف المرأة البدينة بخرساء الأساور ، لأن الأساور تكون في يديها محشورة لا تخشخشُ ولا تصدرُ صوتاً ، على عكس الضجة التي تُحدثها الأساور في أيدي النحيفات!

ثم لماذا نتوغل في التاريخ عميقاً ، منذ سنوات قليلة كانت الموضة في حواجب النساء أن تكون رفيعة ، وكانت المرأة مستعدة أن ترتكب جناية بمن يخبرها أن حواجبها عريضة ، ثم ها نحن اليوم نرى الآية قد انقلبت ، وولّت موضة الحواجب الرفيعة لتحل مكانها موضة الحواجب العريضة!

كانت السُمنة من عناصر الجمال والأنوثة ، ثم صارت اليوم من نواقضها! وكانت الحواجب الرفيعة مطلباً للنساء ثم اليوم يهربن منها كما كان العربي يهرب من الأرض التي يقع بها الطاعون!

معايير الجمال تتقلب وتتبدل كما ترون ولكن ثمة صفات في النساء وفي الرجال أيضاً لا يمكن أن تصبح موضة ، ولا يستطيع الزمن أن يطويها ، هي مطلب في كل عصر ، ومستحضر تجميل لا غنى عنه!

العربي إذ كان يهوى المرأة البدينة فهذا لا يعني أنه كان زاهداً في أخلاق المرأة ، وحنانها ، وكرمها ، وثقافتها ، وحلو كلامها ، واليوم إذ يهوى الرجال النحيفات من النساء فهذا لا يعني أنه إذا قلَّ وزن المرأة فهذا يشفع لها إن قلت أخلاقها! وكذلك معايير الجمال في الرجال ، فالنساء قديماً لم يكن يستهويهن الرجل الذي تكون معدته ست قطع ، كما هو الحال اليوم ، ولكن المرأة أيضاً تريد في الرجال أشياء غير أن تكون معداتهم مقطعة أو كروشهم مدلاة أمامهم ، الرجل الشهم ، الكريم ، حسن العشرة ، طيب الأخلاق ، حلو الحديث ، مطلب مهما بدا شكله!

طبعاً لا يُفهم من كلامي أني أقول للنساء لا تكترثن بمعايير الجمال الحديثة ولتكن إحداكن بدينة كيفما شاءت . . . ولا أقول للرجال احملوا كروشكم أمامكم! على العكس ، إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش خارج العصر الذي وُلد فيه ، كل ما أريد قوله ، أن ثمة صفات تجعلنا جميلين غير أوزاننا وحواجبنا ومعداتنا المقطعة ،

هذه الصفات هي التي تجعل منا بشراً حقيقيين ، فالجمال مهما كان خارقاً ما يلبث أن يصير مألوفاً ، وكم من حسناء نفر منها زوجها ، وكم من وسيم لا تطيق زوجته النظر في وجهه ، تجمّلوا مهما استطعتم ، انحفوا ، تزينوا ، تعطروا ، ولكن كونوا قبل هذا بشراً حقيقيين ، وتمسكوا بالذي يبقى!

الوطن

٢٠١٨/٦/١٩

العَرَبُ المُتلبررة!

يُقسِّمُ النَّسَابُون عندنا - والنَّسَابُون عندنا كالأنثروبولوجيين عندهم - العربَ إلى قسمين هما : العَربُ البائدة والعَربُ الباقية!

فأما العرب البائدة فهم كقوم عاد ، وثمود . أُطلِقَ عليهم اسم «البائدة» لأنهم ولله الحمد قد اندثروا قبل الإسلام!

وأما العربُ الباقية ، فاسمهم من صِفتهم ، وهم الذين نجوا حتى أدركوا البِعثة الشريفة ، ولله الحمد أيضاً! ويُقسِّمُ نسّابونا العرب الباقية بدورهم إلى قسمين هما : العرب العاربة والعرب المستعربة!

فأما العرب العاربة فهم القحطانيون الذين يرجع بهم النسب إلى سام بن نوح عليه السلام .

وأما العرب المستعربة فهم العدنانيون الذين يرجع بهم النسبُ إلى إسماعيل عليه السلام .

وعلى سيرة العرب البائدة ، فإن البشرية كلها ستصبح يوما بائدة ، وهذا من فضل الله أيضاً! تخيلوا كم هو قاسٍ لو لم يكن هناك آخرة وتمكن السفلة من سكان هذا الكوكب من النجّاة بأفعالهم ، أو لم ينل الفضلاء من أهل الأرض جزاء إحسانهم . . . ولكنَّ الله عادل ومن صور عدله التي لا تُحصى أنه جعل يوماً للحساب والجزاء!

وعلى سيرة العرب الباقية ، فقد بقوا ولم يتعظوا بإخوانهم البائدين حتى ظهر منهم فئة هي العرب المُتلبررة! وهم فئة من المتغربين الناطقين بالضاد ، أشبه ما يكونون بمنحوتات الشعوب

القديمة ، رأس خروف على جسد إنسان ، ورأس إنسان على جسد وعل! ومن أصدق من الله حديثاً حين قال : ﴿إن هم كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً﴾!

في مباراة مصر الأولى في كأس العالم في مواجهة الأوروغواي حصل محمد الشناوي حارس مرمى المنتخب المصري على جائزة أفضل لاعب في المباراة ، ولكنه -بارك الله له في قلبه- رفض استلام الجائزة لأنها مقدمة من شركة خمور! ورفض الجوائز أو قبولها حرية شخصية ، والحرية الشخصية هي أساس الليبرالية ، ولكن المتلبررون العرب لم يعجبهم أن يمارس إنسان حريته الشخصية منطلقاً من دينه الإسلامي ، فالحرية الشخصية الوحيدة التي يؤمنون بها هي ما يمارسه الناس من انسلاخ عن الدين ، أما حريتك في التدين فسلام على ليبراليتهم المزعومة! أقاموا الدنيا ولم يُقعدوها ، مقال هنا ، تغريدة هناك ، تصريح هنالك ، ينعتون الرجل بالتخلف ، وأنه قد فضحنا أمام الناس! وأنه كان يجب أن يحترم المسابقة التي هو فيها ، وكأنه مشارك في مسابقة أقدم نبيذ ، وأجود فودكا ، لا في كأس العالم لكرة القدم!

الغريب أنه في بلاد الليبرالية الحقيقة- على تحفظاتي الكثيرة- تم رفض جائزة نوبل للأدب أكثر من مرة ، ولم يقل أحد أن هذا تخلف ورجعيه ، وأن رافض جائزة نوبل كان عليه أن لا يكتب من الإساس! على العكس اعتبروا الأمر حرية شخصية ، وليس لأحد أن يُجبر أحداً على قبول جائزة تتعارض مع قيمه ومبادئه!

الجميل في الأمر ، أن المتلبررون العرب تلقوا صفعة من الليبراليين الحقيقيين ، فقد قررت الفيفا أن لا تكون شركات الخمور هي راعية الجائزة إذا فاز بها لاعب مسلم ، وهذا ما حدث عندما تم اختيار الحارس المغربي كأفضل لاعب في المباراة التي جمعت منتخب بلاده في مواجهة المنتخب الإيراني!

وهكذا أثبت المتبلررون العرب مرة أخرى أنهم ليسوا عاراً علينا فقط ، إنهم عار حتى على الليبرالية!

الوطن
٢٠١٨/٦/٢١

الأخت الكبرى!

اليابانيون لديهم احتفال يسمى «يوم الأخت الكبرى» حيث يجتمع كل أفراد العائلة لتقديم الهدايا تقديرًا لدورها الفعال في الأسرة!

هذه المعلومة أعرفها منذ سنين تقريبًا ، والذي دفعني لإتحافكم بها ، أدامني الله متحفًا ، أنني تفاجأت من شهر تقريبًا أن عدوى اليابان بخصوص الأخت الكبرى قد أصابت سائر الكوكب ، إذ تبين لي أن هناك يومًا عالميًا اسمه «اليوم العالمي للأخت الكبرى» ، وحقيقة لا أعرف ما الذي دفعني لأتفاجأ أساسًا لم يبق شيء لم يجعلوا له يومًا ، من يوم القهوة العالمي ، إلى يوم السّلّ ، وإذا بقيت البشرية تنحو هذا النحو في جعل أيام للأشياء ، فإنها ستضطر نهاية المطاف أن تدمج يومين في يوم واحد كأن يصبح أحد الأيام اليوم العالمي للكتاب واليوم العالمي للبيتزا!

المهم وبلا طول سيرة ، تناقشت ولفيف من الأصدقاء شأن الأخت الكبرى ، وفوائدها ، وإن كانت تستحق يومًا عالميًا فعلاً ، وقد اتفق المجتمعون على أن لا يتفقوا كما هي الحال في القمم العربية! ولكن يمكن تلخيص أهم النقاط التي أسفر عنها هذا الاجتماع المبارك في ذاك اليوم الذي قد يكون صادف اليوم العالمي للبطاطا المقلية .

اتفق المجتمعون على حُب أخواتهم الكبيرات ، وهذا لا يعني أنهم يكرهون بقية أخواتهم حتى الصغيرة التي غالبًا ما تكون

جاسوسة البيت! إلا أن لها دورًا مهمًا بحكم كونها آخر العنقود ، ودلوعة الوالد ، ويمكن استخدامها كورقة ضغط لتمرير بعض المشاريع العائلية! ولا سبيل لنكران أن الأخت الكبرى في أغلب الأحيان تكون الأم الثانية للبيت حتى لإخوتها الذكور الذين يكبرونها سنًا ، وهي بنك تسليف صغير ، ومصدر من مصادر التمويل لإخوتها الذين لا يسددون قروضهم الصغيرة! وهي مستشارة من الطراز الرفيع ، وكاتمة أسرار ، ومصدر ثقة يبعث على الارتياح .

غير أن بعض المجتمعين أفادوا أن الأخت الكبرى تمر بأكثر من طور حياتي ، فهي قبل الزواج غيرها بعد الزواج ، فبعد الزواج تصبح الراعي الرسمي لأعمال السخرة ، إذا ما جاءت زائرة برفقة عفاريتها الصغار ، تتكئ اتكاءة كليوبترا على العرش ، وتصدر الأوامر لإخوتها بالانتباه لابنها ، وتغيير ملابس ابنتها ، وبوضع هذا الشيء هنا ، وتغيير هذا الشيء هناك ، تكركب البيت كله هي وأولادها وعلى الجميع أن يكون شاكرًا لهذه الحياة التي بثوها في البيت ، ويُمنع الاعتراض في ساحة الحرب هذه التي أحدثوها ، وإلا فالملكة «إليزابيث» ستهدد بأنها ستكون هذه الزيارة آخر عهدها بتفقد الرعية!

كل ما ورد أعلاه من باب الاستظراف والملاطفة ، الأخوات بأي ترتيب كنّ ، كبريات أو صغريات أو بينهنّ ، كلهنّ قطع من القلب ، فلا تأخذوا كل شيء على محمل الجد!

الوطن

٢٠١٨/٦/٢٤

على الطريق!

في قصة الرجل الذي قتل مئة نفس ، يُخبرنا النبي ﷺ أن رجلاً قتل تسعةً وتسعين نفساً ، ثم بدا له أن يتوب ، فقصد عابداً ، وأخبره بما كان منه ، وإن كان له من توبة ، فقال له العابد ليس لك توبة ، فقتله وأكمل به المئة!

ثم بدا له مجدداً أن يتوب فقصد عالماً ، وأخبره بما كان منه ، وإن كان له من توبة ، فقال له سبحان الله ومن يمنعك من التوبة؟!

واقترح عليه أن يخرج من القرية التي هو فيها لأنها أرض سوء إلى قرية فيها قوم صالحون ، وبالفعل خرج صاحبنا يريد قرية الصالحين وهو في الطريق أدركه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأرسل الله ملكاً يحكم بينهم ، وكان حكمه أن يقيسوا إلى أي القريتين هو أقرب ، فكان أقرب للقرية الصالحة فأخذته ملائكة الرحمة ، وفي روايات القصة أن الله قد أوحى للأرض أن تقاربي حتى يكون أقرب لقرية الصالحين ، وفي أخرى أن الله أرسل ريحاً قذفته تجاه قرية الصالحين!

مهما يكن من أمر فلا خلاف أن الرجل لم يصل ولكنه دخل الجنة لأنه مات على الطريق!

وهنا يمكن السر : على الطريق!

لا يوجد طريق تخلو من عثرات ، ومن الطبيعي أن تكون أكثر الطرق أشواكاً وحفراً هي الطريق إلى الجنة! فقد حُفتْ الجنة بالمكاره وحُفتْ النار بالشهوات!

نحن نخطئ هذا طبيعي نحن نهاية المطاف بشر .

نتكاسل في العبادات ، كلنا يفتر ويكِل إلا من رحم ربي .

نخاف أن نقول كلمة الحق ، هكذا هم الناس يحسبون الأمر بالمشاهدة لا باليقين .

نتعلق بالأسباب يحدث هذا كثيراً فلسنا أنبياءً .

لا نعامل الآخرين كما يجب لأننا أمزجة وأهواء .

نخاصم وننافر فإن الأصل طين والشيطان مسلط والنفس أمارة بالسوء .

كل هذا يحدث ، ولكنه قابل للإصلاح ما دمنا على الطريق ، المعصية شوكة تُنزع بتوبة ، والمشكلات حفر والعاقل يسارع للخروج منها ، الخلافات مطبات مرة نتجاوزها ، ومرة لا ننتبه لها ، كل هذا مقبول أن يقع وإن كان الأصل أن لا يقع ، ولكن من غير المقبول أن نحيد عن الطريق إلى الله!

يقول الشافعي رحمه الله : إذا كنتَ في الطريق إلى الله فاركض ، فإذا صعب عليكَ فهرول ، وإذا تعبتَ فامشِ ، فإن لم تستطع فسِرْ ولو حبواً ، ولكن إياك والرجوع!

ويقول الألباني رحمه الله : الطريق إلى الله طويل ، ونحن نمشي فيه كالسلحفاة ، ليس المهم أن نصل ، المهم أن نموت على الطريق!

ما دمنا على هذه الأرض سنخطئ ، ونخاصم ، ونبخل أحياناً ، ونجبن أحياناً ، لن نكون ملائكة مهما حاولنا أن نكون ، وقد قال العارفون بالله : لم يكن أبداً من شروط السير إلى الله أن تكون بحالة طهر ملائكية ، سر إليه بأثقال طينك فهو يحب قدومك عليه على أي حال كنت!

فلا تحيدوا عن الطريق!

الوطن

٢٠١٨/٦/٢٨

لعنة البطل!

كان العربُ في الجاهلية أهل تشاؤم وطيرة ، يُؤمنون بالنحس واللعنات ، فلو قرضَ فأر ملابس إنسان اغتمَّ واهتمَّ فهذا عندهم نذير نقص في الأموال والأولاد ، وإذا كثر نقيق الضفادع في مكان ارتحلوا عنه فهذا نذير الموت ، وإذا عوت الذئاب في البراري فجاوبتها الكلاب في القرى فهذا نذير أن طبول الحرب تُقرع وأن مقتلة عظيمة ستحدث ، وكان العربي إذا خرج من بيته فرأى حصاناً أعور عاد أدراجه فأي يوم هذا الذي يبدأ بحصان أعور ، وإذا رأى حذاءً مقلوبا وكان على وشك إبرام صفقة تجارية أمسك عنها لأنه يؤمن أن المكتوب «باين من عنوانه» ، وستكون صفقة تجارية مقلوبة!

وقد كنتُ أحسبُ أن التشاؤم قديماً كان فينا معشر العرب وحدنا دوناً عن العالمين ، ولكن عندما قرأتُ كتاب الأساطير الرومانية واليونانية لأمين سلامة ، اكتشفتُ أن العبط والاستهبال كان سمة مشتركة بين جميع سكان هذا الكوكب وقتذاك!

وهذا لا يعني بالطبع أن البشر كفوا عن العبط والاستهبال ، فما يجنيه العرافون والمنجمون والدجالون من الناس السذج في بلادنا لو جُمع لفاق ميزانية دولة محترمة! وعلى سيرة الدول المحترمة فإن الأوروبيين ينفقون أموالاً طائلة أيضاً على الكهانة والعرافة والحُجب والكتب ، ولديهم معتقدات غريبة لا تتناسب مع وضع القارة العلمي والحضاري ، تخيلوا مثلاً أن في أيطاليا قرية لا يلفظ أحد من أبنائها اسمها لأن جميع سكان القرية يؤمنون أن من يتلفظ به من سكانها ستصيبه لعنة! وفي النمسا لا يشيرون بأصابعهم إلى قوس قزح لأن من يشير إليه يخرج له بثور وثآليل في إصبعه!

إلى هنا الأمر يسير ، شعوب كثيرة لا بأس أن يؤمن عوامها ببعض الخزعبلات ، أما أن تتحدث الصحف الأوروبية ، وتردد معها الصحف العالمية نشوء ظاهرة «لعنة البطل» في كأس العالم! فهذا يعني أن البشرية بلغت من الحماقة مبلغاً! ولعنة البطل باختصار هي أن حامل اللقب يخرج من الدور الأول في النسخة القادمة! ففي العام ١٩٩٨ فازت فرنسا باللقب ، ثم خرجت من الدور الأول عام ٢٠٠٢! في العام ٢٠٠٦ فازت إيطاليا باللقب ثم خرجت من الدور الأول عام ٢٠١٠! وفي العام ٢٠١٠ فازت إسبانيا باللقب ثم خرجت من الدور الأول عام ٢٠١٤! وها هو الأمر يتكرر واللعنة تحل مجددا ، ألمانيا فازت باللقب عام ٢٠١٤ ثم ها هي تخرج من الدور عام ٢٠١٨!

تكرر بعض الأشياء لا يعني أنه بالإمكان بناء نظرية وفقها ، فكيف ببناء خرافة ، ورداً على لعنة البطل هذه ، فإن الأبطال قديما لم يكونوا يخرجون من الدور الأول على عكس ما يحدث في النسخ الأخيرة ، ورداً على من يقول أنها لعنة حديثة فإن البرازيل فازت باللقب عام ٢٠٠٢ ولم تخرج من الدور الأول عام ٢٠٠٦!

إحدى مشاكل هذه البشرية أنك تحتاج طاقة جبارة لتقنع شخصاً واحداً بالحقيقة ، ولكن الأمر لا يكلفك شيئاً لإقناع آلاف بخرافة ما! عموماً دوما كان أتباع الأنبياء هم القلة وأتباع العبط والاستهبال والخرافات هم الكثرة ، الأمر ليس جديداً!

الوطن

٢٠١٨/٧/١

أنتَ ترى نفسك!

من جميل ما قرأتُ البارحة :

جلسَ في زاوية المطعم ، وبيده ورقة وقلم ، العجوز ظنته يكتب رسالة لأمه . والشاب ظنه يكتب رسالة لحبيبته . والطفل ظنه يرسم . والتاجر ظنَّه يجري صفقة . والموظف ظنه يحصي ديونه ، كل شخص يفسر تصرفات الآخرين من زاوية اهتماماته!

كل شخص يُفسر تصرفات الآخرين من زاوية اهتماماته!

هذا ليس رأياً أدبياً متسرعاً ، ولا حكماً تعميمياً أُطلق دون تريث ، على العكس تماماً هذا أحد المبادئ العامة في علم النفس ، ومنه انطلق «هرمان رورشاخ» الطبيب النفسي السويسري صاحب اختبار «روائز بقع الحبر»!

يقول رورشاخ : نحن لا نرى الأشياء كما هي بل كما نحن!

لهذا وفي سعيه لمعرفة أفكار ونفسية مرضاه ، كان يقوم بوضع بقع حبر على ورقة بيضاء بطريقة عشوائية ، ثم يقوم بثني الورقة والضغط عليها لترسم بقع الحبر أشكالاً غير واضحة ، ثم يفتحها ويطلب من مرضاه إخباره عما يرونه على الورقة ، وبالفعل كان المرضى يخبروه أشياء لم يكن يتوقعها ، ثمة من يرى بحراً متلاطم الأمواج ، وثمة من يرى سماءً مكفهرة ، وثمة من يرى عائلة في حديقة ، وثمة من يرى زوجة خائنة ، وثمة من ترى حبيباً غادراً ، وهكذا كان المرضى يرون وجوههم في بقع الحبر ويتحدثون عما يجول في خواطرهم!

ليس المرضى وحدهم من يرون بقع الحبر كما هم!

في الحقيقة كل ما في الحياة هو عبارة عن بقع حبر ، ونحن نراها كما نحن!

وصدق القائل حين قال : اللص يرى خلف كل شجرة شرطياً يريد أن يقبض عليه!

ويقول مارك توين : مأساة الكاذب ليس في أنه لا يصدقه أحد ، بل في أنه لا يستطيع تصديق أحد!

إن الأشخاص الملوثين من الداخل يصعب عليهم أن يصدقوا أن بعض البشر أنقياء كماء زمزم! وإحدى مشاكل الأنقياء الأزلية أنهم يعتقدون أن الآخرين مثلهم أيضاً! لهذا لا يقع في شراك الأشرار إلا الأنقياء ، قلّما يصطاد الشرير شريراً مثله!

كونوا على يقين أن حكم الإنسان على قضية لا يكشف حقيقة القضية بقدر ما يكشف حقيقة الإنسان نفسه! فالذين يدافعون عن الجلادين في هذا العالم لا يخبروننا أن الجلادين على حق ، إنهم يخبروننا أنهم حفنة عبيد ، فالعبد دوماً حيث يكون السوط والقيد ، والذين يدافعون عن المظلومين في هذا العالم لا يخبروننا بحقيقة هؤلاء المظلومين ، إنهم يخبروننا أنهم أحرار ، والحر دوماً حيث يكون الحق لا حيث تكون القوة!

أنتَ حين تعتبر أن السرقة التي قام بها شخص ما بطولة ، فلستَ تخبرنا أنه بطل ، أنتَ تخبرنا أنك لص مثله!

وحين يستفزك موقف عقوق رأيته ، فلستَ تخبرنا أن الذي قام به عاق ، بقدر ما تخبرنا أنك بار!

إن الطيور على أشكالها تقع ، ليس بأجسادها فقط وإنما بأفكارها!

الوطن ٢٠١٨/٧/٣

مناصب وزارية!

زار وزير الصحة مصحةً للأمراض العقلية ، وسأل المدير : كيف تُميزون العاقل من المجنون في هذه المصحة ، فمن الممكن أن يتهم بعض الناس عاقلاً بالجنون ويرسلوه إلى هنا!

قال مدير المصحة : الأمر بسيط سيدي الوزير ، نملأ هذا البانيو الذي تراه ماءً ، ونضع أمام المريض ملعقةً ، وفنجاناً ، وسطلاً ، ثم نقول له : قُم بإفراغ هذا البانيو من الماء!

عندها قال الوزير بحماسة : بالتأكيد إن العاقل سوف يختار السطل!

فقال مدير المصحة : العاقل سوف يرفع سدادة البانيو! هل نختار لك غرفة خاصة ، أم تجلس مع الشباب في العنبر؟!

القصة على طرافتها ، ووقوعها في باب الدعابات والاستظراف إلا أنها تحاكي الكثير من الواقع المعاش في وطننا العربي الكبير ، إنك لا تعرف على أي أساس يتم تعيين الوزراء ولا على أي أساس يتم عزلهم ، أو لعل هذه الأخيرة أكثر وضوحاً من سابقتها ، طبعاً لا سبيل للإنكار أن بعض الوزراء يستحقون المناصب التي هم فيها ، وهذا شأنهم شأن بقية الوظائف على ظهر الأرض من التدريس إلى المحاماة إلى الإدارة حتى إلى أرباب الأُسر ، فبعضهم لو كان لي الأمر لوضعت أوصياء عليهم كي لا يُتلفوا أولادهم! ولكن اللافت في عمل الوزارات العربية ثلاثة أمور :

الأول : أنَّ الوزير لا يفهم في مجال الوزارة التي يديرها ، وهذا لا يعني أنه لا يفهم في غيرها ، قد يكون مجال دراسته واطلاعه وعمله في مجال ووزارته في مجال آخر ، وهذا يكثر في البلاد التي

يتم فيها تقسيم الحقائب الوزارية على أساس المراضاة بين الأحزاب السياسية والطوائف ، حدث مرة في بلد عربي أن أصبح وزير الدفاع في الحكومة القديمة وزير التربية والتعليم في الجديدة ، ثم ما لبث أن أصبح وزير الزراعة! لنفترض أن هذا الوزير كان مختصاً في التربية والتعليم ، فما علاقة الدفاع والزراعة بمجال اختصاصه؟ لهذا لا يُستغرب إذا اجتمع بنقابات المزارعين ومسؤولي الاستيراد والتصدير الزراعي ومزارع الدواجن أن تكون اقتراحاته لحل المشاكل كاقتراح وزير الصحة أعلاه لإفراغ البانيو!

الثاني : أن هوامش تحرك الوزراء قد تكون محدودة ، بمعنى أن الوزير قد يكون فاهماً ودارياً بمجال عمله ، ولكنه يكون بحكم نظام الحكم وطبيعته شخصاً منفذاً لآراء غيره الذين لا علاقة لهم بحسب الأصول والتراتبية بمجال وزارته ، ناهيك أنه في دول بوليسية لا يمكن لوزير أن يتخطى ضابطاً صغيراً في المخابرات ، وهكذا تضيع الجهود سُدى ، لأن الأمن فوق كل اعتبار ولو كانت قرارات الوزارة لا تمس الأمن أساساً ، ولكننا في بلاد من السهولة بمكان أن تتهم فيها حلقة تحفيظ قرآن بأنها منبت إرهاب ولو كانت تحت رعاية وزارة الأوقاف!

الثالث : غياب التخطيط ، يرحل وزير ما ويرحل معه كل الجهد المبذول والخطط المرسومة لنبدأ من جديد ، فكأنها منقصة أن يكمل الوزير الجديد من حيث انتهى الوزير القديم ، كل وزير يحرص أن يترك بصمته ، أو يحشر إصبعه ولو كان في منطقة حساسة من جسد الوطن!

الوطن

٢٠١٨/٧/٥

ربما المشكلة فيك!

يُحكى أنَّ رجلاً انتقل مع زوجته إلى بيت جديد ، وفي صبيحة اليوم الأول لهما في ذلك المنزل ، وبينما هما يتناولان طعام الفطور ، قالت الزوجة لزوجها وهي تشير إلى النافذة : انظر إلى غسيل جارتنا إنه لا يبدو نظيفاً ، أي امرأة هذه التي لا تستطيع غسل ملابس عائلتها!

وطوال شهر تقريباً كانت الزوجة تكرر نفس التعليق على غسيل جارتها ، ولكنها ذات مرة لاحظت أن غسيل الجارة يبدو نظيفاً على عكس ما كان في السابق ، فقالت لزوجها : وأخيراً تعلمتْ جارتنا كيف تغسل!

عندها قال الزوج لزوجته : عزيزتي ، لقد نهضتُ باكراً هذا الصباح ونظفتُ زجاج النافذة التي تنظرين منها إلى غسيل جارتنا!

أحياناً لا يكون الخلل في المشهد وإنما في العين التي تراه! وهذه إحدى مشاكل البشر المستعصية التي ستهلك غير مأسوف عليها قبل أن تجد حلاً لها!

إنَّ بعض النقد الصائب أمره يسير ، بل هو مهم وضروري ، فمن الجيد أن يرى الإنسان نفسه في عيون الآخرين ، نحن جميعاً لا نرى أنفسنا كما يجب! وعندما نتواضع ، ونقبل أن نرى أنفسنا بأعينهم لبرهة ، لربما أتاح لنا هذا فرصة أن نُحسِّن من سلوكنا ، ونستحق فعلاً هذا التبجيل والتقدير الذي نكنه نحن لنا!

ولكن أخبروني بربكم إن كانت المشكلة في الآخرين ، كيف نُصلح لهم نظراتهم ، كيف نخبرهم أن غسيلنا نظيف جداً وأن زجاجهم المتسخ يحجب عنهم رؤية هذه النظافة؟! كيف نخبر

أصحاب برامج تقييم الآخرين ، وكُتاب الأعمدة في الجرائد ، وموزعي صكوك الجنة والنار على عباد الله ، أن الآخرين أنقى مما يعتقدون ، وأنه ليس لديهم مشاكل باستثناء حضرات مصلحي العالم الفاسدين!

ما أتعس هؤلاء الذين لا يبصرون موقع أقدامهم!

إن الذين تصفونهم بالمتشددين قد لا يكونون كذلك ولكن المستهترين والمنفلتين يحسبونهم كذلك!

إن الزوجة التي تصفينها بضعف الشخصية قد لا تكون كذلك ولكنكِ رأيتها كذلك لأنكِ مسترجلة!

وإنَ الزوج الذي تصفَه بناقص الرجولة قد لا يكون كذلك ولكنك تراه هكذا لأنك قاسٍ ، ولأنك لا تفهم ما هي الرجولة حقاً!

إن الإنسان الذي تصفه بأنه بارد الدم ، وليس لديه إحساس وانفعال قد لا يكون كذلك ولكنك تراه هكذا لأنك عصبي لا تملك زمام نفسك أي تصرف يستفزك ، وأي فعل يتملكك بدل أن تتملكه!

الإنسان الذي تصفه بأنه جبان ، ولا رأي له ، لأنه لا يكيل اتهامات نقص الوطنية والانتماء لهذا وذاك ، قد لا يكون كذلك ، أنتَ تراه هكذا لأنك لا تعلم أن الآخرين أنقى من أن يصبوا الزيت على النار إذا ما اختلف الناس فيما بينهم ، وأرقى من أن يُحَرِّشوا بين هذا وذاك ، وأعقل من أن يركبوا الموجة التي أحدثها الآخرون ، البعض بحارة أمهر من ألف مثلك ، لا يخشون الموج ولكنهم لا يركبون إلا الأمواج التي ترضي ضمائرهم!

الوطن

٢٠١٨/٧/٨

أعطِ من قلبك!

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في مذكراته :
رأيتُ ابنتي البارحة قد أخذتْ شيئاً من الفاصولياء ، وشيئاً من الأرُز ، ووضعتها في طبق كبير من النحاس ، ووضعتْ عليها قليلاً من الباذنجان ، ورمتْ في الطبق خيارةً وحباتٍ من المشمش . وذهبتْ به

فقلتُ لها : لمن هذا يا بنت؟

فقالت : للحارس ، أمرتني جدتي أن أدفعه إليه!

فقلتُ لها : ارجعي يا قليلة الذوق ، هاتي صينية ، وأربعة صحون صغار ، وملعقةً وسكيناً وكأس ماء ، وضعي كل جنس من الطعام في صحن نظيف

فوضعتْ الأشياء كما أمرتُها ، فقلتُ : الآن اذهبي به إليه

فذهبتْ وهي ساخطة تبربر وتقول كلاماً لا يُفهم

فقلتُ : ويحكِ ، هل خسرتِ شيئاً؟ إن هذا الترتيب أفضل من الطعام ، لأن الطعام صدقة بالمال وهذه صدقة بالعاطفة ، وذلك يملأ البطن ، وهذا يملأ القلب!

تعمدتُ أن أنقل هذه القصة بحرفيتها دون إعادة صياغة ، ودون تغيير لبعض المفردات التي قد يجدها البعض غير لائقة ، وتعمدي هذا مدفوع بنية إفهام الكثيرين أن حياة الأشخاص الذين يبدون مثاليين ليستْ مثالية ، هم أيضاً لهم زوجات ، وأولاد ، وأقارب وجيران ويحصل معهم تلك المواقف الحياتية التي تحصل لنا جميعاً ، وهم وإن كانوا مثاليين فعلاً كما كان الشيخ علي الطنطاوي وكذلك

نحسبه ، فلأنهم يتصرفون في مناحي حياتهم بأخلاقهم وقيمهم التي ينادون بها ، لا لأن كل ما حولهم مثالي حقاً ، ويكفيه فخراً رحمه الله أن طبّق عملياً الدرس الذي ما انفك زهاء عشرين عاماً يعلمنا إياه على مائدة الإفطار في برنامجه الرمضاني ، وهو أن إنسانية الإنسان إنما تُقاس بتعامله مع من هم أدنى منه رتبة اجتماعياً واقتصادياً ، وليس بتعامله مع من هم في نفس منزلته ورتبته ، أو من هم أعلى منها ، وما أروع أولئك الذين يشبهون في تصرفاتهم كلامهم الجميل الذي يقولونه!

إن شكل الطعام في الأطباق بعد تدخل الشيخ كان كفيلاً أن يُشعر الحارس بإنسانيته ، وأنهم يحترمونه ويقدرونه ، على عكس ما كان سيشعر به لو قُدم إليه أول مرة! وعليه قِسْ بقية الأمور في الحياة!

إن الأسلوب الذي نعطي به الأشياء للآخرين هو الذي يحدد وقعه في نفوسهم وليس الشيء الذي أعطيناهم إياه!

فعلى سبيل المثال لطالما كان إخبار الآخرين بخطأ قاموا به ، واقتراح تصرف صائب مكانه هو عمل نبيل فعلاً ، ولكن كي يبقى هذا العمل نبيلاً ويلقى صدى وقبولاً في قلب من قيل له يجب أن يُقدم على طبق من اللطف ، إن الآخرين لن يتقبلوا نصائحك لو كانت املاءً ، وصواب كلامك لن يكون له فائدة إذا كان دجاً وقاسياً ، فإن الذي بُعث بالحق ، قال له ربه ﴿ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾! هذا وهو يقول الصواب ، ولا يُبلغ كلامه وإنما كلام ربه ، فإذا كان هذا الصواب المطلق قد لقي قبولاً

عند الناس لأنه قُدِّم إليهم بلين قلب وحلاوة لسان ، فمن باب أولى أي كلام بشري آخر لن يلقى صدى ما لم يُقدم للآخرين بذات الشروط!

أن يمر أحدنا بفقير ويتخطاه ولا يعطيه شيئاً أفضل من أن يقذفه بالصدقة وهو جالس على الأرض كمن يقذف الزاني المُحصن بحجر! فحاجة الفقير إلى ترميم قلبه أكثر منها إلى ترميم جيبه! إن البشر ليسوا لحماً ودماً ، هذا هو الجزء الظاهر منهم فقط ، البشر في الحقيقة مشاعر وكرامات ، وكل عطاء لا يراعي مشاعرهم وكراماتهم سواءً كان عطاءً مادياً أو معنوياً ، فإنَّ الحرمان خير منه ، فإذا أراد الإنسان أن يعطي فليعطِ من قلبه أو ليُمسك!

الوطن
٢٠١٨/٧/١٠

الطبع غالب!

يُحكى أن العقرب طلب يومًا من الضفدع أن ينقله على ظهره إلى الضفة الأخرى من النهر .

فقال له الضفدع : أمجنون أنا حتى أحملك على ظهري فتغرس سمك في جسدي؟!

فقال له العقرب : كيف ألسعك وأنا على ظهرك فوق النهر ، أأقتلك وأغرق؟!

وافق الضفدع ، وحمل العقرب على ظهره ، وهما في منتصف الطريق صوّب العقرب إبرته ولسع الضفدع ، وأعمل سمه فيه .

فالتفت إليه الضفدع وهو ينازع ، وقال له : لم فعلت هذا ما دمت ستغرق وتموت معي؟

فقال له : الغدر طبعي ، والطبع غالب!

الحديث اليوم ليس عن العقارب والضفادع ، وإنما عن الطباع ، وتعليل الطباع في الناس ليس أمرًا ميسورًا ، طالما شغلني فهمه ، ولم أجد في علم النفس ضالتي المنشودة ، رغم أني قرأت فيه كثيرًا ، وليست الحال في علم الاجتماع أكثر وضوحًا ، فلا يوجد علم يمكن أن يشرح لماذا يوجد شخصان أحدهما هادئ ، والآخر عصبي حاد رغم أنهما جاءا من نفس الأم والأب ، ويعيشان تحت سقف واحد ، ويتلقّيان التربية ذاتها ، فلماذا أحدهما كريم ، والآخر بخيل شحيح ، ولماذا أحدهما اجتماعي ، والآخر منعزل منطو ، لماذا الناس كما قال الله في الشجر والثمر : ﴿يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؟

لم أجد تفسيرًا شافيًا ، ولا إجابة وافية إلا في الدين . . . ففي البداية لابن كثير ، والطبقات لابن سعد ، ومسند أحمد ، وصحيح ابن حبان أن رَسُولُ اللَّه ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ» .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عباس أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأشجع عبد قيس : إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة!

فقال الأشجع : أجُبلتُ عليهما أم تخلّقتُ بهما؟

قال : بل جُبلت عليهما!

لا إجابة أوضح ، ولا تعليل أشفى من هذا ، إنها أصل الخِلقة ، فكما تراب الأرض فيه الكريم الذي يهيج بالزرع ، وأخر عقيم لا يُخرج نبتًا مهما صببت فيه من ماء . هكذا هم الناس ، أخذوا ألوانهم وطباعهم من التراب الذي خلقوامنه!

هذا الجواب يطرح سؤالاً منطقيًا : ما دام الناس قد جُبلوا على طباع معينة ، فلماذا يُحاسب الله الناس على شيء خلقه فيهم؟! ولماذا يُمدحُ الهادىء ويُذمُّ العصبي؟ ولماذا يُحمدُ الكريمُ ويُكره البخيل؟ مع أن الجميع يسير في الحياة وفقاً لما جُبِل عليه؟!

علينا أن نفهم أن كل ما في الحياة رزق من الله ، المالُ ، والأولاد ، والشكل ، والعقل! وأنه سبحانه فاوت بين الناس في الأرزاق ، لا عن عجز منه أن يجعلهم سواء ، ولكنها دار امتحان يريد الله أن يرى الذي أُعطي أيشكر؟ و الذي حُرم أيصبر؟ وقد مضى عدله سبحانه أن لا يّثيب على ما أعطى ، ولا يعاقب على ما أخذ!

فلن يدخل الجنة أو النار رجل بمال كثير أعطيه ، وإنما بطريقة جمع المال وإنفاقه ، ولن يدخل الجنة أو النار رجل حُرم المال ، وإنما بصبره أو تسخطه ، وباكتسابه بالحلال أو بالحرام ، فلا الوسيم أحب إلى الله من الدميم ، ولا الصحيح أحب إليه من السقيم ، ولكنه امتحان .

وكما الأعطيات المادية امتحان ، كذلك الأخلاق امتحان والخُلق السيء في الإنسان جِبلة لا يبرر أن ينساق الإنسان له ، فالدنيا دار مجاهدة ، و الأجر على قدر الجهاد! وكما جاء في الحديث : «إنما العلم بالتعلّم ، وأنما الحلم بالتّحلّم» فالإنسان فيه إرادة إلى جانب الطبع والفطرة ، وعليه بإرادته ، أو يجاهد طبعه ، وإن كنا على سبيل المثال متفاوتون في الطباع ، فكلنا فينا شهوة ، فهل تبرر الشهوة الزنى؟! أو يبرر حب المال السرقة؟! لا يقول بهذا عاقل ، وهذا كذاك!

الوطن
٢٠١٨/٧/١٢

المُنتحِلون!

يُعجبني الشخص الذي إذا قيل له : لو كان بإمكانك أن تكون شخصاً آخر غير نفسك فمن تختار لتكون؟

فيجيب : لا أريد أن أكون إلا نفسي!

البارحة كنتُ جالساً بأمان الله وحدي في المنزل ، وإذا بزوجتي تسألني في الواتساب : ألسنا أصدقاء؟!

في الحقيقة استغربتُ من سؤالها ، ولكني كالعادة آخذ هذه الأمور بروح رياضية وأغتنم فرصة أن أقول أشياء لا يمكن قولها في سياق آخر ، فقلتُ لها : في الحقيقة نحن متورطان بأكثر من هذا!

قالت لي : لا ، لا ، أقصد في الفيسبوك لقد وصلني منك طلب صداقة!

قلتُ لها : لم أرسل طلب صداقة لك ثم نحن كما تعرفين صديقان إلكترونيان منذ زمن!

لم يطل الأمر كثيراً حتى جاءتني رسائل أخرى في الفيسبوك تسأل إن كنتُ قد أرسلتُ لهم طلبات صداقة ، لأكتشف أن كائناً ما قد قام بإنشاء حساب باسمي ، فيه صورتي الشخصية ومعلومات مطابقة لتلك التي في حسابي الشخصي مما اضطرني للإعلان عن عدم علاقتي بالحساب الجديد لا من قريب ولا من بعيد ، وأساساً أنا لا أحب التعدد في شيء!

والشيء بالشيء يُذكر ، منذ عام تقريباً وصلتني رسالة من فتاة تقول لي فيها بأنها حدثتْ أهلها بشأن علاقة حبنا ، وأنها استطاعت بعد جهد جهيد إقناعهم بالموافقة على زواجنا لأنهم لم يتقبلوا بداية أن تنزل ابنتهم على ضرة!

استجمعتُ قواي وحاولتُ الاستفسار عن علاقة حبنا التي أسمع بها للمرة الأولى! لتخبرني أني كنتُ أحدثها من حسابي الآخر الذي أرسلَتْ لي رابطه ، وأنني قررتُ أخيراً أن أرتبط بها ، وبقيتُ قرابة ساعة أحاول إقناعها أنه ليس لدي حساب آخر ، وأن وضع صورتي في حساب باسمي لا يعني أنه أنا ، وأني لا أملك حساباً آخر ، ولكنها لم تقتنع وعندما ضقتُ بها ذرعاً قلتُ لها : حسناً اذهبي وكلميني هناك!

فقالت لي : أنت لم تعد ترد عليّ هناك!

المهم أني راسلتُ ذلك المنتحل وقلتُ له : أتعتقد أنه يوجد أحقر من إنسان يلعب ببنات الناس بإسم شخص آخر؟!

طبعاً لم يرد عليَّ أيضاً!

من الأشياء التي لا أستطيع فهمها ، هي محاولة إنسان أن يكون شخصاً غير نفسه ، أن يتكلم بلسان شخص آخر ، يحس بقلبه ، ويفكر بعقله ، والأدهى أن يعيش مشاعره!

أنا أحد الذين يعرفون أن في العالم ملايين أفضل مني ، وسيمون لا يشبهونني ، أثرياء جداً ، متعلمون ، لديهم وظائف مرموقة ، ولا أشعر بالحرج في أن أتعلم منهم ، وأشعر أنه من النبل الثناء على إنسان أفضل مني لأن الاعتراف بمزايا الآخرين من خصال الأنبياء وقد قال موسى عليه السلام : ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾! ولكني يشهدُ الله أني ما تمنيتُ يوماً أن أكون شخصاً غير نفسي ، ولا أن أعيش حياة شخص آخر ، لأني أعرفُ أن الله وضعني حيث يجب أن أكون! ولأني أعرف أن لكل إنسان مشاكله وهمومه التي لا نراها!

إن أسوأ إحساس يمكن للإنسان أن يشعر به ، هو الإحساس بالنقص ، وهذا شيء يأتي غالباً من عدم الرضى عن قدر الله وقسمته ، ومن النظر إلى ما في أيدي الآخرين بدل النظر إلى ما في أيدينا!

كونوا أنتم ، فليس هناك أمتع من أن يكون الإنسان نفسه!

الوطن
٢٠١٨/٧/١٥

تعالوا نستشعر نِعم الله!

تمَّ الإعلان عن فيلم قصير مدته عشر دقائق ، وجاء في الإعلان أن الفيلم قد فاز بالجائزة الأولى عن فئة الأفلام القصيرة ، ولهذا السبب سيتم عرضه في قاعة السينما!

أثار الإعلان فضول الناس وأتى لمشاهدته جمع غفير . بدأ الفيلم بمشهد لسقف الغرفة ، ومضت ستُ دقائق والكاميرا لا تتحرك ، الوقت يمضي ولا شيء غير سقف الغرفة! تململ الناس وشعروا أنهم قد خُدعوا ، حتى أن بعضهم همَّ بالانصراف ، ولكن أخيراً تغير المشهد ، الآن صورة من الأسفل لطفل مشلول نائم في سريره! ثم ظهرت كتابة تقول : لقد عرضنا لكم ثماني دقائق فقط من المشهد الذي يشاهده هذا الطفل على مدار حياته! من الجميل أن تعرفوا قيمة كل ثانية من حياتكم!

غارقون نحن في نعم الله من حيث لا ندري! وللأسف أغلبنا لا يعرف نِعم الله سبحانه عليه إلا إذا فقدها! قاصرو التفكير والإدراك نحن عندما ننظر إلى الذين أعطاهم الله أكثر مما أعطانا بدل أن ننظر إلى الذين حُرموا مما تكرم الله به علينا! محدودو النظر نحن عندما نحسب أن النِعم في المال والمناصب والشهرة فقط! وهي والله نِعم من المنان لا أنكرها ولكن ماذا عن النعم التي لا تشتريها الأموال ولا تأتي بها المناصب ولا يتم إدراكها بالشهرة؟!

مأساتنا الكبرى نحن البشر أننا نعتقد أن كل ما بين أيدينا هو حق من حقوقنا ، لهذا يبدو ما نملكه ضئيلاً في عيوننا ولكننا لو

نظرنا حولنا ، ورأينا أولئك الذين حُرموا مما لم نُحرم منه لعرفنا أننا لو سجدنا لله شكراً وما رفعنا رؤوسنا حتى يدركنا الموت لما أدينا حق الله من الشكر!

نحن نعتقد أن إنجاب الأولاد حق من حقوقنا فقد تزوجنا ، ونحن أصحاء ، وما من مشكلة ، حسناً ألا يوجد في هذا العالم من لا يستطيع أن يتزوج؟! كم من فقير يشتاق أن تكون له زوجة ، وكم من فتاة حسناء فاتها قطار الزواج ، وكم من بشر تزوجوا ، ولكنهم لم يُنجبوا ، إن هؤلاء الأولاد الذين لا ندرك حجم النعمة فيهم غيرنا لا يريد من الدنيا سوى ولد!

نحن نعتقد أنه من حقوقنا أن نكون أصحاء ، بربكم انظروا حولكم لتعرفوا مدى نعمة الصحة ، انظروا للمتجه إلى المستشفى لأجل جرعة الكيماوي التي تحرقه من جهة وللسرطان الذي ينهشه من جهة! انظروا للمتجه إلى قسم غسيل الكلى ، انظروا للمقعدين ، للمبتورة أقدامهم ، للمحرومين بأمر الأطباء من عشرات صنوف الطعام الذي يملكون ثمنه! انظروا للعميان ، للصم والبكم ، ثم بعدها قولوا : لك الحمد يا رب!

نحن نعتقد أن الأمن حق من حقوقنا لهذا لا نعرف قيمته ، انظروا إلى البلاد التي تدور فيها الحروب ، إلى الأرامل في مقتبل العمر ، الأمهات الثكالى ، الآباء المفجوعين بأولادهم ، البيوت المهدمة ، التجارات التي انهارت بين ليلة وضحاها ، التشرد في الأرض بحثاً عن حياة ، الجثث التي نجت من نار القذائف ولم تنجُ من ماء البحر فشاهدناها على قنوات التلفزة ممددة على الشواطئ!

نحن أثرياء كثيراً ، أثرياء أكثر مما نعتقد ، وأكثر مما نتخيل ، أثرياء بنعم الله التي لا تُشترى ، نحتاج فقط أن نُغيِّر نظرتنا إلى الحياة ، أن نُعدد ما لدينا من نعم ، ونستمتع بها إلى الحد الذي ننسى به ما نفتقد!

قرأتُ مرةً قولاً لشخص يقول فيه : كنتُ أتذمرُ من حذائي القديم حتى شاهدتُ رجلاً قد بُترتْ قدماه!

الوطن
٢٠١/٧/٢٢

فراسة الأدباء!

في العام ١٨٦٣ كتب الأديب الفرنسي «جول فيرن» رواية بعنوان «باريس في القرن العشرين» . وقال فيها أنه سيكون هناك ناطحات سحاب زجاجية ، قطارات فائقة السرعة ، سيارات تعمل بالغاز ، آلات حاسبة تقوم بعمليات معقدة ، شبكة اتصالات تربط العالم!

الأصل في الفراسة أنها التنبؤ بما سيحصل في المستقبل بناءً على ما يراه المتفرس من الحاضر ، كفراسة ابنة شعيب في موسى عليهما السلام يوم أوصت أباها باستئجاره للعمل عنده وسيكون قوياً وأميناً فكان ، وقد بنت حكمها على المستقبل بما رأت منه ، وكفراسة أبي بكر يوم أوصى بالخلافة لعمر حيث تبين أن كليهما كان يرى بنور الله ، المُتفرِّسُ والمُتفرَّسُ به! وهذا أيضاً بناه أبو بكر على ما رأى من عمر! ولكن ما الذي رأته آسيا في وجه موسى وهو ابن أيام في الصندوق يوم قالت : «عسى أن ينفعنا» فقادها إلى الجنة ، في الحقيقة لستُ أدري ، تماماً كما أني لستُ أدري كيف تنبأ «جول فيرن» أن العالم سيكون على الشكل الذي نعرفه اليوم في وقت لم يكن شيء يوحي بهذا!

لم يكن «جول فيرن» هو الأديب الوحيد الذي توقع حدوث أشياء في المستقبل فحدثتْ ، هناك كثر غيره ، فعلى سبيل المثال في روايته «عالم جديد شجاع» الصادرة عام ١٩٣٢ تنبأ «الدوس هيكسلي» بظهور أطفال الأنابيب! وأيضاً لا أعرف ما الذي رآه هيكسلي يومذاك من حاضر حتى جعله يرى المستقبل!

وفي العام ١٩٧٠ أصدر «آرثر كلارك» روايته «الوليد المرعب» تنبأ فيها بظهور الأقمار الصناعية وشبكة الانترنت مع العلم أن الحديث عن هذا في ذلك الوقت أشبه بإخباري لكم أن الحيتان ستتناول طعام الغداء على سطح منزلنا!

بعض الفراسات يمكن فهمها برأيي ، لأنها وليدة الأحلام وليست بناءً على واقع معاش ، فعلى سبيل المثال ، فإن صاحبنا في هذا اليوم «جول فيرن» كتب في العام ١٨٦٥ روايته «رحلة إلى القمر» ، أي قبل نزول نيل آرمسترونغ على سطح القمر بمئة عام بالتمام والكمال!

أرى أن الأمر بسيط ومفهوم في هذه الحالة ، القمر يُرى بوضوح ، والإنسان لا يكف عن الأحلام وإن كان يُحسب ل«جول فيرن» اصطياد الحلم في صفحات رواية ، فلا أعتبرها نبوءة كما لو قال أحدهم قبل مئتي عام أنه سيكون هناك طائرات بوينغ ، حلم الإنسان بالطيران أقدم من كل مطارات العالم ، وقد فعلها عباس بن فرناس يوم لم يكن في العالم مطارات فعلاً! ولكن تلك الأشياء التي لا شيء في الحاضر يدل عليها ، كيف يرى الناس أنها ستقع وتقع فعلاً في المستقبل ، في الحقيقة لستُ أدري ، ولا أخجل من قولها ، وأجد رضى أن أكتب عن شيء لا أعرف تفاصيله وتفسيره ، ولكني دوماً أقول : النص الجيد هو الذي يثير فيك أسئلة أكثر مما يعطيك إجابات!

الوطن
٢٠١٨/٧/٢٤

إبداء العلم أحياناً جهل!

يُحكى أنَّ رجل دين ، ومحام ، وفيزيائي ، صدر عليهم حكم بالإعدام بالمقصلة ، جاؤوا أولاً برجل الدين وقالوا له : هل من كلمة أخيرة تقولها؟

فقال : الله وحده سينقذني من هذا!

وعندما أفلتوا حبل المقصلة توقفت قبل سنتيمترات من رقبته

فقال الناس : اطلقوا سراح رجل الدين فهو مظلوم!

فجاؤوا بالمحامي ، وقالوا له : هل من كلمة أخيرة تقولها؟

فقال : أنا لا أعرف الله كرجل الدين ، ولكن العدالة ستنقذني!

وعندما أفلتوا حبل المقصلة توقفت قبل سنتيمترات من رقبته أيضاً

فقال الناس : أطلقوا سراح المحامي فهو مظلوم أيضاً!

وعندما جاؤوا بالفيزيائي ، قالوا له : هل من كلمة أخيرة تقولها؟

فقال : إن الأمر ليس له علاقة بالله ، ولا بالعدالة ، يوجد عقدة في حبل المقصلة هي التي جعلتها تتوقف ولا تقطع رقبتي رجل الدين والمحامي ، عندها حلَّ منفذو الإعدام عقدة حبل المقصلة ، وقطعوا رأسه!

ليس العجب أن يهلكَ الجاهل بجهله ، وإنما العجب أن يهلكَ العالم بعلمه! وإنّ رأس العلم أن تعرف متى تتكلم ومتى تصمت ، إن الكلام في غير أوانه كرفع الأذان في غير وقت الصلاة ، والصمت في غير أوانه كترك أذان الفجر خشية إزعاج النائمين!

مشكلة الكثيرين من الناس أنهم يعتقدون أنه يجب أن يكون لهم رأي في كل قضية ، ومكان في كل خلاف ، وخطوة في كل طريق ، وغنيمة من كل حرب ، وسهم من كل تركة ، بينما في الحقيقة إن قيمة الإنسان أحياناً تكون فيما يترك لا فيما يأخذ ، وفيما لا يقول لا فيما يقول!

لا تتفلسف كثيراً ، الحقيقة حلوة ، ولكن ليس كل وقت هو وقت الحقيقة ، تقع مشكلة بين زوجين ، طفل في السادسة يستطيع أن يفتيك في المسألة ويخبرك من هو الظالم ومن هو المظلوم في القضية ، ولكن السؤال أهذا موضع إصدار الأحكام أم موضع رأب الصدع! ولا يهدم البيوت غير القضاة من الأقرباء في حين أن الأمر يحتاج مصلحاً ولو كان غريباً ، الأمر لا يحتاج فطنة إياس بن معاوية لتخبر زوجة أن هذا الزوج لا يُعاش معه ، ولا يحتاج ذكاء شريح القاضي لتخبر زوجاً أن زوجته ليست كما ينبغي أن تكون الزوجات ، حسناً وماذا بعد هذا؟! تُغلق البيوت ، وتضيع الأُسر! ورحم الله عمر بن الخطاب يوم قال : ليس الفطن من عرف الخير من الشر ولكن الفطن من عرف خير الشرين! فأحياناً الإبقاء على مشكلة ما بالشكل الذي هي عليه هو الحل المثالي لها ، لأن بعض الأغصان إذا أتيتَ لتقومها كسرتها ، فدعها تثمر على ما فيها من عوج!

الوطن
٢٠١٨/٧/٢٦

عنصرية!

عندما كان العَالمُ يستريحُ من وعثاءِ الحرب العالمية الأولى ، كان أدولف هتلر مشعلُ الحرب العالمية الثانية في السجنِ يكتبُ فصلاً في كتابه الشهير كفاحي يقول فيه :

جميع ثقافات الماضي العظيمة اندثرتْ فقط لأن السلالة المبدعة الأصلية قد ماتت بفعل تسمم الدم!

بعد ذلك بأربعة عشر عامًا كان موسوليني هو الآخر يخطُّ في كتابه بيانًا عن العرق يقول فيه :

الطابع البدني والنفسي الأوروبي النقي للإيطاليين يجب أن لا يتبدل بأي طريقة ، لقد حان الوقت لأن يعلن الإيطاليون عنصريتهم بكل صراحة!

قد يقول قائل : حمدًا لله أن هتلر وموسوليني قد ماتا!

شيء يستحق الحمد فعلاً! ثم إنه بعد الحمد والشكر ، انقرض عنصريان شهيران ، ولكن العنصرية لم تنقرض ، إنها باقية وتتمدد! تمددت كثيرًا حتى تجاوزت عقول الساسة إلى عقول الناس!

منذ أيام أعلن اللاعب الألماني ، التركي الأصل ، الكرديّ العِرق مسعود أوزيل اعتزاله لعب كرة القدم دولياً بعد التعليقات والمَضايقات العنصرية التي تعرض لها عقب المشاركة الهزيلة لألمانيا في كأس العالم . . . وقال أوزيل شارحاً بعضاً من معاناته : عندما نفوز فنحن ألمان ، وعندما نخسر فنحن مهاجرون!

وعلى الرغم من فوز فرنسا بكأس العالم بفضل المهاجرين من مواطنيها ، الأفارقة منهم تحديداً ، إلا أن صحيفة «تشارل إبيدو» السيئة السمعة والصيت ، نشرت رسماً كاريكاتيرياً تسخر فيه اللاعبين المجنسين بطريقة عنصرية هابطة!

ونحن عنصريون أيضًا يا عزيزي!

من منا لم يسمع عن قلوب احترقت ، وزيجات وئدت ، فقط لأن بعض الناس يعتقدون أنهم من سلالة أعرق ، ونوع أفخم ، وهناك دم ساميّ يجب المحافظة عليه!

من منا لم يشهد موقفًا تفوح منه العنصرية بين أبناء الوطن الواحد حتى ، ناهيك أن كل شعب منا يعتقد جازمًا أنه شعب الله المختار! بالمناسبة هذا ما يعتقده اليهود أيضًا! حيث أن تلمودهم يقول أن الشعوب الأخرى لم تُخلق إلا لخدمتهم ، وأن الشعوب الأخرى هي في الحقيقة حيوانات ولكنها خُلقت بصورة بشرية كي لا يأنف شعب الله المختار من أشكالهم وهم يخدمونهم!

وعلى صعيد الشعب والوطن الواحد في كل بلادنا العربية حدّث ولا حرج! أبيض وأسود ، شمالي وجنوبي ، بدوي وحضري ، قرويّ ومدنيّ ، معه أوراق ثبوتية وبدون! بحري برمائي فضائي أي شيء دوما نبحث عن أدق التفاصيل لنمارس فيها العنصرية إلا من رحم ربي!

عندما قال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء! قال له النبي ﷺ : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية!

إن نظرة الاستعلاء على الآخرين جاهلية محضة ، وكِبر لا مبرر له سوى عقدة نقص في نفس صاحبها ، ومهما بلغ أحدنا نسبًا فلن يبلغ مقدار ما بلغ النبي ﷺ وهو القرشي الهاشمي ، ورغم هذا كان يُسلّم على الأطفال ، ويأكل مع الضعفاء ، ويدافع عن العبيد والمقهورين ، وكان دومًا يذكرنا بأصلنا فيقول كلكم لآدم وآدم من تراب!

الوطن
٢٠١٨/٧/٢٩

فوائد الزوجة النكدية!

قرأتُ البارحة خبرًا طريفًا مفاده أن مواطنًا أمريكيًا من ولاية «نيو جيرسي» اشترى قارورة عصير برتقال من أحد المتاجر، وعاد بها مزهوًا إلى البيت، ليكتشف أن زوجته قد اشترت قارورة مطابقة لها تمامًا وبنصف المبلغ! ولأنه لم يحتمل سخرية زوجته التي استمرت قرابة ساعة، عاد إلى المتجر وقام بإرجاع قارورة العصير، وهو خارج من المتجر اشترى تذكرة يانصيب وربح فيها مبلغ ٣١٥ مليون دولار! وعندما تسلم الجائزة قال للصحافة التي احتشدتْ لتغطية الحدث بعد شيوع القصة في المدينة: أشكر زوجتي أولاً وأخيرًا فلولا أنها قامت بالتنكيد عليَّ، وتنغيص فرحتي بقارورة العصير ما كنتُ لأرجعها وأشتري بطاقة اليانصيب الفائزة!

هذا الخبر ذكّرني بإيميل وصلني منذ سنوات يوم لم يكن هناك واتساب وكان الهوتميل هو وسيلة البشر الوحيدة لاقتحام حياتنا! في الحقيقة لقد حذفتُ ذلك الايميل منذ سنوات أيضًا، ولكني معتمدًا على الله أولاً، ثم ذاكرتي الثاقبة ثانيًا في كل ما أقرأ، أُلخص لكم أهم فوائد الزوجة النكدية!

- الزوجة النكدية تساعد الرجل على أن يحافظ على وزنه ورشاقته لأنها تسد نفسه عن تناول الطعام، فيمضي أغلب وقته كالصائم!
- الزوجة النكدية تساعد زوجها على صلة الرحم، فهو يهرب منها إلى بيت أمه، ولو وجد السعادة في البيت لربما قاد هذا إلى العقوق والعياذ بالله!

- الزوجة النكدية تجعل علاقتك مع مديرك في العمل أفضل ، لأنك بسبب قرفك من حياتك ستنكب على إنجاز أعمالك التي هي «فشة» الخلق الوحيدة المتاحة!
- الزوجة النكدية تساعدك على غض البصر لأنها تجعلك تكره جنس النساء جميعًا ، وتكتفي بمصيبة واحدة على مبدأ أن «المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين»!
- الزوجة النكدية ستجعل لسانك رطبًا بذكر الله ، لأنكَ ستمضي الكثير من الوقت وأنتَ تقول : أستغفر الله العظيم - لا حول ولا قوة إلا بالله - حسبي الله ونعم الوكيل! فلولاها لربما أشغلتك السعادة عن ذكر الله!

والشيء بالشيء يُذكر ، التقى صديقان بعد غياب طويل فسأل أحدهما الآخر : هل زوجتك من النوع النكدي

فقال له : وهل هناك نوع آخر؟!

المهم أن هذا المقال لا يُعبّر بالضرورة عن أفكاري ، ولا عن أفكار الصحيفة ولكن كان لا بد من كتابة شيء لأجل أن تمتلئ الصفحة! كما لا يفوتني أن أنوه أن أية مكروه يصيبني فلن يكون على خلفية هذا المقال ، ونسأل الله السلامة!

الوطن
٢٠١٨/٧/٣١

اللباقة في خطر!

منذ شهرين تقريبًا ، وتحديدًا في ٣١ أيار نشرت مجلة «نيتشر» مقالاً أصنفه أنا ضمن المقالات بالغة الأهمية ، نظرًا لأن نتيجته تفيد أن اللباقة في خطر!

فقد قالت الصحيفة بأن كلمة «شكرًا» يندر سماعها حول العالم ، فقد تم تركيب كاميرات مزودة بميكروفونات في أماكن عامة في خمس قارات ، مما سمح للباحثين رصد محادثات جرت بثماني لغات ، وكانت النتيجة صاعقة فمن بين ألف شخص طلبوا معروفاً أو إسداء خدمة أو السؤال عن جهة معينة وقام الآخرون بالتجاوب معهم فأسدوا إليهم الخدمة ، أو أجابوهم على أسئلتهم ، قام خمسة وخمسون شخصًا فقط بالإعراب عن الامتنان والتقدير سواءً بقول شكرًا أو حتى بإيماءة توحي بالامتنان!

ومن فواجع الأمور أن المتحدثين بلغة تشابالا في الإكوادور لم يعبروا عن شكرهم ولو مرة واحدة خلال سبع وتسعين مرةً تلقوا فيها معروفًا طلبوه!

فاعل المعروف في الغالب لا ينتظر كلمة «شكراً» على معروفه . . . أنتم وأنا ، لن نتردد في إرشاد شخص تائه ، أو مساعدة شخص طلب أية مساعدة ، ولو عرفنا مسبقًا أننا لن نسمع منه كلمة شكر أو امتنان ، والسبب أننا حين نُقدّم معروفاً للآخرين فنحن نخدم أنفسنا أولا ، لأننا نحقق إنسانيتنا! وما سمي الإنسان إنسانًا إلا لأنه يأنس بغيره وغيره يأنس به كما يقول ابن جني لغوي العرب الفذ ، ولكنني لا أفهم لماذا يبدو بعضهم بهذا الجفاء وهذه الأنانية فلا يردون المعروف بكلمة لن تكلفهم شيئًا!

قيل قديمًا : ليس عليك أن ترد المعروف ، ولكن كن أرقى من أن تنكره!

عندما تاب الله على كعب بن مالك بعدما تخلف عن غزوة تبوك ، دخل المسجد مستبشرًا ، فقام إليه طلحة يهرول واحتضنه : بقي كعب كلما حدث بالقصة يقول : والله لا أنساها لطلحة!

على الإنسان أن يكون نبيلاً مع الناس ، لبقًا ابتداءً ، أما إذا كان الآخرون نبلاء معه أولاً ولبقين ، فإن نبلهم ولباقتهم دين في رقبته ، ولم يعد مخيرًا في أن يكون نبيلاً وإنما هو مجبر ، لهذا إن الذين لا يبادلون النبلاء نبلهم هم في الحقيقة يسيئون إلى أنفسهم!

يعجبني الأهل الذين يعتبرون أن كلمة «شكرًا» للآخرين يجب أن يتعلمها أولادهم كما يتعلمون سورة الفاتحة ، وهذا هو الفرق بين التربية والإعالة ، إن تقديم الطعام والشراب والرعاية الطبية للأولاد إعالة وليس تربية ، فهذا يفعله كل إنسان اقتنى حيوانًا أليفًا مع حيوانه الأليف! أما التربية فهي غرس الأخلاق والقيم والمبادئ ، وإن تقدير فعل الخير الذي تتلقاه جزء هام من الأخلاق .

والشيء بالشيء يُذكر ، قرأتُ عن مقهى في مدينة نيس في فرنسا يقدم القهوة أرخص للزبائن المهذبين! فإذا قلتَ للنادل : قهوة! فستدفع ٧ يورو ، أما إذا قلت له : صباح الخير ، قهوة! ستدفع ٥ يورو! وإذا قلت له : صباح الخير ، قهوة من فضلك! فستدفع ٢ يورو!

صحيح أن الأدب والأخلاق لا تُقدر بثمن ، ولكن من الجميل أن نجد في هذا الكوكب أشخاصًا ما زالوا يعيرون هذه الأشياء اهتمامًا ، ويحرصون أن يروا الآخرين مهذبين!

الوطن

٢٠١٨/٨/٢

هل آمنا بهم؟!

يقول أبو يوسف أشهر تلاميذ أبي حنيفة :

توفي أبي وتركني صغيرًا في حِجر أمي ، فأرسلتني إلى خياط أتعلم منه حـرفـتـه ، فكنتُ أترك الخَـيـاط وأذهب إلى حلقـة أبي حنيفة ، فكانت تأتي إلى المسجد وتأخذني من يدي وتعيدني إلى الخياط ، وكان أبو حنيفة يدنيني منه ويعلمني لما رأى مني من حب العلم ، ولما تكرر غيابي عن الخياط ، جاءت إلى المسجد وقالت لأبي حنيـفة : ما لهذا الصبي من فساد غيرك ، إنه يتيم يعولنا وأنت تشغله عما أرسلتُه له!

فقال لها أبو حنيفة : دعيه ، إنه يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق!

فـقـالت له : فـالوذج بدهن الفـسـتق ذاك الذي لا يأكله إلا الخليفة ، والله إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك!

فلزمتُ أبا حنيفة آخذ عنه ، حتى إذا مات رحمه الله خلفتُه في حلقته ، فلما ذاع صيتي ، أرسل إليّ الرشيد وولاني القضاء! فزرته يومًا في مجلسه ، فجيء له بطعام فدفعه إليّ وقال : كُل أبا يوسف! فأكلتُ طعامًا لم أذقه من قبل

فقال لي : أتدري ما أكلتَ؟

قلتُ : لا

قال : هذا فالوذج بدهن الفستق!

فجعلتُ أبتسمُ ، فسألني عما أضحكني ، فرويتُ له قصة أمي مع أبي حنيفة .

فقال : رحم الله أبا حنيفة كان يرى بعين عقله ما لا يراه الناس بعيون رؤوسهم!

إن الذي وصل إليه أبو يوسف كان بعد فضل الله بسبب إيمان أبي حنيفة به ، تخيلوا لو لم يؤمن أبو حنيفة بتلميذه ، وخلّى بينه وبين أمه ، ما كان ليكون مصيره ، على الأرجح لانتهى به الحال خياطًا في السوق ، ولمات دون أن يسمع به أحد ، لحظة إيمان الشيخ بتلميذه هي التي ولته القضاء ، وأدخلته إلى مجلس الخليفة ، وتركت لنا مراجعات أبي يوسف لشيخه ، وشرحه لمذهبه ، واستدراكه عليه أيضًا ، ولولا هذا الإيمان بالآخر ، لم يكن أبو يوسف ليضيع وحده ، فقه كثير ننعم به اليوم ، هو ثمرة إيمان أبي حنيفة!

إن كثيرًا من المواهب اندثرت ، وكثيرًا من النبوغ تلاشى ، لأنها لم تجد من يؤمن بها ، ويأخذها من الدنيا ويضعها على الطريق!

يزعجني كثيرًا الأهل الذين إذا اشترى ابنهم كتابًا قالوا له : لو اشتريت لقمة تأكلها أو قميصًا تلبسه! بدل أن يشجعوه ، ويشترون هم له الكتب ، يحطمون أجنحته ، ويكسرون مجذافه ، ثم يقولون عنه لاحقًا ، إنه لا يحلق عالياً كأولاد الناس ، ولا يبحر عميقًا كفلان وفلان! كيف تريده أن يُحلق وقد قصصت جناحيه ، ووأدت فيه موهبة كان عليك أن تنميها له!

يزعجني الأهل الذين يحملون أولادهم على دراسة الطب أو الهندسة وهم يرغبون باختصاص آخر ، أفهم تمامًا حب الأهل وأنهم يريدون لأولادهم الأفضل ، ولكن من قال أن الأفضل هو ما يجني مالاً أكثر ، ولماذا على الأهل أن يعيشوا حياة أولادهم بدلاً عنهم ، لماذا نريد أن نسرق منهم حياتهم ، ونحقق أمنياتنا من خلالهم؟ هذه أنانية وإن كانت بدافع الحُب ولا شك عندي بوجود الحب بل والكثير منه ، ولكن من الحب ما قتل!

ليس هناك أقسى من وأد الأحلام والمواهب ، آمنوا بأولادكم ، ازرعوا في أجنحتهم ريشة إضافية بدل أن تقصوها ، ولو كانت موهبتهم في شيء لا تؤمنون به! كلنا نعرف المتنبي ولكن لا أحد يعرف أثرى رجل في عصره!

وكلنا نعرف دافنشي ولا نعرف أشهر طبيب في عصره!

أي متعة كنا سنفقد لو أن «لوكا مودريتش» درس الهندسة بدل أن يلعب كرة القدم ، ولو أن محمد متولي الشعراوي كان طبيباً!

الوطن

٢٠١٨/٨/٥

ومن الحُبِّ ما قتل!

في العام ١٩٦٥م كان الدولفين بيتر جزءاً من برنامج ناسا التدريبي ، وكان الهدف من البرنامج تعليم الحيوانات التواصل عن طريق الإشارات ، المهم أن مارغريت كانت الدكتورة المختصة والمشرفة على بيتر ، فكانت تقوم معه بكل شيء ، من أكل ولعب ونوم وتعليم ، واستغرقا حوالي ست سنوات على هذا الوضع ، حيث تعلق بها فعلياً إلى أن أحبها ، فلم يكن يحب التعامل أو التجاوب مع غيرها ، وكان يرفض الأكل من أي شخص آخر غير مارغريت!

وبعد أن انتهى البرنامج ، أعادوا بيتر مرة أخرى إلى حديقة الحيوان المائية التي أتى منها وافترق عن مارغريت ، وهناك بدأت صحته بالتدهور بسرعة ، وفي خلال اسبوعين انتحر بقتل نفسه!

الطبيب البيطري الذي كان يشرف على حالته كتب في التقرير أن بيتر انتحر نتيجة أزمة نفسية لتحطم قلبه بعد مفارقته حبيبته مارغريت!

بيتر الدولفين يوجد منه آلاف النسخ البشرية التي وإن لم تنتحر بعد هجر أحبائها لها إلا أنها تتصرف وكأن حياتها انتهتْ فعلاً ، ففي الحقيقة إن الأكل والشرب والتنفس لا تعني أن الإنسان حي ، إن الحياة الحقيقية هي إيمان الإنسان بأن له هدف ورسالة في الحياة!

الحب شيء جميل فعلاً ، بل هو أجمل مشاعرنا وأنبلها ، ولكني أقول دومًا ، مهما أحببت اترك لنفسك شيئًا منك! لا تلقِ بكلكِ في الآخر ، لأنه متى غادرك لن يبقى لك شيء! أن تكون عاشقًا لا يعني أن لا يكون لك هدف أو أحلام أو طموح غير الشخص الذي أحببته ، إن الآخرين يجب أن يكونوا جزءاً من حياتنا لا حياتنا كلها!

الإفراط في التعلق يكون عادة نتيجة الفراغ الذي نعيشه حيث لا نجد شيئًا نتعلق به سوى الإنسان الذي أحببناه ، فنتعلق به كما يتعلق غريق بطوق نجاة متى فقده استسلم للبحر وقال خذني ، في الحقيقة يجب ونحن في بحر الحياة أن نؤمن بأيدينا وأنها التي توصلنا إلى الشاطئ أكثر مما نؤمن بالآخرين!

إن حجم تعلقك اليوم ، هو حجم جرحك غدًا ، فتعلق بالقدر الذي يمكنك العيش بدونه ، عش حياتك ، وحقق أحلامك ، قاتل لأجل أمنياتك ، أحبّ بصدق ، واعشق ، لا شيء يثبت أننا بشر سوى أننا قادرون على أن نُحِبَّ ونُحَبَّ ولكن حذارِ أن تكون حياتك كلها إنسانًا آخر!

قالت العرب :

أحبِبْ حبيبك هونًا فلعلك تفارقه

وابغض عدوك هونًا فلعلكَ تراجعه!

إن التطرف في المشاعر دليل على عدم النضج ، أعرف أن بعضكم قد يقول لي : يا لكَ من إنسان بارد! في الحقيقة لستُ إنسانًا باردًا ولكن الحقائق جارحة ، والناس أحيانًا يكرهون من يوقظهم من أوهامهم!

أحبوا بصدق ولكن بالقدر الذي لا تخسرون فيه أنفسكم!

الوطن

٢٠١٨/٨/٧

لا أحد يموت قبل أوانه!

كانت جدتي رحمها الله تقول : الذي له عُمْر لا تقتله شِدَّة!

وبعد وفاة جدتي بسنوات ، كتبت هيلاري كلينتون كتابها «خيارات صعبة» وذكرت فيه القصة التالية :

بعد أشهر على بدء الحرب العالمية الثانية حصل جندي على إجازة تسمح له بالعودة إلى منزله ، وما إن وصل إلى الحي الذي يسكن فيه حتى رأى شاحنة عسكرية تتكدس فيها جثث القتلى ، وكانت الشاحنة تستعد لنقل الجثث إلى مقبرة جماعية ، وقف الجندي يتأمل المشهد ، فلفت نظره حذاءٌ في قدم سيدة يشبه حذاءً سبق أن اشتراه لزوجته ، ذهب إلى البيت مسرعًا فوجده مهدمًا ، عاد إلى الشاحنة بسرعة فإذا بها زوجته فعلاً ، رفض أن تُدفن زوجته في مقبرة جماعية ، وقام بإنزالها من الشاحنة ليدفنها في قبر وحدها ، وأثناء إنزالها لاحظ أنها ما زالت تتنفس ببطء وصعوبة ، تم نقل السيدة إلى المستشفى ، ثم ما لبثت أن تعافتْ ، وبعد سنوات وضعت طفلاً تعرفونه جميعًا ، إنه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين!

سبحان من له حكمة وإن خفيت عنا! كان يجب أن تعيش هذه المرأة لتنجب هذا المولود الذي سيُحدث خرابًا هائلاً في هذا الكوكب ، نحن لا نعرف الحكمة منه ، وقد نموت دون أن نعرف ، ولكننا على يقين -أو أنا على الأقل- أن لا شيء في أقدار الله يحدثُ عبثًا وإن كان موجعًا!

والشيء بالشيء يُذكر ، قرأتُ منذ سنوات أن والد صلاح الدين الأيوبي سقطت إحدى الثغور التي كان موجودًا فيها ، فاصطحب عائلته تحت جنح الظلام هاربًا حيث دولته في قوة ومنعة ، كان

صلاح الدين رضيعًا يومذاك ، وكان يبكي بكاءً شديدًا تلك الليلة ، فطلب الأب من الأم أن تقوم بإسكات ابنها ، لأن الأعداء قد يهتدون إليهم من بكائه ، حاولت إسكاته ولكنها لم تفلح ، فقام الأب بوضعه في أسفل العربة التي تجرها الخيول ، ووضع فوقه أكواما من الملابس والأشياء والمتاع ، وقال للأم ، هكذا ننجو ، فإن كان له عمر فسينجو أيضًا! ولأن صلاح الدين كان له عمر لم تقتله شدة ، كان يجب على محرر المسجد الأقصى من براثن الصليبيين أن يعيش! هذه حكمة نعرفها اليوم ، وهي التي تخبرنا أن لكل أقدار الله حكمة وإن جهلناها!

القصتان فيها الكثير من الشبه ، وإن كان بين الرجلين مقدار ما بين المشرق والمغرب من المسافة!

كلاهما يصحُّ درسًا لأهم أركان عقيدتنا ، أن لكل أجل كتاب ، وأنه لا أحد يموت ناقصًا عمرًا كما تقول جدتي الأخرى أطال الله بعمرها!

إن أعمارنا يكتبها الملك بأمر الله قبل أن نولد ، وكذلك أرزاقنا ، ولعلها حكمة من الله مفادها أن لا نقلق كثيرًا بشأن أحدهما! فأكثر ما يشغل بالنا هما الرزق والأجل ، وهما مكتوبان ، لن ننال كسرة خبز أكثر أو أقل مما كُتب لنا ، ولن نعيش ثانية أطول أو أقصر مما كُتب لنا ، فاطمئنوا!

الوطن

٢٠١٨ /٨/٩

لا تنخدعوا!

على ذمة باولو كويلو، أنه في الوقت الذي اهتزت فيه مدينة نابولي الإيطالية لعروض المهرج كارلينا، جاء رجل إلى طبيب شهير يشكو إليه ضيقًا في الصدر، وبعد فحوصات مخبرية وتحاليل طبية، قال الطبيب لمريضه، اسمع يا سيد: أنت لا تعاني أي مرض عضوي، على الأرجح أن مشكلتك نفسية، حاول أن تخرج إلى الدنيا، وأن تفعل أشياء جديدة، في المدينة مهرج اسمه كارلينا يجعل المتفرجين في المسرح يقفزون من كراسيهم من شدة الضحك، أنصحك أن تذهب لتشاهده، أنا واثق أن نفسيتك ستتحسن!

نظر المريض في عيني طبيبه، وقال بأسى: أنا كارلينا أيها الطبيب!

هذه القصة كنتُ دومًا أرويها في كل مقابلة أجريها وأُسأل فيها عن الأدب الساخر، ثم أعقبُ قائلاً: الأدب الساخر ابن الوجع، وكل ابتسامة نرسمها على شفاه القراء عشناها وجعًا بسبب الأشياء التي نسخر منها، الكُتّاب الساخرون ليسوا مهرجين يا سادة!

غير أني مؤخرًا اكتشفتُ أن قصة كارلينا أوسع من أن يستشهد بها في الأدب الساخر فحسب، إن لها يدًا طويلة تكاد تمتد لتصل إلى شؤون الحياة كلها، وأن داخل كل منا كارلينا الذي لا يراه الناس!

إن الذي أغلب منشوراته عن الحب ليس بالضرورة روميو زمانه، والتي أغلب منشوراتها عن الحب ليست بالضرورة جولييت زمانها، إن الناس ينشرون ما يفقدونه لا ما يملكونه!

إن الذي أغلب منشوراته عن الدين والنبي ليس بالضرورة أنه أمضي الليل بطوله على سجادة الصلاة ، كل ما في الأمر أننا نحب الله حتى ولو عصيناه!

ما أدراكم أن الطعام الذي ترون صوره في صفحات الناس من فترة لأخرى أنه ليس واحة في صحراء الحرمان الشاسعة ، الذين يجدون الطعام الشهي على مدار الساعة لا يصورونه!

ما أدراكم أن الزوجة التي تنشر عن لحظة سعادة مع زوجها أن تلك اللحظة السعيدة هي لحظة يتيمة في حياة مليئة بالنكد ، لهذا احتاجت إلى توثيقها ، السعداء دومًا ينشغلون بسعادتهم ، ولا يوثقونها!

حتى الكتب التي تشاهدون صور صفحاتها مع فنجان قهوة لا تعني بالضرورة أن صاحبها يمضي حياته بين الكتب ، إن الناس يخبروننا كيف يتمنون أن تكون حياتهم ، لا كيف هي حياتهم فعلاً ، إن كان الكتاب لا يأخذك من الدنيا كلها فأنت لست قارئًا!

إذا أردتم أن تعرفوا ما الذي يفتقده الناس ، فانظروا إلى ما ينشرونه ، فالأشياء التي نملكها على مدار الساعة والمشاعر التي نعيشها على مدار الساعة ، هي شيء روتيني لا حاجة للإخبار عنه ، نحن نخبر عن الأحداث والمشاعر التي تشبه الفاصل الإعلاني أثناء عرض فيلم على التلفاز! فلا تنخدعوا ، إن الذي لا يرى من الناس إلا ما يريدون له أن يراه شخص أعمى!

الوطن

٢٠١٨/٨/١٢

«تنمنموا» يرحمكم الله!

في إحدى محاضراته عن أسرار السعادة الزوجية ، طلب الدكتور خالد المنيف من الرجال الحاضرين أن يخرجوا جوالاتهم ، ويكتب كل منهم رسالة نصية لزوجته ، على أن تكون الرسالة عبارة عن كلمة واحدة : أحبكِ!

بعد دقائق من إرسَال الأزواج الرسائل إلى زوجاتهم بدأت تنهال الردود ، وقد كان بعضها غاية في الغرابة .

إحداهن قالت لزوجها : سأحيا بكلمة أحبك ما تبقى من عمري!

إحداهن قالت : هل أنتَ في المستشفى وأصابك مكروه؟!

أما أطرف رد فكان : أبا محمد ، هل سُرق جوالك؟!

إلى هذا الحد ثمة جفاف عاطفي في البيوت! وإنها لكارثة أن تعتقد زوجة أن زوجها قد أصابه مكروه ما لأنه أرسل لها رسالة يقول لها : أحبكِ!

أتدرونَ ما هي الترجمة الحرفية لهذه الحادثة؟!

إنها : أنتَ عندما تكون طبيعياً لا تقول لي أحبك !

لقد انقلبت الأدوار حتى صار الطبيعي مستغرباً ، والغريب أمراً طبيعياً!

وإنها لكارثة أيضاً أن تعتقد زوجة أن جوال زوجها قد سُرق لأنه قد وصلها رسالة منه تقول : أحبكِ!

أتدرون ما الترجمة الحرفية لهذه الحادثة؟!

إنها : لم يحدث من قبل أن أرسلتَ إليّ تقول أحبكِ!
لقد صار الغريب مألوفاً والمألوف غريباً!

إننا نتحجر يا سادة!

طبعاً لستُ أقول أن الذي لا يُعبر عن مشاعره ليس لديه مشاعر ، ولكني أقول كيف سيعرف الآخرون ما نكنه لهم من مشاعر إن لم نخبرهم بها؟

قد يقول قائل : ولكن المعاملة تخبر عن مشاعرنا!

وهذا صحيح ولكنه لا يكفي ، إن اصطحاب زوجتك إلى المستشفى دليل اهتمام وحب ولكنه لا يتعارض مع فكرة أنها تحتاج أن تسمع منك كلمة أحبكِ !

يعتقدُ كثير من الأزواج أن البوح بمشاعرهم دليل ضعف ، ونقص في الرجولة ، وفي الحقيقة هذا أفسد ما يمكن أن يعتقده الرجال!

من قال أن المشاعر تقلل من قيمة أصحابها ، وأن الاعتراف بالحب دليل ضعف ، عندما نزل الوحي على النبي ﷺ ، وأصابه الخوف والبرد ، لم يذهب إلى دار الندوة حيث فيها أشراف قريش ، ولم يذهب إلى أي من أصدقائه الذين يحبونه وقد كانت مكة كلها تحبه ، ولم يذهب إلى أحد من عائلته رغم أنهم باستثناء أبي لهب دافعوا عنه فيما بعد من آمن به ومن لم يُؤمن! ولكنه ترك كل هؤلاء وذهب إلى خديجة وقال لها دثريني! هرع إليها من دون الناس فهل نقصتْ رجولته؟! سيد الرجال هو ، وأراد أن يعلمنا أن نعيش مشاعرنا!

ولستُ أفهم من الذي أقنع بعض الأزواج أنه ليكون رجلاً عليه أن يكون قاسياً ، وأن تهابه زوجته كما يهاب العبد سيده ، ماذا عن الحب والاحترام يا سي السيد ، هذا وحده الذي يجعلك تتملك المرأة وهي سعيدة وتشعر أنها تريد أن تعطيك أكثر!

قرأتُ مرةً عن نوع من الطيور اسمه طيور «النمنمة» ، هذه الطيور إذا أراد الذكر أن يتزوج الأنثى بنى لها عدة بيوت ، من فرط الدلال ، ثم طلب منها أن تختار واحداً!

تنمنموا يرحمكم الله!

الوطن

٢٠١٨/٨/١٤

المُتفزلِكُون!

المتفزلك كلمة عامية يستخدمها أهل بلاد الشام ، ويقصدون بها الشخص الذي يُعقِّدُ الأمور البسيطة ، ويُفلسفُ الأمور التي لا تحتاج إلى فلسفة! ولربما جلس ليحدثك عن كيفية إعداد «شوربة العدس» فيشعرك أنه يتحدث عن كيفية صنع القنبلة الذرية!

وكنتُ حتى وقتٍ قريب أعتقد أن مرض الفزلكة شأن عربي بحت ، ولكنني البارحةً قرأتُ دراسة ، تبين لي من خلالها أن الفزلكة وباء عالمي ، وأن المتفزلكين تعاني منهم كل المجتمعات البشرية في شتى أصقاع المعمورة!

تقولُ الدراسة : يميل كثير من الناس للحديث بلغة معقدة يصعب فهمها حتى من المختص في المجال الذي يخوض «المتفزلك» فيه! وتحلل الدراسة هذه الظاهرة بنقص يعاني منه هذا المتحدث ، وما اللجوء إلى الفزلكة إلا لتعويض هذا النقص فهو يشعر برغبة في التميز من خلال إشعار الآخرين بأنهم لا يمكنهم فهم ما يقوله! وتنصح الدراسة بعدم شعورك بالتقصير إن صادفتَ أحد المتفزلكين ولم تفهم مراده ، لأن الذي يعاني من النقص هو لا أنتَ!

ذكرتني هذه الدراسة بقول آينشتاين : إذا لم تستطع أن تُعبر ببساطة عن شيء ما فأنت لم تفهمه بما يكفي!

والمتفزلكون هؤلاء يوجد منهم في كل مكان ، نلتقي بهم في العمل ، والمسجد ، والمقهى ، والمواصلات العامة ، وينشطون بكثرة على قنوات التلفزة!

ينشطُ المتفزلكون في البرامج السياسية كما تعرفون! وبعض المحللين الرياضيين يجعل لعبة كرة القدم أصعب من نظرية النسبية ،

مع أن آينشتاين نفسه سأله سائق التاكسي أن يشرح له النسبية ببساطة ، فقال له آينشتاين إذا جلست مع امرأة جميلة على الشاطئ لمدة ساعة ، فكم يبدو لك طول هذه الساعة؟

فقال : تبدو كأنها دقيقة

فقال آينشتاين : إذا جلستَ على صفيح ساخن لدقيقة ، فكم يبدو لك طول هذه الدقيقة؟

فقال : تبدو كأنها ساعة

فقال آينشتاين : هذه هي النسبية!

أما أبطال العالم في الفزلكة فهم المحللون الاقتصاديون في نشرات الأخبار ، كنتُ أستمع إليهم ، وأركز وأحاول جاهدًا أن أفهم شيئًا ولو بسيطًا وفي أغلب الأوقات كنتُ أفشل ، يبدو حديثهم غريبًا ومفرداتهم صعبة كأنهم يحضرون الجن لا يشرحون سبب هبوط الأسهم! ولا أخفي سرًا أني بقيتُ حتى وقت قريب أعتقد أن الاقتصاد أصعب شيء على وجه الأرض ، ولكنني عندما قرأتُ كتاب «الاقتصاد عاريًا» لتشارلز ويلان ورأيتُ كيف يُبسط الأشياء ، ويشرح المفاهيم المجردة بأمثلة حياتية ، ويخبرك بالخطوات التي تجعلك تابعًا أو مؤثرًا في عجلة الاقتصاد البشري بالبساطة التي استطاع فيها آينشتاين أن يشرح النسبية لسائق التاكسي! عرفتُ أن المشكلة فيهم وليست فيّ!

المهم ، نحن بخير ، ولا نشكو من بطء في الفهم ، ولا من تدني قدراتنا الاستيعابية ، ولكن المتفزلكين يجعلون الأمور تبدو أصعب مما هي عليه!

أعاذنا الله من الفزلكة!

الوطن ٢٠١٨/٨/١٦

وظائف مرموقة فعلاً!

منذ سنة تقريبًا كتبتُ مقالاً أقول فيه أني أتمنى أن أصبح أمينًا عامًا للأمم المتحدة ، فهي وظيفة مرموقة ولا شيء أفخم من أن تكون الدبلوماسي الأول في العالم ، وتدر دخلاً رائعًا ، ولا يترتب عليها أي مجهود يُذكر ، يكفي أن تُعرب عن قلقك إزاء ما يجري في هذا العالم!

ولكني تنازلتُ عن هذا الحُلم مؤخرًا ، وقلتُ في نفسي : لماذا عليّ أن أقلق أساسًا؟! إن القلق متلفة للأعصاب ، مقصفة للعمر! ثم ما لي وللناس هذا يتهمني بالتقصير ، وذاك بالانحياز إلى جهة ما ، ولماذا عليّ أن أجلس لأستمع لخطاب سياسي مدته ساعة في الأمم المتحدة يلقيه سياسي يتلف لي أعصابي!

المهم أني أتطلع الآن إلى وظائف أكثر رفاهية وأقل عناءً وتحقق دخلاً ممتازًا ، وقد وضعتُ قائمة بعدد من هذه الوظائف ، وأعكف حاليًا على دراستها ريثما أحزمُ أمري!

أعجبتني وظيفة «دانيال فون» فهو يعمل ناقد مشويات ، في مجلة تكساس المحلية ، كل ما عليه فعله هو أن يقصد مطعمًا للمشاوي ، ويأكل على حساب الصحيفة ، ثم يعود إلى بيته ليكتب مقالاً نقديا عن الوجبة التي تناولها! إنها وظيفة ممتعة حقًا من وجهة نظري إذ أني أعتبر أن الأكل والكتابة من أجمل متع الدنيا!

وأعجبتني وظيفة «روزين ماديكان» فهي تعمل في شركة

سيمون هوزن للأسِرَّة الفاخرة ، وكل ما عليها هو أن تستلقي على السرير الفاخر الجديد الذي تصنعه الشركة لساعات ثم تخبرهم عن تجربتها في الاستلقاء! كان الله في عون روزيف إنها تستلقي لست ساعات متواصلة لقاء الحصول على راتب ضخم! صحيح أني أحب الأكل والكتابة وأطمح لوظيفة ناقد المشويات ، إلا أن الاستلقاء ليس بالأمر السيء ، ويمكنني أن أتنازل وأقبل هذه الوظيفة الشاقة!

أيضًا أعجبتني وظيفة «هاري ويلشر» فهو يعمل متذوق حلويات! كان الله في عونه عليه أن يتحمل عناء تذوق طعم الكيك الفاخر! صحيح أني لا أحب الحلويات ولا أطلبها عادة إلا أن بإمكاني أن أضغط على نفسي قليلاً وأقبل هذه الوظيفة!

وفي حال لم أوفق بالحصول على أي من الوظائف الثلاث سالفة الذكر ، يبقى أمامي خيار وحيد ، وهو الحصول على وظيفة «جينارو بيليشيا» فهو أعانه الله وصبّره يتذوق القهوة التي تعدها سلسلة المقاهي الشهيرة كوستا ويخبرهم عن مدى جودتها وطرق تحسينها! وقد قامت الشركة بالتأمين على لسانه بمبلغ عشرة ملايين يورو! فكما ترون هي وظيفة خطرة ، وكان الله في عون «جينارو» فقد يتعرض للسعة من كوب قهوة قد تؤدي إلى إتلاف لسانه!

عمومًا أنا مستعد للمخاطرة وقبول هذه الوظيفة في حال لم أستطع الحصول على وظيفة ناقد المشويات ، أو المستلقي ، أو متذوق الحلوى ، وأواسي نفسي قائلاً لها : لا بأس بمتذوق القهوة ما دام الراتب عاليًا ، والدنيا دار مشقة ، وأن على الإنسان أن يتنازل قليلاً في سبيل لقمة عيشه!

الوطن

٢٠١٨/٨/٢٦

عن مشاعرهم!

عن مشاعر خديجة والنبيُّ ﷺ يقولُ لها : إنَّ ربكِ يُقرؤكِ السَّلام!

عن مشاعر أُبيٍّ بن كعب والنبيُّ ﷺ يقولُ له : إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليكَ القرآن! فيسأله أُبيٌّ : أسماني اللهُ لكَ؟ فيقولُ له : أجل سمَّاكَ لي!

عن مشاعر سعد بن أبي وقاص يوم أُحُدٍ والنبيُّ ﷺ يقولُ له : ارمِ فداكَ أبي وأمي!

عن مشاعر عليٍّ بن أبي طالب والنبيُّ ﷺ يقولُ له : أنتَ مني بمنزلةِ هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي!

عن مشاعر بلال بن أبي رباح والنبيُّ ﷺ يقولُ له : سمعتُ دُفَّ نعليكَ في الجنَّة!

عن مشاعر أبي بكر والنبيُّ ﷺ في الغار يقولُ له : يا أبا بكر ، ما ظنّكَ باثنين الله ثالثهما!

عن مشاعر عبد الله بن مسعود ، والصحابة يضحكون من دقة ساقيه ، والنبيُّ ﷺ يقولُ : أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده أنهما في الميزان أثقل من جبل أُحد!

عن مشاعر عثمان بن عفان ، وقد تنادى الصحابة لبيعة الرضوان ، ومدوا أيديهم ، وهو في مكة ، والنبيُّ ﷺ يضع يده الأخرى ويقولُ : هذه يد عثمان!

عن مشاعر سلمان الفارسيِّ والنبيُّ ﷺ يقولُ : سلمان منا آل البيت!

عن مشاعر عمر بن الخطاب والنبيُّ ﷺ يقولُ له : والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطان سالكاً فجاً قط ، إلا سلكَ فجاً غير فجِّكَ!

عن مشاعر معاذ بن جبل والنبيُّ ﷺ يقولُ له : يا معاذ ، واللهِ إني لأُحبُّكَ!

عن مشاعر صُهيب الرُّومي والنبيُّ ﷺ يستقبله قادماً من مكة ، تاركاً لقريش ماله كلّه ، ويقولُ له : ربحَ البيعُ أبا يحيى!

عن مشاعر فاطمة والنبيُّ ﷺ يقولُ : إنَّ ابنتي بضعة مني ، يُريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها!

عن مشاعر أبي عبيدة بن الجراح والنبيُّ ﷺ يقولُ : إنَّ لكلِّ أمة أميناً ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة!

عن مشاعر سعد بن معاذ ، يحكمُ في يهود بني قريظة والنبيُّ ﷺ يقولُ له : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات!

عن مشاعر سُمية وياسر وعمَّار والنبيُّ ﷺ يقولُ لهم : صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة!

عن مشاعر حسّان بن ثابت يُسخِّرُ شعره في سبيل الدعوة ، والنبيُّ ﷺ يقولُ له : اجِبْ عني ، اُهجُهُمْ وروح القدس معك!

عن مشاعر عكاشة والنبيُّ ﷺ يقولُ : يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب! فيقول له : يا رسول الله ادعُ لي أن أكون منهم! فقال له : أنتَ منهم!

عن مشاعر أبي موسى الأشعريِّ يقرأُ القرآن والنبيُّ ﷺ يستمعُ له ويقولُ : يا أبا موسى ، لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود!

عن مشاعر الأنصار عندما حزنوا لأن النبيَّ ﷺ أعطى غنائم غزوة حُنين لمسلمة أهل مكة ، فقال لهم : يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله!

عن مشاعرنا نحن والنبيَّ ﷺ يقولُ عنَّا : إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني!

الوطن
٢٠١٨/٨/٢٨

أُريدُ أن أكون جوالاً!

لو لم تكُنْ إنساناً ماذا كنتَ تتمنى أن تكون؟

هذا هو موضوع التعبير الذي طلبتْ مُدرِّسة اللغة العربية من طلابها أن يكتبوه في حصة التعبير!

في البيت كانت المُدرسة تصحح مواضيع طلابها وعندما وصلت إلى موضوع تلميذتها سارة وجدتها قد كتبت ما يلي :

حوِّلني يا الله إلى جوال ، أريد أن يطالعني أبي باهتمام عندما يعود مساءً إلى البيت ، وأن تمسك أمي بي بكلتا يديها حتى وهي غاضبة من الدنيا كلها ، وأن تبحث عني أختي بجنون إذا نظرتْ حولها ولم تجدني ، وأن أكون آخر ما يتفقده أخي الكبير قبل أن ينام!

هل تلاحظون معي أن إدماننا للأجهزة الالكترونية ، ومواقع التواصل ، أوجد فينا بعض البرود العاطفي ، وقتل فينا مشاعر إنسانية لذيذة كنا نشعر بها قبل أن تحتل هذه الأجهزة وتلك المواقع هذه المساحة من حياتنا؟!

الجلسات العائلية لم تعد كما كانت قديماً ، تجلس العائلة معاً بأجسادها وكل واحد يمسك جواله ويعيش عالمه الافتراضي ، الأجساد متلاصقة والعقول والمشاعر غائبة! منذ مدة كانت جدتي في زيارة إلى بيتنا ، تذكرتُ كيف كنا قديماً وكيف نحن اليوم ، في الماضي كانت هي نافذتنا على العالم ، نرجوها أن تخبرنا قصة ، وأن تحدثنا عن موقف طريف ، كان سماع صوتها سعادة ، رؤية ابتسامات بعضنا البعض وهي ترتسم على وجوهنا لذة ، أما اليوم فشيء من هذه الإلفة قد مات!

عندما كنت صغيراً ، كانت أمي إذا أذَّنَ المغرب تخرج إلى

الحارة وتشدني من أذني لتعيدني إلى البيت ، كنتُ أريد أن ألعب أكثر ، كانت المباريات جميلة ، كنا نتشاجر ونتصالح ، نسعد بالفوز ونحزن للهزيمة ، وكان لنا أصدقاء نشعر بالفراغ إذا غابوا ، ما يحدث اليوم هو العكس ، منذ مدة أخذتُ الآيباد من يد ابني ، وقلتُ له اذهبْ إلى الحارة والعبْ مع الأولاد ، فذهب على مضض! ثمة طفولة لا يعيشها أولادنا كما يجب ، صحيح أن الدنيا تغيرت ، والتطور التكنولوجي والحضاري لا يمكن محاربته ولكن يمكن تنظيمه ، وهذا ما نفشل به اليوم!

انظروا إلى جلسات الأصدقاء ، نحن نخرج مع أصدقائنا بالاسم وإلا أنتم تعرفون أننا نذهب إلى المقاهي والمطاعم ونفتح جوالاتنا ، ونأخذ فاصلاً إعلانياً للتحدث مع بعضنا!

جزء من إنسانيتنا ومشاعرنا صار بارداً ، حتى الأم تُرضع ابنها وهي تمسك جوالها وقد كانت قديماً تمسح على رأسه! وأنا كواحد من الآباء أقول نحن نفتقد أولادنا ، إنهم لا يهرعون إلينا كما كنا نهرع إلى آبائنا ، ولا يرجوننا لنصطحبهم معنا كما كنا نرجو آباءنا ، إنهم لا يريدون أن يتركوا أجهزتهم! ولكن الحقيقة المُرَّة التي نغفل عنها هي أن أولادنا أيضاً يفتقدوننا! لقد أخذتنا مواقع التواصل منهم ، وإن تعلقهم بأجهزتهم قد يكون بسبب عدم إفساح المجال لهم ليتعلقوا بنا! وإحدى الأشياء المهمة التي لا نلتفتُ لها هي أننا نحاول تنظيم وقت أولادنا بخصوص استعمالهم لأجهزتهم وهذا شيء جميل ولا بد منه ، ولكن هل نظمنا أوقاتنا نحن ، إننا نعيشُ في الحياة الافتراضية أكثر مما نعيش في الحياة الواقعية ، ثم نتذمر من هذا الجفاء الذي نشعر به!

الوطن ٢٠١٨/٨/٣٠

قضاء من نوع آخر!

يعتقدُ كثيرون من قاطني هذا الكوكب أن إيداع المجرمين السجنَ هو أقصى ما يمكن للمجتمع أن يفعله! قلة فقط يعتقدون أن وظيفة السجن هي أن يقوم بإصلاح هؤلاء المجرمين وإعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين بعد أن تنتهي فترة محكوميتهم!

وهذا اعتقاد نبيل ينطلق من فكرة أن الانتقام وحده لا يكفي، وإن كان لا سبيل غير حبس المجرمين لأنهم خطر على المجتمع، فالمنطق يقتضي تحويلهم من خطر يمشي على قدمين إلى أُناس يفهمون أن غاية الإنسانية أن يكون المرء مصدر أمان للآخرين لا قنبلة قديمة من مخلفات الحرب تبقى تحمل في داخلها رائحة الموت!

اشتهر القاضي الأمريكي «مايكل سكونتي» بعقوبات غريبة تندرج تحت مبدأ العين بالعين! صحيح أن القضايا كانت مخالفات يمكن تصنيفها بسيطة أو متوسطة ولا ترقى إلى درجة الجرائم إلا أن فكرة تصحيح سلوك إنسان تبقى غاية نبيلة لا بُدَّ على السلك القضائي أن يلتفت إليها!

حكم سكونتي على طبيب قبضت عليه الشرطة بتهمة القيادة تحت تأثير الكحول بإلقاء محاضرات في المدارس عن أضرار الكحول عمومًا، وعن بشاعة القيادة تحت تأثير الكحول خصوصًا!

وحكم على مراهق ضرب رجلاً مسنًا بالخدمة لمدة شهرين في دار رعاية للمسنين!

وحكم على رجل سكران وضع قطته في الفرن بإطعام القطط في حديقة بنسلفانيا لشهرين كاملين!

وحكم على سبعة شباب بزرع سبعين شجرة بعد قطعهم أشجارًا من ملكية عامة وبيعها كحطب!

والشيء بالشيء يُذكر، منذ سبعة أشهر تقريبًا حكمتْ القاضية اللبنانية «جوسلين متى»، وهي مسيحية على ثلاثة مراهقين مسلمين مثلوا أمامها بتهمة الإساءة للسيدة مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام بحفظ الآيات التي تتحدث عن سيدتنا مريم في سورة آل عمران ليفهموا عظمة وقدسية هذه الشخصية بدلاً من السجن مدة تتراوح بين ستة أشهر وثلاث سنوات كما ينص القانون على من يزدري الشعائر الدينية ورموزها!

وقالت القاضية معقبة على حكمها هذا: القانون لا يجب اختصاره بالسجن، لأنه مدرسة!

لستُ ضد فكرة السجون، ولكني مع فكرة أن السجن ليس غاية بحد ذاته، وإنما وسيلة المجتمع لإصلاح المجرمين، وصحيح أنه ليس من المنطقي أن تكون عقوبة القتل والاغتصاب مجرد خدمات اجتماعية بسيطة، هؤلاء أشخاص خطرون يجب سجنهم وإصلاحهم، ولكن الجنح البسيطة التي يمكن حلها بطريقة راقية وفورية هي أجدى من زج إنسان في السجن لرفع صوته على شرطي، أو قطع شجرة من حديقة عامة!

الوطن

٢٠١٨/٩/٢

لباقة!

يقولُ أحدُ أصحاب المصانع في كاليفورنيا :
إنَّ أبرع من قابلتهم من الرجال لباقةً هو الرجلُ الذي فصلني من أول وظيفة لي! فقد استدعاني إلى مكتبه ، وبدل أن يقول لي لقد قررنا الاستغناء عنك ، أنتَ مطرود!
قال لي بأدب جم :
لا أعرفُ يا بُني كيف يمكننا أن نعمل من دونك؟ ولكننا سنحاول ذلك ابتداءً من الإثنين المقبل!

اللباقة في المُعجم من « لَبُقَ» أي لانتْ أخلاقُه وحَسُنَ كلامُه . ومفهومها اليوم قريبٌ جداً مما هو في المعجم . وإن كان لها مفهوم أوسع عند الناس يسميها بعضهم «الإتيكيت»! وهي كلمة فرنسية الأصل معناها قريب من الذوق لغةً ، أما اصطلاحاً ، فهي احترام النفس واحترام الآخرين ، أو الآداب العامة في التعامل مع الأشياء!
ومهما يكن من أمر ، فاللباقة أو «الإتيكيت» مفهوم أوسع من الأكل بالشوكة والسكين! إنها مسألة أخلاقية بالدرجة الأولى قبل أن تكون مجرد مظاهر فارغة تفوح منها رائحة التكلف والاستعلاء! وبعيداً عن تعقيدات الألفاظ والتعاريف والمصطلحات هو غاية في السهولة ، تريدُ أن تكون لبقاً كُنْ إنساناً! تخيّرْ ألفاظَكَ وحافِظْ على ردّات أفعالك!

كان عكرمة بن أبي جهل من أشرس أعداء الإسلام في الجاهلية ، وكان أحد العشرة الذين أهدر النبي ﷺ دماءهم يوم فتح

مكة ، وقال : اقتلوهم ولو رأيتموهم متعلقين بأستار الكعبة! ولكن صفيّة بنت عبد المطلب أجارتْ عكرمة فقبل سيدنا جوار عمته وعفا عنه! وعندما علمَ أن عكرمة سيدخلُ عليه مسلماً ، قال لمن حوله : سيدخل عليكم الآن عكرمة بن أبي جهل مسلما ، فلا تسبوا أباه!

وانظروا إلى هذه اللباقة ، أبو جهل فرعون هذه الأمة الذي أذاق المسلمين صنوف العذاب ، ينهى النبي ﷺ أن يُشتم مراعاةً لمشاعر ابنه! وعلّلَ أن السُّباب لا يصل إلى الميت ولكنه يؤذي الحي!

كان من عادة فاروق أمتنا أن يتفقد الناس ليلاً ، وفي إحدى جولاته التفقدية على رعيته رأى ناراً من بعيد ، فاتجه صوبها يريدُ أن يعرف خبر الناس الذين عندها ، ولما وصل إليهم ، حياهم قائلاً : السلام عليكم يا أهل الضوء! من فرط أدبه ولباقته كره أن يقول لهم يا أهل النار ، مع أنهم أهلها بمعنى أصحابها الذين أوقدوها ، ولكنه اختار أجمل صفات النار ، وهو انبعاث الضوء منها في الليل ، ونادى الناس بأجمل صفات نارهم!

ومما يُروى في هذا الباب أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة كانا طفلين صغيرين يوم شاهداً رجلاً كبيراً في السن لا يُحسن الوضوء ، فأرادا أن يعلماه كيف يتوضأ دون أن يجرحاه نظراً لفارق السن بينه وبينهما!

فقال له الحسن : يا عم ، اختصمتُ وأخي أينا يجيدُ الوضوء أكثر من الآخر ، ونريدك أن تحكم بيننا!

فقال الرجل : على الرحب

فقام الحسن فتوضأ ، ثم قام الحسين فتوضأ

فقال الرجل لهما : واللهِ إن كليكما يتوضأ أحسن مني!

ولا غرابة في لباقة الطَفلين وأدبهما وهما ابنا فاطمة وعليّ ، وتربيا في حجر جدهما عليه الصلاة والسلام .

الوطن

٢٠١٨/٩/٤

ثقة!

في العام ١٦٣٢م وقف «غاليليو غاليلي» أمام محكمة الفاتيكان في روما بتهمة الهرطقة! فقد تبنى نظرية «نيكولاس كوبرنيكوس» القائلة بأن الأرض ليست مركز الكون وأنها لا تعدو كونها كوكبًا يدور حول الشمس، ودافع عنها بشراسة! ولكن المحكمة بقضاتها ورهبانها وقساوستها كانت تجهل هذه الحقيقة العلمية التي يعرفها الأطفال في الصف الأول الابتدائي اليوم، وخيرتْ «غاليلي» بين أمرين:

إما أن يتراجع عن أقواله الكافرة هذه!

أو يُحرق حيًا!

فاختار أن يتراجع عن أقواله، ولكنه لحظة خرج من قاعة المحكمة، ضرب برجله الأرض وقال: ولكنها تدور!

وإن كان «غاليلي» قد اضطر إلى مجاراة المحكمة لينجو بجلده، وحافظ على إصراره أن الأرض تدور، فإن آخرين شاطروه ثقته هذه في مجالات أخرى ولم يجاروا أحدًا، وعلى الرغم أنهم لم يتلقوا تهديدًا بالحرق أحياءً، إلا أنه يحسب لهم استماتتهم في إثبات أفكارهم!

يقول الدكتور باري مارشال: كان الجميع يقفون ضدي ولكني كنتُ على يقين أنني الوحيد الذي يملك الحقيقة!

ففي العام ١٩٩٨م اكتشف باري مارشال أن جرثومة المعدة «H.Pylori» هي سبب القرحة، ولكن الجميع سخروا منه، فما كان منه إلا أن وضع أولاً علاجًا للقرحة دون تدخل جراحي، ثم قام

بابتلاع هذه الجرثومة ، وانتظر حتى سببت له قرحة في معدته ، فتناول الدواء الذي اخترعه وشفي تمامًا ، وهكذا استطاع إسكات الجميع ، وضرب واحدًا من أروع مواقف الثقة بالنفس على مر التاريخ!

والشيء بالشيء يُذكر ، كان الدكتور «دونالد أنجر» يعتقد أن فرقعة الأصابع لا تُسبب التهابًا في المفاصل كما يؤمن الأطباء ، واستمر لمدة ستين سنة يفرقع أصابع يده اليسرى ، وبعدها طلب من الأطباء أن يجروا فحوصًا لكلتا يديه ، ليتبين أنه كان على حق ، هذه الثقة جعلته يفوز عام ٢٠٠٩ بجائزة نوبل للطب!

أعتقد أن الفكرة قد وصلت ، وأن المزيد من الكلام لن يجعلها أكثر جلاءً ، ولكن على أيه حال يحدث كثيرًا أن يكون الرأي السائد خاطئًا ، ويحدث أن يتبنى المجتمع أفكارًا مغلوطة بينما يتبنى فرد فيه فكرة صحيحة!

صحيح أن على المرء أن يُراجع أفكاره إذا كانت ضد السائد ، ويتريث في إعلانها وعدم المجاهرة بها ، ولكن بالمقابل إن التريث لا يعني التنازل والتكيف ، وإنما يعني محاكمة هذه الفكرة حتى تصبح يقينًا وقتذاك تشبث بفكرتك ولا تنحنِ ، وتذكر أنه في أحد الأيام لم يكن على ظهر الأرض مؤمن إلا إبراهيم عليه السلام!

الوطن
٢٠١٨/٩/٦

العلامات الدراسية والحياة الواقعيّة!

يقول بيل غيتس :
رسبتُ في بعض المواد في الجامعة ، فيما نجح صديقي في تخطيها كلها ، صديقي الآن مهندس في شركة مايكروسوفت ، أما أنا فأملك الشركة!

في الحقيقة هذا قول قديم لبيل غيتس ، ولم أنبشه الآن لأخبركم أن الرجل قد غيَّر أقواله ، وأنه يتمنى لو كان تخطى كل مواده الجامعية ويصبح مهندساً في مايكروسوفت بدل أن يرسب في بعض المواد ويكون مالك الشركة! وإنما نبشته لأخبركم أنه يوم قال هذا القول طار الناس به وأخذوا يتناقلونه في سياق : «بللوا شهاداتكم الجامعية واشربوا ماءها» بيل غيتس شخصياً كان يرسب!

الأمر نفسه يتكرر اليوم ، فقد تم الكشف مؤخراً أن الراحل ستيف جوبز المدير التنفيذي السابق لشركة آبل حصل على معدل تراكمي «٢,٥» أثناء تعليمه السنوي! وأيضاً طار الناس بها ، وهم يتناقلونها في سياق : لتنفعكم المعدلات التراكمية العالية ، ستيف جوبز شخصياً كانت علاماته متوسطة!

شخصياً أرفض وزن الناس بعلاماتهم الدراسية ، وأعترف أن النجاح في الجامعات شيء والنجاح في الحياة شيء آخر ، ولكن بالمقابل أرفض فكرة الاستهتار بالتفوق والتميز والإتيان بأمثلة نادرة وضئيلة تحدث كل مئة سنة مرة واحدة لإثبات فكرة أن المتفوقين في

الجامعات فاشلون في الحياة! وإذا كان أصحاب هذا التوجه يحتجون ببيل غيتس وستيف جوبز فمن السهل أن نقول لهم حسناً كم عدد الذين رسبوا في الجامعات وأصبحوا يملكون شركات كمايكروسوفت ، وكم عدد الذين كانت معدلاتهم التراكمية متوسطة واستطاعوا تحقيق ما حققه ستيف جوبز؟!

القياس على حالات نادرة وجعلها قواعد عامة للحياة خفة عقل ، كالذي يرى صديقاً له قد طلق زوجته فصار أكثر سعادة ، فخرج بقاعدة إذا أردتَ أن تسعدَ طلقْ زوجتك! لا أنكر أن أشخاصاً يصبحون أسعد بعد الطلاق ولكن الملايين تصبح حياتهم جحيماً بعده فلماذا نعمم الواحد على الكل ، بدل أن نقول أن لكل قاعدة شواذ؟!

لا أريد أن نقدس العلامات الجامعية وبالمقابل لماذا علينا الاستهتار بها ، وهذا يحدث أغلب الأحيان لتبرير الفشل في تحصيلها!

والشيء بالشيء يُذكر فإن جيف بيزوس مؤسس شركة أمازون والذي صُنِّف مؤخراً كأغنى رجلٍ في العالم بثروة تقدر بمئة وأربعين مليار دولار متخرج من جامعة برنستون بامتياز مع مرتبة الشرف!

صحيح ما يقوله أصحاب فكرة التقليل من شأن العلامات والشهادات أن ١١٪ من أثرى أثرياء العالم لم يتخرجوا من الجامعة .

ولكنهم بالمقابل لا يقولون أن ٤٥٪ منهم تخرجوا من أفضل الجامعات في العالم!

لا الرسوب في الجامعات عامل في تحقيق النجاح والثروة ، ولا النجاح والتفوق عائق ، كل هذا عائد إلى شخصية الإنسان ، وفهمه للحياة ، ومغامرته ، واستثمار قدراته ، أما أن نزرع في أذهان هذا الجيل أن العلامات الدراسية والتفوق حبر على ورق فهذا استهتار وسطحية ليس إلا!

الوطن
٢٠١٨/٩/٩

إنها لا تستقيمُ لأحدٍ!

قال الإمامُ الذهبيُّ في سير أعلامِ النبلاء متحدثًا عن سيبويه :

كان مع فرط ذكائه وعبقريته حُبَسة في عباراته ، وانطلاقة في قلمه!

قول قصير مُقتضب من ترجمة الذهبي لسيبويه ، ولكنه على قصره واقتضابه يقولُ أكثر مما يبدو من أول وهلة!

سيبويه معجزة النحو العربي كان إذا كتبَ على الورق يجري الكلام بين يديه كأحصنة السباق ، ولكنه إذا أراد أن يتكلم شفاهًا لا يتأتى له أن يقول بلسانه ما يقولُ بقلمه!

درس عظيم مفاده :

براعتك في مجال لا يعني براعتك في كل المجالات ، وضعفك في مجال لا يعني ضعفك في كل المجالات!

ذكرَ الحافظُ ابن عبد البر أنّ عبد الله العمري العابد ، الذي اعتزل الناس للصيام والصلاة والقرآن ، كتب إلى الإمام مالك يحضه على اعتزال الناس والإقبال على العبادة ، والاشتغال بأمر نفسه عنهم!

فكتب إليه الإمام مالك يقول :

إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فُربّ رجلٍ فُتح له في الصلاة ولم يُفتح له في الجهاد! ورُبَّ رجلٍ فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصيام ، وإن نشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيتُ بما فتح الله لي فيه ، وما أظنّ ما أنا فيه أقل مما أنتَ فيه من الأجر ، وأرجو أن يكون كلانا على خير!

كان أمير الشعراء أحمد شوقي عبقريًا في قرض الشعر ، وإن كان لي من رأي في القضية ، فهو برأيي أشعر العرب في زماننا ، ولكنه على عبقريته ، ومبايعة الشعراء له بإمارة الشعر التي قلدوه إياها بقول حافظ إبراهيم :

أميــر القــوافي قـد أتيتُ مـبـايعًـا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

إلا أنه كان لا يُحسن إلقاء الشعر ، وكان يدفع بقصائده إلى من يجيد الإلقاء ليلقيها في المحافل نيابة عنه! تخيلوا أن أمير الشعراء لم يكن يحسن إلقاء الشعر!

حسان بن ثابت رضي الله عنه لم يشهر سيفًا لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، كان يخشى الحرب ويهابها ، وعندما عجز عن نصرة الدعوة بالسيف ، رأينا شراسته وهو يدافع عن الإسلام شعرًا ويقول :

فـــإنّ أبي ووالـده وعـــــرضي
لعــرضِ مــحــمــدٍ منكم وقــاءُ!

أبو الأسود الدؤلي أحد أبرع اللغويين العرب الأوائل ، ولاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة ، ويُقال – على أرجح الأقوال– أنه أول من نقّط المصحف بأمر من أمير المؤمنين ، وهو على هذا الفضل والريادة كان بخيلاً جدًا يكره أن يُطعم لقمة لأحد!

إنّ هذه الدنيا لا تستقيم لأحد ، كلنا نجيد فيها أشياء ، ونعجز عن أشياء أخرى ، فانظروا إلى نقاط قوتكم ، اعملوا على إنمائها

واستثمارها ، ولا يجعلكم فشلكم وضعفكم في مجال أن تعتقدوا أنكم فاشلين في كل المجالات ، وتذكروا أن أديسون الذي أضاء كوكب الأرض قد طُرد يومًا من المدرسة الابتدائية لضعفه المفرط في جميع العلامات كزملائه!

الوطن
٢٠١٨/٩/١١

الحرب لتبقى ناصعًا!

يقول «لي كانشو إل كادري» وهو من الثوار الأوروغويين :
في الأيام الأخيرة للديكتاتورية في الأورغواي ، كنا نتناول الخوف بدلاً من طعام الإفطار ، والخوف بدلاً من الغداء ، والخوف بدلاً من العشاء ، لكنهم لم ينجحوا في جعلنا مثلهم!

هذا ما يسمونه جهاد القلب ، الحرب الشرسة التي تخوضها مع شيطانك الذي يسول لك أن تردّ الصاع صاعين ، أو لربما غلّف تسويله لك بقالبٍ ديني أن عاقِبْ بمثل ما عوقبت به ، وما أغراك بالانتقام لعزة يريدها لك ، وإنما يضره أن يبقى قلبك بهذا البياض!
الحرب التي تخوضها مع نفسك وهي تأزك لتحارب الآخرين بنفس أسلحتهم ، بغض النظر عن خِسة الأسلحة ، وتخبرك أن البادئ أظلم ، وأن أوجعهم كما أوجعوكَ ، ولا بأس بطعنة في الظهر ، وطعناتهم في ظهرك لم تشف بعد!
الحرب التي تخوضها مع عقول الناس وألسنتهم ، بأنك لو كنتَ قويًا لأوجعتَ الآخرين كما أوجعوك ، وأن العفو أحيانًا ما هو إلا ضعف يرتدي زيّ الصفح!

دعك من ثلاثتهم : شيطانك ، ونفسك ، والناس!
وجاهد ليبقى قلبك ناصعًا ، الخسارة الوحيدة التي تجعل كل الهزائم تافهة هي خسارتك لنفسك! والنصر الوحيد الذي يجعل كل الهزائم تافهة هو أن تكسب نفسكَ! ما عدا ذلك كرّ وفرّ ، وحرب سِجال ، النصر والهزيمة فيهما وجهة نظر ليس إلا!

وقل لي بربك عندما نردُّ الصفعة بالصفعة ، والطعنة بالطعنة ، والغدر بالغدر ، متى ينتهي الصفع والطعن والغدر بين الناس!

قل لي بربك عندما تُنازل الخسيس بسلاحه الذي نازلك به بمَ تختلف عنه؟! لا شيء ، اللهم غير أنه كان البادئ والخِسة كردة فعل لا تختلف كثيرًا عن الخِسة كفعل ابتداء!

قل لي بربك ، عندما يملي عليك الناس أن تمارس انتقامك فتمارسه ، وعندما يغرونك بخوض حرب المنتصر فيها يخسر نفسه ولا يكسب الآخر ، ما الذي يبقى لك منكٍ؟!

إن هذه الحياة تضع قلبك كل يوم على المحك ، تغريه بعشرات الملوثات! وتثرثر في أذنك أحاديث الكرامة في غير موضعها! وتزين لك معارك سهلة المغنم! أية غنائم هذه التي تعوضك نقاء قلبك إن هو تلوث؟!

عندما فتح النبي ﷺ مكة ، كانت فرصته سانحة ليرد الصاع صاعين ، وليحاربهم بنفس أسلحتهم ، وواللهِ لو أمر بذبح أهل مكة كلهم ما خالفه من أصحابه أحد ، ولربما ما لامه من الناس أحد ، لقد كانت حربًا ، ودأب الفاتحين أن يستبيحوا المدن التي يفتحونها ، هذا ما يقوله تاريخ البشر الطويل في الحروب ، ولكنه كان يعرف أن نصره الحقيقي هو أن لا يكون مثلهم!

ما نسيَ سمية وحربة أبي جهل مغروسة في بطنها!

ولم ينسَ أنين بلال وأمية بن خلف يجلده وهو ممدد على رمال مكة الملتهبة!

ما نسي يوم أحدٍ كيف بقروا بطن عمه حمزة!

وما نسي كيف جمعوا من كل قبيلة رجلاً ليقتلوه ويتفرق دمه بين القبائل!

ولا كيف خرج تحت جنح الظلام مهاجرًا عن أحب بلاد الله إليه!

ولكنه ترفّع عنهم ، وجاهد لنقاء قلبه ونقاء قلب أمته ، وعندما قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء!

إنما كان يقول لهم نحن لسنا مثلكم ، وديننا خير من دينكم!

الوطن

٢٠١٨/٩/١٣

هذا ما قالته النِّساء!

عندما كنتُ غارقاً في تأليف كتابي «للرجال فقط» ، قلتُ في نفسي : لماذا عليَّ دوما أن أخبر الرجال عن النساء مما قرأتُ وسمعتُ وعشتُ وشاهدتُ وفهمتُ وحللتُ؟! لماذا لا أعطيهن فرصة أن يقلنَ ما يردنه؟! لماذا عليَّ أن أكون صوتهُنَّ ما دام بإمكانهنَّ أن يتكلمْنَ؟!

وبالفعل كنتُ في المعارض ، وحفلات توقيع الكتب ، والمحاضرات ، استغل الفرصة وأطلب - بمساعدة منظمي هذه الفعاليات مشكورين على مد يد العون- أن يكتبن رسائل قصيرة إلى رجالهن دون ذكر أسمائهن ولا أسماء رجالهنَّ ، وعندما صار عندي عدد كبير من الرسائل ، قمتُ بجعل رسائلهن في فصل من الكتاب ، مع التعقيب عليها ، وهذا بعض ما قالته النساء ، دون تعقيب!

- أحبُّ المفاجآت فلا تكن مُتوقعاً دوماً!
- أغفرُ لكَ كل شيء إلا الكذب!
- كُنْ مستمعاً جيداً!
- لا تنسَ عيد ميلادي!
- عانقني دون سبب!
- لن أبوح لكَ بماضيَّ العاطفي ، فلا تحاول!
- أنا أبكي أكثر مما تعتقد!
- ساعدني في أعمال المنزل!
- أكره فوضويتك ، هل بإمكانك أن تكون مرتباً!
- أحبُّ أن أراك تغار عليّ!

- كُن أنيقاً ، أحبُّ أن أتباهى بك!
- أنا مزاجية ، ولكني أحبك جداً!
- أحزن دون سبب ، فلا تعتقد دوماً أنك السبب!
- أقدِّر ما تفعله لأجلي حتى وإن لم أخبرك!
- لا تقارنّي بأمك ، أنت تخبرني أنك ما زلتَ طفلاً!
- أكذب عليك بشأن الأسعار في السوق!
- لا أقارنك بأحد ، فلا تقارني بأحد!
- لا أريدُ رجلاً آخر ، أريدكَ أنتَ رجلاً آخر!
- عندما تكون حنوناً أشعرُ بقوتك أكثر مما أشعر بها عندما تكون قاسياً!
- أفعلُ أشياء كثيرة لا أحبها من أجلك ، عاملني بالمثل!
- أثق بك ، ولكني أغار!
- لا أحد يسعدني كما تفعل ، ولا أحد يحزنني كما تفعل!
- أنا لك وحدك ، كن لي وحدي!
- عندما تضربني أنتَ لا تؤذيني ، أنتَ تكسرني!
- أنا زوجتك ولستُ خادمتك!
- أتأنق خوفاً من امرأة أخرى ، لا طلباً لرجل آخر!
- كُن مبادراً ، يُزعجني دوماً أن أبدأ!
- أنا قوية ولكني أحتاجك!

الوطن
٢٠١٨/٩/١٦

لا تقطعوا رأس السمكة!

يقول إداوردو غاليانو :

كان في وسط الثكنة العسكرية مقعد صغير يحرسه جندي ، لم يعرف أحد لماذا كان ينبغي أن يُحرس المقعد على مدار الساعة! من جيل ضباط إلى آخر كان الأمر يصدرُ والجنود ينفذونه ، واستمر الأمر على هذه الحال إلى أن أراد جنرال أن يعرف لماذا يجب أن يُحرس المقعد!

كان عليه أن يُقلّب الملفات القديمة ، وبعد بحث طويل عثر على الجواب ، منذ ثلاثين عامًا أمر ضابط أحد الجنود أن يقف قرب المقعد الذي كان قد دُهن لتوه ، كي لا يُفكر أحد بالجلوس على الدهان الطري!

هذه القصة على طرافتها تختصر كثيرًا من ممارسات الناس اليومية ، وموروثاتهم الثقافية ، وعاداتهم وتقاليدهم التي يقومون بها ، وينظرون إليها بعين التقديس والإجلال وهم لا يعرفون حقيقتها ولا السبب وراءها!

يروي ابن كثير في تفسيره لسورة نوح حكاية بداية عبادة الأصنام في الأرض ، فقد كانت أسماء الأصنام الواردة في السورة : «ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر» أسماء رجال صالحين في الأمم الغابرة ، وعندما ماتوا ، وسوس الشيطان لأهل ذلك الزمان أن ينحتوا تماثيل على صورهم كي لا ينسوا هؤلاء الصالحين ، وهكذا كان . . .

وكانوا إذا مروا بتماثيل هؤلاء الصالحين أحنوا رؤوسهم أمامهم كنوع من التحية والإجلال ، وهكذا جيلاً بعد جيل كان الناس ينسون أصحاب هذه التماثيل ، ولا لأي شيء نُحتت ولم يبقَ من الإجلال القديم إلا إحناء الرأس الذي تحول من تحية إلى عبادة! وما أكثر الأنبياء الذين حاججوا أقوامهم في عبادة الأصنام فكان ردهم : «هذا ما وجدنا عليه آباءنا»!

إنه التقليد الأعمى ، وإراحة العقل من التفكير بالسائد والمألوف الذي يكون له في الغالب سبب قديم لم تعد الحاجة تدعو إليه لزوال السبب القديم!

والشيء بالشيء يُذكر ، قرأتُ مرة قصة طريفة مفادها أن فتاةً في مقتبل العمر تزوجتْ ، وأرادت بعد زواجها بأيام أن تقلي السمك الذي أحضره لها زوجها ، فاتصلتْ بأمها وسألتها كيف تفعل هذا ، فقالت لها الأم : أولاً اقطعي رأس السمكة!

ولكن البنت قالت لأمها : وهل ستنضج بشكل أسرع إذا قطعتُ رأسها؟

فقالت الأم : لا أعرف ، ولكن هذا ما كانت تفعله جدتك ، سأسألها . واتصلت بأمها مستفسرة عن سبب قطع رأس السمكة ، فكانت إجابتها أنها لا تدري ، لقد ورثت مهارة قلي السمك عن أمها!

ولمحاسن الصدف فإن والدة الجدة كانت ما تزال حية ، وعندما سألتها ابنتها عن سبب قطع رأس السمكة قالت لها : لا علاقة لقطع رأس السمكة بسرعة نضوجها ولكني كنتُ أقطع رأسها لأن مقلاتي كانت صغيرة ولا تتسع للسمكة إذا لم أقطع رأسها!

وما أشبه اليوم بالأمس ، كثير من الروتين الإداري الذي نعاني منه في الدوائر الرسمية ، كثير من الأعراف والعادات والتقاليد التي تحكم حياتنا اليومية ، ليس لها علاقة باستواء السمكة ونضوجها ، كل ما في الأمر أنه في أحد الأيام كانت المقلاة صغيرة ، وعندما كبرت المقلاة لم يسأل أحد لماذا علينا أن نقطع رأس السمكة!

الوطن
٢٠١٨/٩/١٨

إهداءات!

شيئان لا أفوِّتهما عند قراءة كتاب : المقدمة والإهداء!
وحدث كثيراً أني اشتريتُ كتباً ، أو قرصنتُ منها نسخاً إلكترونية لأن الإهداء فيها أعجبني ، وحدث كثيراً أيضاً أن ألقيتُ كتاباً بعد قراءة مقدمته! المهم من هذا كله أني أعتبرُ أن الإهداء فرصة للكاتب كي يقول فيه ما لا يمكن قوله داخل الكتاب! صدقوني ثمة إهداءات تضيق بها الكتب ، وما زال أقربُ إهداءاتي إلى قلبي ، ذاك الذي كان في كتابي الأول : إلى مدرس اللغة العربية الذي قذف دفتر التعبير في وجهي وقال : ستموت قبل أن تكتب جملة مفيدة!

- من الإهداءات التي أعجبتني إهداء إبراهيم الجمل في كتابه «مملكة إبليس في التنظيم الإداري» ، حيث قال :

إلى إبليس الرجيم ، حرباً عليك ، وتحذيراً منك ، وكشفاً لخططك ، وإفساداً لعملك أهديك هذا الكتاب!

- أعجبني إهداء إليف شافاق في روايتها شرف حيث قالت :

عندما كنتُ في السابعة من عمري كنا نقطن في بيت أخضر ، وكان أحد جيراننا وهو خياط ماهر اعتاد ضرب زوجته ، وكنا نسمع في المساء الصياح والبكاء والسباب ، وفي الصباح كنا نواصل كالمعتاد ، وكان الحي بأكمله يتظاهر بأنه لم يسمعْ ولم يرَ شيئاً! هذه الرواية مهداة إلى أولئك الذين يسمعون ويرون!

- أعجبني إهداء أحمد رجب إلى زوجته ، حيث كتب :

إلى زوجتي : تقديراً وإعجاباً وانبهاراً بقوة احتمالها لي عند غنائي في الحمام!

- أعجبني إهداء عبده خال في روايته نباح ، حيث قال :
إلى كل أوغاد العالم ، لعنة كبيرة!
- أعجبني إهداء مارلين ماتسون المغني الأمريكي الذي حين كتب مذكراته ، وأهداها إلى والديه قال :
إلى والديَّ ، فليسامحكما الله لأنكما جئتما بي إلى هذه الدنيا!
- أعجبني إهداء جوزيف روتمان ، حيث أهدى الكتاب إلى زوجته وطفليه :
إلى زوجتي مارغانيت وطفليَّ إيلا روز ودانيال آدم والذين لولاهم لكان الكتاب قم تم تأليفه قبل سنتين من الآن!
- أعجبني إهداء رواية ثقة لآريل دورفمان :
هذا الكتاب مُهدى لماريا أنجليكا ، وحدها تعرف السبب!
- أعجبني إهداء صديقي علي الفيفي في كتابه لأنك الله :
إلى التي قالت لي ذات ليلةٍ وأنا في السابعة من عمري : هل صليتَ العشاء؟
فقلتُ لها كاذباً : نعم!
فنظرتْ إليَّ نظرة شك ، وقالت : قل ما شئتَ ، ولكنه قد رآك!
أفزعتني «قد رآك» هذه ، وجعلتني أنهض لأصلي ، رغم ادعائي الكاذب إلى أمي!

وكل إهداء وأنتم بخير

الوطن
٢٠١٨/٩/٢٠

حفظ النعمة!

روى أبو علي القالي في رائعته الأمالي قال :

تغدى أبو جعفر المنصور ومعه ابن أخيه إبراهيم ، فأخذ إبراهيم لقمة ثم وضعها على طرف المائدة .

فقال له المنصور : ما لكَ وضعتها يا بُنيّ؟

فقال إبراهيم : إنّ فيها شعرة!

فأخذ أبو جعفر اللقمة ، ونزع الشعرة منها وأكلها ، وقال له : لقد أفسدتك الكفاية!

عندما قرأتُ هذه القصة خطر لي على الفور أكوام الطعام التي تُلقى في حاويات القمامة ، في منظر يقشعرُّ له البدن ، وفي واحد من مشاهد كفران النعمة ، ولا شيء أسرع في زوال النعم من كفرانها ، وبالمقابل لا شيء أحفظ للنعمة من شكر الله عليها ، وفي القرآن ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ، على أن الشكر نوعان :

شكر لسان وشكر جوارح

وشكر اللسان على النعم يكون بلفظ الحمد لله ، والثناء على كرم الله أنه لم يجعلنا في قوافل المحرومين ، وأما شكر الجوارح فسعي متواصل وعمل دؤوب .

شكر المال يكون عن طريق الصدقات .

وشكر الجسد والصحة يكون عن طريق مساعدة الضعفاء .

وشكر العلم يكون عن طريق تعليم الجاهل وإرشاد الحائر .

وألا إنّ على كل نعمة زكاة من جنسها ، وهي - بعض فضل الله- تكفل دوامها واستمرارها!

المبالغة في كمية الطعام الذي يُطبخ في البيوت يوميًا ، أو في الولائم والمناسبات بحاجة إلى وقفة ، ومراجعة ، أتفهم تمامًا حاجة صاحب المنزل إذا دعا ضيوفًا إلى طعام كثير ومتنوع ، وهذا ما نفعله جميعًا ، ولكن ما لا يمكن تفهمه أن يُلقى الفائض من الطعام في الحاويات وما من مدينة ولا حي من مدننا وأحيائنا إلا وفيها من لا يجد اللقمة!

رأى النبي ﷺ تمرة ملقاةً على الأرض ، فالتقطها ، ومسحَ ما لحق بها من غبار ، وأراد أن يأكلها ثم تراجع لأنه خشي أن تكون من تمر الصدقة الذي يُحمل إلى بيت المال ، والنبي ﷺ كما تعلمون جميعًا يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة ، لهذا دفع التمرة لمن كان معه!

إن القضية أبعد من تمرة ملقاة على الأرض ، إنها قضية نعمة من نعم الله سبحانه لم توقر كما يجب ، وحين التقطها النبي ﷺ فليس لحاجته إليها وإنما أراد أن يعلمنا شكر النعمة!

ورأت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حبة رمان ملقاة على الأرض ، فقالت : «إن الله لا يُحبُّ الفساد»!

إلى هذا الحد كانوا يُحافظون على النعم!

قرأتُ منذ أيام عن أحد مطاعم «البوفيهات المفتوحة» كتب إعلانًا لزبائنه يقول : خُذ ما شئتَ من الطعام ولكن كُل ما أخذتَ ، نحن نرمي كل يوم ما يكفي لإطعام مئتي شخص!

من الواضح أن هذا الطعام الذي يُرمى قد اختلط ببعضه ، وصار من المستحيل فصله وتوزيعه ، وهذا ظاهر ضمنًا من حرص المطعم على حفظ النعمة!

اطبخوا ما يكفي ، وأكرموا ضيوفكم كيفما شئتم ، فهذا من شكر النعمة أيضاً ، ولكن ما يزيد عن الحاجة تعاهدوا به جارًا فقيرًا ، ففيه أجران ، أجر الصدقة وأجر حفظ النعمة ، أما رمي الطعام المتبقي فمؤذن بزوال النعم ، أدامها الله عليكم!

الوطن
٢٠١٨/٩/٢٣

«أميتُوا الباطِلَ بعدم ذِكره»!

كان بشار بن بُرد يقولُ : هجوتُ جريرًا فأعرضَ عني واستصغرني ، لو أجابني لكنتُ أشعر الناس!

هناك حوادث سيئة كثيرة تحصل في حياتنا اليومية ، ما كان لها أن تنتشر بسرعة كسريان النار في الهشيم لو أننا ترفعنا عنها وتجاهلناها! نحن عن حسن نية ودون قصد نساهم في نشر السوء الذي يريدُ الآخرون له أن ينتشر!

فعلى سبيل المثال ، عندما رسمت الصحف الدينماركية رسومًا كاريكاتورية مسيئة للنبي ﷺ لم تصلنا هذه الرسوم عن طريق تلك الصحف وإنما نحن الذين كنا نقوم بإرسالها إلى بعضنا ، في الإيميلات كنا نتشارك هذه الرسومات التافهة تحت عنوان : انظر كيف يسخر أعداء الله من نبينا! وفي مواقع التواصل كنا ننشر «بوستات» تحوي هذه الصور تحت عنوان اغضَبْ لنبيك! كنا دون أن ندري جيش نشر يعمل مجانًا عند هذه الصحف ، ولو أننا أمتنا هذا الباطل حين وصلنا ما كانت تلك الضجة يومها لتكون!

هذه الحقيقة وعاها الجيل الأول بينما غفلنا عنها نحن! كلكم تعرفون أن حسان بن ثابت كان شاعر النبي ﷺ ، وأنه هو الذي تشرف بالدفاع عنه خصوصًا وعن رسالة الإسلام عمومًا ، امتثالاً لقول النبي ﷺ له : أجب عني ، اهجهم وروح القدس معك!

طبعًا الرد بالمنطق ، والمحاجة بالمثل ، والانتصار للحق شيء ، ونشر الباطل فقط في سبيل نشره شيء آخر! صحيح أن حسان كان

يرد على الشعر المسيء الذي تُهاجم فيه دعوة الإسلام ونبيها ، ولكن ألمْ يسأل أحدكم نفسه يومًا : أين أبيات الهجاء تلك ، لماذا لا نجدها في كتب السيرة ، ولا في كتب الأدب التي دونت شعر صدر الإسلام؟!

لقد اندثرت تلك الأبيات لأن المسلمين الأوائل تعاملوا معها كأنها أكياس قمامة ، وأكياس القمامة تُلقى جانبًا ولا يُحتفى بها!

نحن نقرأ في كتب السيرة والأدب قصائد حسان ، ولا نجد بجوارها قصائد قريش ، كانوا أذكياء جدًا في التعامل مع الباطل ، لقد تجاهلوه تمامًا ، فلم يكتبوا جُملاً من نوع ؛ وقد قام عدو الله فلان بهجاء نبي الله بهذه الأبيات!

ولا انظروا إلى أي درجة بلغ فيهم الكفر ، لقد قالوا عن النبي ﷺ كذا! لقد أماتوا الباطل بعدم ذكره!

حين تصلك فضيحة أحد دعها تقف عندك ، إن الستر على الناس عبادة ، وقد قال أبو بكر : لو لم أجد غير ثوبي لأستر به العاصي لسترته به!

متى تنتهي الإساءات والفضائح ما دام كل واحد منا سينشر ما يصله منها على جناح السرعة!

لماذا علينا أن نشارك في كل معركة

وأن نأكل من كل جيفة

وأن نشرب من كل ماءٍ آسن؟!

إن الترفع عن توافه الأمور خُلق نبيل ، فطوبى للمترفعين!

الوطن

٢٠١٨/٩/٢٥

قضيَّة الباقين!

في العام ٢٠٠١م كان اللاعب النيجيري «أكيم أومولادي» يلعبُ لفريق «تريفيسو» في الدوري الإيطاليّ لكرة القدم . . . وكان في كل مباراة يُقابلُ بصافرات الاستهجان ، والأغاني العنصرية ، من جماهير الفرق المنافسة ، ومن جمهور فريقه أحياناً! وكان من الممكن أن يستمر هذا إلى الأبد ، لولا أن قرر زملاؤه في الفريق وضع حدٍّ لكل هذا . . . لم ينتظروا تدخل الفيفا ، ولا فزعة الاتحاد الإيطالي ، لقد نزلوا جميعاً إلى الملعب في مباراتهم ضد فريق «جنوى» ووجوههم مطلية باللون الأسود ، يحملون لافتة كُتب عليها : أكيم أومولادي ، كُلنا أنتَ!

والشيءُ بالشيءِ يُذكر . . . منذ أيام قامتْ مَدرسة في كازاخستان بطرد جميع الطالبات المُحجبات ، وفي اليوم التالي حضرتْ جميع طالبات المدرسة الغير محجبات وهُنَّ يرتدين الحجاب ، في رسالة رائعة إلى المدرسة ، وإلى زميلاتهنَّ المطرودات ، كُنَّ يقلنَ لهنَّ : كُلنا أنتُنَّ!

يقولُ غسان كنفاني : إن قضية الموت لم تكن يوماً قضية الميت ، وإنما قضية الباقين!

في الحقيقة ليست قضية الموت وحدها هي قضية الباقين ، كل قضية يقع فيها ظلم في العالم هي قضية الباقين! والباقون حين يدافعون عن الذين نالهم الظلم هم في الحقيقة يدافعون عن إنسانيتهم أولاً ، وعن أنفسهم ثانياً ، فالذي لا يُدافع عن الآخرين

حين يقع عليهم الظلم إنما يجعل نفسه الضحية التالية التي لن يدافع عنها أحد!

في كل قضية سجن وقعت ظلماً ، القضية ليست قضية الشخص الذي في السجن بقدر ما هي قضية الأشخاص الذين هم خارجه ، إن الحياة تدور وفق معادلة : أُكلتُ يوم أُكل الثور الأسود!

إن أسوأ موقف يتخذه الشخص الذي لديه سكن هو أن يقف متفرجاً على الذين يطالبون بحقهم في السكن!

وإن أسوأ موقف يتخذه الشخص الذي يجد علاجاً هو أن يقف متفرجاً على الذين يُطالبون بحقهم في الاستشفاء!

وإن الساكت عن العنصرية التي لا تطاله هو شريك فيها!

ثمة أشياء اسمها القيم والمبادىء ، هذه يجب أن تُحمى وتُصان ، لأنها هي الإنسان في حقيقته! صاحب القيم والمبادئ يكون ضد السجن ظلما بغض النظر عن هوية السجين وهوية السجان ، ويكون ضد العنصرية بغض النظر عن هوية الشخص الذي يمارسها أو الشخص الذي تقع عليه!

إن الأوطان تخرب لأن المظلوم حين يقع عليه الظلم لا يجد من يقول له : كُلنا أنتَ!

الوطن

٢٠١٨/٩/٢٧

وطريقك مسدود... مسدود !

قرأتُ البارحة خبراً طريفاً مفاده أن «لورنس ريبل» البالغ من العمر واحداً وسبعين عاماً ، وهو من ولاية كانساس الأمريكية ، قد سئم من زوجته النكدية ، وأراد الهروب من بيته إلى الأبد ، فدخلَ إلى أحد البنوك وهو يحملُ مسدساً ، أشهره في وجوه الموظفين ، وسرق مبلغاً من المال ، ثم سحبَ كرسيا وجلس ينتظر مجيء الشرطة وهو يلف رجلاً على رجل ويدخن سيجارته بهدوء!

حضرتْ الشرطة بالفعل وألقت القبض عليه ، وبعد أيام تم عرضه على المحكمة ، فحكم القاضي عليه _نظراً لتقدمه في السن وإصابته بمرض القلب _أن يقضي فترة عقوبته في البيت بدلاً من السجن!

في الحقيقة أني بعد تأمل عميق في كل ما حدث مع الرفيق «لورنس ريبل» خلصتُ إلى عدة دروس ، وارتأيتُ أن أعرضها على الأمة عسى الله أن ينفع بها وبي!

١ . هناك خطوات تخطوها في الحياة ستبقى تدفع ثمنها طوال عمرك! زوجتك/ زوجكِ ، مهنتك ، بيتك . . . هذا الأشياء قلما يستطيع أحد أن يُغيرها بعد أن يتورط بها! ففكر جيداً يا رعاك الله قبل الإقدام عليها!

٢ . لا تستسلم ، هناك دوماً حل! وأن تندم على شيء فعلته خير لكَ من أن تندم على شيء لم تفعله! بالمناسبة هذه النقطة لا تتعارض مع النقطة التي قبلها ، فالنقطة الأولى مجالها قبل أن يقع الفأس في الرأس! أما النقطة الثانية فهي «بعد خراب مالطا» وهو مثل كان جدي رحمه الله يعني به : بعد فوات الأوان!

٣ . لا تعتمد على الدولة لحل مشاكلك الشخصية! كل دول العالم متقدمة كانت أم متأخرة تعمل على فكرة أن يعمل الناس عندها ولا تعمل هي عند أحد! صدقوني هذه هي الحقيقة ولا تخدعنكم كمية الخدمات المتفاوتة بين مكان وآخر ، ثمة نظام واحد تختلف فيه التفاصيل فقط!

٤ . الهروب إلى الأمام ليست فكرة جيدة دوماً! وحدها الدول تهربُ إلى الأمام وتفتعلُ أزمة خارجية عندما تضيق بها الأمور في الداخل ، أما نحن المواطنون الأرضيون فافتعال أزمة خارجية لا يحل مشاكلنا الداخلية!

٥ . في الحياة كما في البحر ، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، كما يقول المتنبي ، بالمناسبة لقد توقفوا عن صناعة السفن التي تعتمد في سيرها على الريح ، فلا تعلق مصيرك بريح ربما لن تهب!

٦ . لستَ وحدك من تعاني ، هناك رفاق لك في كل أصقاع الأرض ، لا أعرف إن كان هذا الكلام يواسيك ، ولكنها الحقيقة!

٧ . بعد محاولة جادة قد تعود إلى المربع الأول ، ولكن لا بأس يكفيك شرف المحاولة!

٨ . لا حول ولا قوة إلا بالله!

الوطن
٢٠١٨/٩/٣٠

التعصب الأعمى!

روى ابن كثير في البداية والنهاية قال :
كان يُقال لمن في جيش مُسيلمة الكذاب : هل تُصدق مسيلمة؟
فيقول : واللهِ أننا لنعلم أن مسيلمة كذاب ، ولكن كاذب ربيعة أحب إلينا من صادق مُضَر!
في الحقيقة هذا أجملُ مثالٍ قرأتهُ عن التعصب الأعمى ، يسيرون في جيش كذاب يعلمون أنه كذاب لأنه من قبيلتهم ، ليحاربوا جيش نبي يعلمون أنه نبي لأنه ليس من قبيلتهم!

ومن الملاحظ من حياتنا اليومية ، أن التعصب الأعمى ما زال متفشياً بين الناس ، كلكم تعرفون ماذا يحدث عندما يقع طلاق بين زوجين ، عائلة الزوج كلها تدافع عنه ، وتخبرك أنه مظلوم وأنها تستحق! وعائلة الزوجة كلها تدافع عنها وتخبرك أنها مظلومة والحمد لله الذي أنجاها منه! طبعاً كلكم تعرفون أنه من النادر أن يقع طلاق بين زوجين يكون أحدهما هو المسؤول الوحيد عنه ، تقول الحياة والتجارب والوقائع والشواهد أن كليهما يتحملان المسؤولية وإن كانت بنسبٍ متفاوتة ، ولكن عندما يقع الفأس في الرأس ويحدث الطلاق لا أحدً على استعداد أن يذكر ما يتحمله قريبه من مسؤولية مهما كانت ضئيلة ، دوماً نجد أن الآخرين هم الجُناة ، وأقرباءنا هم المجني عليهم! اشتهيتُ أن أسمع أحداً يلقي باللوم على قريبه أو قريبته في حالات كهذه ، وأسأل الله أن لا يقبضني إليه قبل أن أرى عادلاً يقول : كان ابننا لا يستحقها! أو كانت ابنتنا لا تستحقه!

الأهل الذين يأتون فارعين دارعين إلى المدارس ليفزعوا لأولادهم ، يشعرونك أن ابنهم هو أحمد بن حنبل في حلقة الإمام الشافعي ، لا أنه الجني الصغير الذي شق الأرض وخرج منها كما تقول جدتي! إنهم لا يطيقونه في البيت ، ويعرفون أنه شقي مزعج ، ويلاقون منه أضعاف ما يلاقي الأساتذة والمعلمات منه ، ولكن بمجرد أن تحصل مشكلة يأتون إلى المدرسة ويشعروننا أن ابنهم هو يوسف عليه السلام وأننا إخوته الذين ألقيناه في الجُبِّ!

وسعوا الدائرة قليلاً ، تحصل الخلافات بين الدول كما تحصل بين الناس ، هذا هو حال الدنيا قبلنا ، ومعنا ، وستبقى هكذا بعدنا ، وما من دولة إلا لها وعليها ، في السياسة اليوم لم تعد الخلافات من نوع خلاف النبي ﷺ مع قريش ، حق محض في وجه باطل محض! السياسة اليوم أكثر غموضاً وتعقيداً ، تحكمها مصالح واعتبارات وحيثيات ورؤى لا علاقة لها بالحق والباطل ، ومن المؤسف أنه متى وقعت هذه الخلافات يعتقد كل شعب أنه في معسكر المسلمين ، والشعب الآخر في معسكر قريش ، تُنشر الأعراض في مواقع التواصل ، تُقطع الأرحام ، يُسيَّسُ الدين ، وتُشترى الفتاوى والذمم ، على مبدأ معاهم عليهم عليهم ، ومع الخيل يا شقرا! مع أن الأصل في الخلافات التي تقع بين المسلمين إن كان عندك كلمة حلوة قُلْها ، وإن لم تجد فلا تصب الزيت على النار ، النار بدون زيتك مشتعلة!

جاء هذا الدين ليبدد أفهام الجاهلية ، وتعصبها القبلي والعائلي الأعمى ، أبو لهب في النار ولو كان عمّ النبي ، وبلال في الجنة ولو كان في الجاهلية عبداً يُباع ويُشترى ، ومن أجمل ما قيل في نبذ التعصب قول نبينا عليه الصلاة والسلام كما في البخاري من حديث أنس :

«انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً!

فـقـال لـه رجل : يا رسـول الله أنصـره إن كـان مظلوما ، فكيف أنصره إن كان ظالماً؟

قال : تأخذ على يده ، وتمنعه من الظلم ، فذلك نصره!»

الوطن
٢٠١٨/١٠/٢

خرافات عالمية!

كان العربُ في الجاهلية يُؤمنون بعدد كبير من الخرافات _وهذا لا يعني أنهم لا يؤمنون ببعضها الآن _المهم أنه من معتقداتهم الغريبة إيمانهم بطائر يُقال له «الهامة» يخرج من جسد القتيل، ويبقى يصرخ عند قبره قائلاً: اسقوني، اسقوني! ولا يرتوي إلا بعد الأخذ بالثأر، وحده الدم شراب الهامة!

على أية حال ما من شيء يدعونا للخجل، كل الشعوب لديها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان، فعلى سبيل المثال إن جماعة «الأرض مسطحة» الذين ينتشرون في كل دول العالم يؤمنون أن القطب الشمالي مجرد وهم، وأن الأرض محاطة بجدار جليدي عالٍ جدا لم يعبره أحد قط، ويعتقدون أن ناسا توظف أشخاصا لمنع أحد من الاقتراب من الجدار الجليدي كي لا يقع خارج الأرض، ويفضح مؤامرتنا نحن الذي نعتقد بكرويتها!

إليك هذه الخرافات التي تؤمن بها بعض الشعوب:

١. في روسيا كما عند جدتي رحمها الله، فإن سقوط براز العصفور على الإنسان فأل حسن، ورزق في الطريق سيأتيك قريباً!

٢. في داغستان يعتقدون أنه إذا وقعت ذبابة في صحن الحساء، فهذه بشرى خير، وهدية ستصلك قريبا!

٣. في الدانمارك يعتقدون أنه كلما ارتفع عدد الأطباق والصحون المكسورة في بيتك، كلما زاد عدد أصدقائك!

٤ . في إسبانيا يتناولون اثنتي عشرة حبة عنب ليلة رأس السنة ، كل حبة كناية عن شهر ميلادي ، وهذا من شأنه أن يصنع سنة سعيدة!

٥ . يعتقد الصينيون أن الرقم «٤» هو رقم منحوس ، لأنه في لغتهم يتقارب نطقه مع كلمة الموت ، لهذا يتحاشونه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً!

٦ . في ماليزيا يعتقدون أن الجلوس على الوسادة يسبب البثور في الوجه!

٧ . أما في فرنسا فإنهم يعتقدون أنك إذا دستَ على براز كلب برجلك اليسرى فإن باب الحظ قد فُتح لك ، فأبشِرْ بما يسرك!

٨ . في مالطا تضع كل كنيسة عقارب الساعة بشكل خاطئ ومختلف عما تضعه الكنائس الأخرى أيضا ، يجب أن يكون لكل كنيسة توقيت خاطئ خاص بها لإرباك الشيطان!

طبعاً كل المعلومات الواردة أعلاه صحيحة ، ولكن تجدر الإشارة أنها معتقدات تراثية يؤمن بها بعض الناس وليس كلهم مثلما ما زال يؤمن بعضنا أن المرأة هي التي تحدد نوع المولود ، وأن التي خلفتها بنات ، يجب على زوجها أن يتزوج عليها!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٤

لهم لا عليهم!

روى المقري التلسماني في كتابه أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، قال:

كان الزمخشري مقطوع الرِّجل، فسُئِل عن ذلك

فقال: بدعاء أمي! ذلك أني كنتُ في صباي أمسكتُ عصفوراً وربطته بخيط في رجله، فجذبته، فانقطعتْ رجله!

فتألمتْ أمي لذلك وقالتْ: قطع الله رجلكَ كما قطعتَ رجله!

فلما كبرتُ، وكنتُ في سفرٍ إلى بُخارى لطلب العلم، سقطتُ عن الدابة، فانكسرتْ رجلي، ووجب قطعها!

لا شكَّ عندي أنَّ أم الزمخشري، كحال أمهاتنا اليوم، عندما دعتْ عليه إنما كانت تدعو بلسانها لا بقلبها، وأنها لو عاشتْ حتى رأتْ رجل ابنها تُقطع وخُيِّرتْ بين قطع رجلها هي أو قطع رجل ابنها، لاختارتْ أن تُقطع رجلها ويسلم ابنها! ولكن الدعاء سهم صائب، وقد يوافق ساعة استجابة، ولاتَ ساعة مندم! لهذا قال رسول الله ﷺ، كما في صحيح مسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا تُوافقوا من الله ساعة استجابة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»!

ومما يُروى في هذا الباب:

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يده مشلولة، فسأله عن سبب شللها

فقال الرجل: شُلَّتْ بدعوة أبي عليَّ في الجاهلية

فقال عمر: هذا دُعاء الآباء في الجاهلية، فكيف في الإسلام!

ثم كلكم تعرفون قصة جُريج العابد ، وكل شيء يمضي بقدر الله ، ولكن ما أصابه بدعوة أمه عليه يوم قالت : اللهم لا تُمته حتى تريه وجوه المومسات!

اتقوا الله في أولادكم ، وخصوصاً الأمهات ، لأنهن أسرع للعن والدعاء على الأولاد بالسوء في حالة الغضب!

إذا كسرتْ البنتُ صحناً ، قالت الأم : كسر الله قلبكِ ! ماذا لو وافقت ساعة استجابة ، أصحنٌ يعدل قلب ابنتك؟!

إذا أغضب الابن أمه ، قالت له : أشقاك الله! ماذا لو وافقت ساعة استجابة ، أشقاءُ عُمر يعدل غضب ساعة؟!

ولا داعي لسرد كل الدعوات ، فجميعنا نعرفها ، نسمعها في بيوتنا ، وتصلنا أحياناً في بث مباشر من بيوت الجيران ، المهم أن الفكرة قد وصلتْ !

علينا أن نعوِّد أنفسنا على الدعاء للأولاد لا عليهم ، وما أحلاها من كلمات لو قلناها : أصلحك الله ، ربي يهديك ، ربي يشرح صدرك ، وغيرها من الكلام الجميل الذي نعرفه ويفوتنا في ساعة الغضب أن نردده!

إن القدر موكل بالمنطق كما قال أبو بكر رضي الله عنه ، وتصديقاً لكلام الصِّديق ، وهو صادق بلا دليل مني! أخرج مسلم في صحيحه :

«عاد رسول الله ﷺ رجلاً من المسلمين قد مرضَ وخفتَ وصار مثل الفرخ!

فقال له : هل كنت تدعو بشيء

قال : نعم ، كنتُ أقول اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا!

فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ، لا تطيقه! أفلا قلتَ : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

فدعا ، فشُفي»!

أيها الأبناء : لا تُغضِبوا آباءكم وأمهاتكم

أيها الآباء والأمهات : لا ترموا أولادكم بسهام الدعاء ، فدعاء الأبوين قلما يُخطئ هدفه!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٧

الجمارك الدَّجاجية!

تمَّ الإعلان عن افتتاح متجرٍ كبيرٍ لبيع الدجاج ، فتوجه رجل إلى المتجر لشراء الدجاج الذي طلبتهً زوجته . . . وعندما دخل وسألَ عن طلبه ، سأله العامل الذي يجلس متأنقاً وراء حاسوبه : هل تريد الدجاج الطازج أم المُجلَّد؟

فقال : أريد الدجاج الطازج

قال العامل : الدجاج الطازج في الطابق الأول!

صعد صاحبنا إلى الطابق الأول ، وسأل عن طلبه ، فسأله العامل الثاني المتأنق والجالس خلف حاسوبه أيضاً : هل تريد الدجاج حبة واحدة أم مُقطَّعاً!

فقال : أريده مُقطَّعاً

قال له العامل : الدجاج المقطع في الطابق الثاني!

صعد إلى الطابق الثاني ، وصبره يكاد ينفد ، وقال للعامل الثالث الذي يجلسُ متأنقاً وراء حاسوبه : أريدُ دجاجا طازجاً مُقطَّعاً وليس حبة واحدة!

فقال له العامل بكل هدوء : في الحقيقة ليس لدينا دجاج لا طازج ولا مُجلَّد ، ولكن ما رأيكَ بتنظيم العمل ، وتوزيع الأدوار؟!

وقد كنتُ أحسبُ أن هذه الدعابة لا يمكن أن يقع مثلها في الحياة الواقعية ، حتى كان الأسبوع الماضي ، حين طلبتُ فيه من الرفاق في دار كلمات أن يُرسلوا لي ثلاثين كتاباً من كتابي الجديد «للرجال فقط» . . . وإن إمساك الكاتب لكتابه بعد خروجه من المطبعة يشبه إلى حد بعيد ضمَّ الأم مولودها الذي انتظرته تسعة

أشهر لأول مرة! احتفِظُ عادة بكتاب واحد ، وأقوم بإهداء البقية لأصدقائي ومعارفي .

المهم وبلا طول سيرة ، اتصلتْ بي شركة التوصيل وقالتْ لي أن الجمارك قد حجزتْ الطرد الذي أُرسل إليك!
سألتهم باستغراب عن السبب لأن هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا
فقالوا : بضاعة عليها تسوية جمركية!
قلتُ لهم : ولكن الكتب ليس عليها جمارك بحسب القانون ولو كانت للتجارة وبلغ وزنها ألف طن ، فما بالكم أنه كتابي أنا ، والكمية لا تصلح أساساً للتجارة!
قالوا : حسناً سنتابع الموضوع . . .

في اليوم التالي اتصلوا بي وأخبروني أن كلامي صحيح ، ليس على الكتب جمارك! ولكن بما أن الجمارك أوقفتها فلا بد من تسوية جمركية!
والتسوية الجمركية تعني أن تدفع مبلغا أوليا فاق ثمن الكتب نفسها! ثم بعد ذلك يحسبون قيمة الجمرك غير الموجودة أساساً!
فهنأتني شركة التوصيل أنه لا جمارك عليّ!
قلتُ : ولكني دفعتُ!
قالوا : لم تدفع ضريبة ، لقد دفعتَ تسوية جمركية!
قلت تسوية جمركية لبضاعة ليس عليها جمارك؟!
قالوا : نعم!

ثم إني انتظرتُ أن تصلني الكتب في اليوم التالي ، ولكنهم اتصلوا بي مجددا ، وأخبروني أن ثمة ورقة يجب أن يوقعها الأمن العام تفيدُ أني سويتُ الأمور وحصلتُ على براءة ذمة! وعلى سيرة براءة الذمة لا أعرف حتى اللحظة من الذي عليه أن يُبرئ ذمته ، أنا الذي دفعتُ مبلغاً بسب الإهمال وعدم فهم موظف ما للمجال الذي يعمل فيه ، أم الجمارك التي أخذت مني مبلغاً لا حق لهم فيه!

على أية حال ، في وطننا العربي الكبير توقعوا أن يحصل كلّ شيء! فكرة متجر الدجاج واقعية على ما يبدو ، فقد يحدثُ أن لا يكون هناك دجاج ولكن الأمور تسير بانتظام!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٩

لا تكْسِرْ مجاذيف غيرك!

عندما كان مهاتير محمد وزيراً للتعليم في ماليزيا ، حلَّ ضيفاً على مدارس «كوبانج باسو» في حفل آخر السنة . . . وكعادته فإنَّ مهاتير محمد يُفكر خارح الصندوق ، ويرفض أن يكون جزءاً من الإجماع!

أخبرَ المعلمين بأنه سيجري لهم مسابقةً وإن كان حفل التخرج للتلاميذ!

وزَّع على المعلمين بالونات ، وطلبَ من كل معلم أن يقوم بنفخ بالونه ثم يربطه بشريط صغير في رجله . . . وبالفعل قام المعلمون بتنفيذ طلب وزير التعليم!

عندها قال مهاتير للمعلمين شارحاً المسابقة :

المسابقة على الشكل التالي : سأعطي جائزة لكل شخص يحافظ على بالونه سليماً ، معكم دقيقة واحدة ، ابدأُوا!

عندها هجم المعلمون على بعضهم البعض كل واحد منهم يحاول أن يفقأ بالون زميله ليفوز!

وبعد مضي الدقيقة المحددة ، قال لهم مهاتير : لم أطلبْ من أحد أن يفقأ بالون زميله ، قلتُ احتفظوا ببالوناتكم ، ولو أن كل واحد منكم بقي واقفاً مكانه دون أن يأَخذ قراراً سلبياً تجاه زميله ، لبقيت كل البالونات سليمة ، ونال الجميع الجوائز!

هناك دروس تصلح لحصة درسيّةٍ واحدة ، وهناك دروس تصلح

لفصل دراسيّ ، وهناك دروس تصلح لسنة ، أما درس مهاتير محمد فكان يصلح أن يكون درساً للعمر كله!

إحدى مشاكلنا العويصة في هذه الحياة أننا ننظر إلى الآخرين على أنهم تهديد لنا ، وكأننا في منافسة محمومة عنوانها : أفوزُ وحدي أو فليخسر الجميع!

يقولُ الفرنجة : إن تكسيرك لمجاذيف غيرك لا يزيد من سرعة قاربك!

وصدقَ الفرنجة! إذا أردتَ أن تكسب السباق عليك أن تعمل على تحسين مهاراتك وقدراتك بدل أن تُفكر بإسقاط غيرك!

إسقاط سمعة الآخرين لا ترفع سمعتك!

وإطفاء شموع الآخرين لا يزيد وهج شمعتك!

رسوب الآخرين لا يعني أنك ناجح وفلتة زمانك ، أنتَ تقارن نفسك بهم ، فيكبر في عينك ضئيل نجاحك! أنت هنا تُفكر فقط في أن تكون أفضل من الآخرين ، بينما سرُّ اللعبة أن تقارن نفسك بنفسك! وتحاول أن تكون اليوم أفضل منك في البارحة ، وتكون في الغد أفضل منك اليوم!

وكما أن القاع يتسع للكثيرين ، فكذلك القمة! من قال أنه لا يمكن أن يقف على القمة إلا رجل واحد!

من مآسي العمل الجماعي في عقليتنا أننا نعمل وفق عقلية الضرائر! كل ضرة تحاول أن تثبت أنها الأفضل عن طريق الانتقاص من ضرتها! ربُّ العمل ليس زوجاً ، ونحن لسنا ضرائر! نحن شركاء ، علينا أن ندعم بعضنا البعض ، أن نمد أيدينا للمتعثرين ، ونرشد التائهين ، وننصح ، ونبادر ، ونساند ، ونبني جسوراً للوصل لا سدوداً للفصل!

وما أرقى الإمام الشافعيّ يوم قال ، كما في كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي :

ما ناظرتُ أحداً قط إلا وتمنيتُ أن يُوفق ويُسدد ويُعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، ولم أبالِ بيَّنَ الله الحقَّ على لسانه أو لساني!

الوطن

٢٠١٨/١٠/١١

بِرُّ الوطن!

يُحكى أن كبير الهررة قد هَرِم ، فنبذه قومه لكثرة كلامه بلا علم ، وأكله بلا عمل!

لجأ الهر إلى كلبٍ يتربصُ بالقطط العداء ، ويريدُ بها شراً .

حشدَ الكلب أقرانه ، وجعلوا الهر العجوز في المقدمة ليكون لهم دليلاً ، فنجحت الغارة ، وتمت مفاجأة الهررة في عقر دارها وهُزمتْ شرّ هزيمة!

عندها اهتزّ ذيل الهر العجوز منتشياً بالنصر ، وبدأ يشكرهم على إعادتهم له إلى وكره

فقال له كبير الكلاب : أيها المغفل ، إن وكراً طردتك منه الهررة لن تبقيك فيه الكلاب ، لو علم فيك قومك خيراً ما نبذوك ، ولو كنتَ وفياً ما كشفتَ قومك ، ولو كنتَ قوياً ما لجأت إلينا ، إلحقْ بقومك ، أما الكلاب فلا تنشئ جمعيات خيرية!

العبرة من هذه القصة أن الوطنَ قد يعقُّ أحد أبنائه ، ولكن بر الوطن واجب ولو كان ظالماً! على أنَّ الوطن ليس الحكومة! فكما نحن مأمورون ببر آبائنا وأمهاتنا سواء قاموا بواجبهم نحونا أو لم يقوموا ، فليس الأمر واحدة بواحدة ، وإخلال الأبوين بواجب التربية لا يُسقط عنهما حق برهما ، وكذلك الوطن! وكما لا شيء يُبرر عقوق الوالدين كذلك لا شيء يبرر خيانة الوطن ، ولم يحدث في التاريخ أن خائناً لوطنه لقي احتراماً ممن عمل لديهم خنجراً في خاصرة وطنه!

في معاركه ضد النمسا قام نابليون بتجنيد ضابط نمساوي ينقل إليه تحركات الجيش خطوة خطوة ، وبفضل خيانة هذا الضابط استطاع نابليون إنزال هزيمة ساحقة في الجيش النمساوي . وعندما جاء الضابط ليقبض ثمن خيانته ، لم يقم نابليون عن كرسيه وإنما تناول صرة من الذهب ورماها أمامه على الأرض ، فقال له الضابط : ولكني أريد أن أحظى بشرف مصافحة يد الامبراطور!

فقال له نابليون : الذهب لأمثالك ، أما يدي فلا تصافح رجلاً يخون بلاده!

ويعلمنا النبي ﷺ أعظم درس في التاريخ في بر الوطن! كذّبه قومه ، اتهموه بالسحر والجنون ، وحاصروه في شعب أبي طالب ، نكّلوا بأصحابه ، وتوّجوا كل هذا بالتآمر على قتله! ولكنه يوم هاجر وقف على مشارف مكة وقال لها والأسى يملأ قلبه : واللهِ إنكِ لأحب بلاد الله إليّ ، ولولا أن قومكِ أخرجوني ما خرجتُ!

ثم دار الزمان بينه وبين قومه ، في صراع عقيدة ، لا صراع تراب وحدود وغنائم ، ثم قضى الله أن النبي الذي خرج وصاحبه خلسة تحت جنح الظلام مهاجرَين إلى المدينة أن يدخلها في وضح النهار من أبوابها الأربعة بجيش جرار ، لم تستطع قريش أن تقاتله فسلمت له ، ثم لما ملكَ الرقاب ، قال لهم قولته الشهيرة : اذهبوا فأنتم الطلقاء! أراد أن يعلمنا شيئاً غير العفو عند المقدرة ، أراد أن يعلمنا أن الأوطان لا تُطعن مهما عقّتْ!

الوطن
٢٠١٨/١٠/١٤

أدب نهاية العلاقات!

كان الشاعر «اليَشْكُرِيُّ» من أصدقاء الحجاج بن يوسف الثقفي المقربين ، ثم حصل بينهما خلاف لا رجعة فيه ، وصار اليشكري مع ابن الأشعث الذي ثار على الخليفة والحجاج ، وكان من أشد الناس تحريضاً عليهما ، واستمر الحال كذلك ، حتى قُتل اليشكري وجيء برأسه مقطوعاً إلى الحجاج

فلما نظر إليه قال لمن حوله : كم من سرٍّ أودعته هذا الرأس ، فلم يخرج منه حتى أُتيتُ به مقطوعاً!

وعلى الوجع في القصة ، وعلى قذارة السياسة والفتن وصراع الكراسي والاستهانة بالدماء ، إلا أن ثمة وفاء لا يمكن القفز عنه ، فقد انتهت صداقة الرجلين وصار كلٌ منهما في خندق ، بقيت أسرار الحجاج في رأس اليشكري أسراراً ، وبقي الحجاج على خلاف السياسة مع اليشكري يعترف له بنبل أخلاقه!

في بداية العلاقة تظهر المشاعر وفي نهايتها تظهر الأخلاق!

قيل أن أحد النبلاء تزوج امرأةً فلم يتفقا ، فقيل له ما السبب؟

فقال : لا أتكلمٍ عن عرضي!

فلم يلبث قليلاً حتى طلقها ، فقيل له ما السبب؟

قال : لا أتكلم عن امرأةٍ خرجتْ من ذمتي!

والشيء بالشيءِ يُذكر ، وصلتني منذ أيام صورة رسالتين من زوجين قد تطلقا ، فوددتُ من فرط النبل والأخلاق التي فيها أن تُطبع على كتب الأحوال الشخصية والمدنية ، وأن يُوزع منها نسخاً لكل زوجين جاءا إلى المحكمة يريدان الطلاق!

كتب الزوج إلى زوجته السابقة يقول :

أسعد الله مساءكِ يا أم فلان! تم بحمد الله توثيق انفصالنا في المحكمة ، وسيتواصلون معكِ لأجل استلام ورقة الطلاق ، أتمنى لكِ التوفيق في حياتك ، واستري ما واجهتِ مني!

فردتْ عليه تقول :

لم يواجهني منك إلا الخير والرقي والتفهم والتفاني والتضحية! أعتذرُ لأني لا أستحقك!

كان أول شيء سألته لنفسي بعد أن قرأت هذا الكلام : اثنان بهذا النبلِ لماذا تطلقا؟!

طبعاً البيوت أسرار لا يعلمها إلا الله ثم أهلها ، وطلاق زوجين لا يعني بالضرورة أن أحدهما سيء ، يحدث أن لا يتفق الناس على نبلهم ، ولكن الشاهد في الموضوع ، لماذا علينا بعد كل طلاق أن نرى الردح في مواقع التواصل أمام الناس ، لماذا يجب أن تنفصل العائلات بانفصال زوجين ، لماذا على الأولاد أن يكونوا ضحية راشدين لم يتفقا؟!

يحدث أن تقع قطيعة بين صديقين ، وخلاف بين زميلين ، وهجران بين شريكين ، وخصام بين عائلتين ، وفراق حتى بين دولتين ، هذه الأشياء تقع دوماً ، هذه هي الحياة وهذه الأشياء جزء منها ، ولكن وقوع هذه الأشياء شيء ، والفجور في الخصومة شيء آخر!

بالنسبة لي أنا لا أحكم على أخلاق الناس وهم في وئام، لأني أعرف أن أخلاقنا الحقيقية تظهر عندما نتخاصم ونفترق، لا تحكم على أخلاقي إذا أحضرتُ هدية لزوجتي والأمور بيننا على ما يرام، احكم على أخلاقي إذا وقع بيننا خلاف، تصرفاتي وقتها هي أنا حقيقة! وهكذا أنا لا أحكم على برك لوالديك وهما ثريين صحيحين ترجو منهما مالاً وعطاءً، وإنما يظهر برك إذا كانا فقيرين مريضين هما في حاجتك وأنت في غنى عنهما، إن النبل أيها السادة هو نُبل الاختلاف لا نبل الاتفاق!

الوطن
٢٠١٨/١٠/١٦

قلّة أدب بأدب!

قرأتُ البارحة خبراً طريفاً يقول :

دخل لصٌّ إلى أحد المتاجر فجراً ، وقال للموظف الجالس عند صندوق المحاسبة بكل أدب : جئتُ هنا لتخويفك وسرقة هذا المتجر ، هل تسمح أن تتعاون معي لأقوم بذلك؟

رفض الموظف التعاون مع اللص . . .

فما كان من اللص إلا أن خرج من المتجر وذهب لأقرب مركز شرطة وسلّم نفسه!

بالمناسبة : هذه القصة حقيقية وقعت قبل أسبوعين في محافظة فوكوكا جنوب اليابان!

على الفور قلتُ في نفسي ماذا لو أن كل قلة أدب في هذا العالم تسير على هذا النحو المؤدب؟! كم كانت الحياة لتكون جميلة على ظهر هذا الكوكب ، ولتقريب هذه الفكرة تخيلوا معي

يذهبُ مريض فقير إلى إحدى المستشفيات يتلوى ألماً ، فيقولون له : هل تسمح لنا من بعد إذنك طبعاً أن نتركك تتمرغ على البلاط لأنك لا تملك ثمن العلاج ، وليس لديك تأمين يغطي نفقاته؟!

فيقول لهم : كلا ، لا أسمح لكم ، أنا إنسان ، ومن حقي الحصول على الاستشفاء والعلاج ولا علاقة لهذا بالمال الذي أملكه أو لا أملكه!

فيقولون : حسنا نحن آسفون ، سنعالجك ، وسنخبر وزارة الصحة عن قلة أدبنا معك أول الأمر!

تُقرر دولة عظمى أن تغزو دولة مغلوب على أمرها ، فترسل لها رسالة مؤدبة تقول فيها :

عزيزتي الدولة المرمطة الضعيفة هل تسمحين لي بغزوك لزيادة مرمطتك وضعفك نظرا لغناك بالمواد الأولية ، وتمتعك بموقع جغرافي استراتيجي رائع؟!

فتقول لها الدولة الضعيفة المرمطة : كلا لا اسمح لك بهذا ، عيب عليك أن تمارسي بلطجتك عليَّ ، واجبك أن تساعديني لأستفيد من خيراتي وموقعي الجغرافي المميز لا أن تسلبيني إياهما

فتقول الدولة العظمى لها : حسناً أنا آسفة ، كانت لحظة طيش ، وغفوة ضمير ، وأنا أختك الكبرى من الآن ، وسوف أبلغ مجلس الأمن عن فكرتي المجنونة السابقة ، كي يفرض عليَّ عقوبات حتى لا تسوّل لي نفسي مجدداً بالاعتداء على دولة مسكينة!

تنهضُ صباحاً وقبل أن تخرجَ من بيتك إلى عملك ، تقولُ لك زوجتك : صباح الخير حبيبي ، هل تسمح لي أن أنكد عليك قبل أن تخرج من البيت ، فأجعل يومك زفتاً وطيناً

فتقول لها : لا يا حبيبتي ، عندي اجتماع مهم اليوم واحتاج كامل تركيزي ، أعتذر منك اليوم ، ربما في الغد!

فتقول لك : آسفة يا عمري ، لقد اقتنعتُ أن اليوم يمكن أن يمر دون تنكيد ، لن أكرر طلبي هذا ، وقد أذهب إلى أمك وأطلب منها أن تسامحني على محاولة التنكيد على فلذة كبدها!

وعليه قيسوا كل ما تبقى من مجالات الحياة!

ستخلصون حتماً إلى ما خلصتُ أنا إليه :

ما أجمل أن تكون قلة الأدب بأدب!

الوطن ٢٠١٨/١٠/١٨

لهذا لمْ ينقرِضُوا!

قرأتُ البارحة قصةً أثارتْ إعجابي جداً ، تقول القصة :

قام أحد علماء الأنثروبولوجيا بإجراء مسابقة بين أطفال إحدى القبائل البدائيّة التي لم تصلها «الحضارة» بعد! وضعَ سلةً من الفاكهة اللذيذة وحبات الشوكولا الفاخرة عند جذع شجرة ، ثم قال لهم : الآن اركضوا ومن يصل أولاً إلى السلة سيحصلُ عليها وحده!

وكم كانتْ دهشته عظيمة عندما رأى الأطفال قد أمسكوا أيدي بعضهم البعض ، ومشوا بهدوء صفاً واحداً ، حتى وصلوا إلى السلة معاً ، وقاموا باقتسام محتوياتها!

وعندما سألهم عن السبب الذي دفعهم لفعل هذا بينما كان بإمكان واحد منهم أن يفوز بكل شيء ، قالوا له بصوت واحد «ubuntu / أوبونتو»! وأوبونتو تعني بلغتهم «لا للأنانية»!

وعندما حاول أن يفهم ما الذي عنوه بالضبط ، قالوا له : كيف يستطيع أحدنا أن يكون سعيداً بينما الآخرون تعساء ، أنا أكون لأننا نكون!

تعمدتُ أن أضع لفظة «الحضارة» بين قوسين في أول هذه المقالة ، لأنها اُستخدمتْ استخداماً خاطئاً ، فالأصل أن تكون المدنيَّة لا الحضارة!

المدنيَّة تشمل المخترعات المادية ، من وسائل اتصالات ، وطرق مواصلات ، وأدوية ، وناطحات سحاب ، الخ . . .

أما الحضارة فتشمل القيم والمعتقدات!

لهذا فإنَّ كثيراً من المجتمعات البشرية اليوم متمدنة بشكلٍ رهيب ، ولكنها متحضرة بشكل مُخزٍ!

أية حضارة هذه التي تقوم فيها الدول العظمى بتأجيج الصراعات ، وإشعال الحروب وإطالة أمدها بمنع الهُدنات والصلح الذي يجعلها تضع أوزارها ، من أجل الاستمرار ببيع السلاح للأطراف المتحاربة!

أية حضارة حين تأكل بالشوكة والسكين في قصر الإليزيه ثم تسرق خيرات بلدان إفريقية ما زلتَ تديرها على أنها مستعمرات!

أية حضارة حين يبكي الداخلون إلى دار الأوبرا في أمريكا لمنظر قطة تُداس في الشارع ولا يذرفون دمعة على آلاف الأبرياء الذين يسحلهم المارينز على امتداد هذا الكوكب!

أية حضارة حين تحتل «إسرائيل» المركز السادس عالميا في النزاهة ، وهي كدراكولا تعيشُ على شرب دماء أطفال فلسطين!

هذا العالم متمدن ، نعم! لا أحد يستطيع أن يُنكر هذا ، أما كونه متحضراً فهذه مسألة فيها نظر! إن امتلاك أحدنا آخر جهاز آيفون لا يجعل منه إنساناً محترما! ما يجعله محترماً ما في قلبه وعقله لا ما في يديه! وعليه وسِّعْ الدائرة ، وقِسْ حال الدُول!

إن أطفال القبيلة البدائية في القصة ، أعظم حضارة وإنسانية من ثلاثة أرباع هذا العالم المتمدن!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٢١

دعاوى قضائية!

يقول «فريد آلن» : لقد تعلمتُ القانون لدرجة أنني يوم تخرجتُ من الجامعة رفعتُ عليها قضية في المحكمة ، وربحتُها ، وقمتُ باسترداد كل مصاريف الدراسة التي كنتُ قد دفعتُها!

أعتقدُ أن الجامعة عليها أن تكون سعيدة بطالب كهذا ، فهذا يدل على أنها أجادت تعليمه كل مداخل القانون ومخارجه ، وصحيح أن القضية فيها حركة نذالة ولكن بغض النظر عن الباعث وراءها إلا أن هذا لا يُلغي أن الجامعة قد خرّجتْ طالباً فاهماً وضليعاً في تخصصه! والشيء بالشيء يُذكر ، هناك طرفة تُروى عن إحدى الجامعات العربية ، أن الأساتذة الجامعيين فيها قد أخذوا أماكنهم في الطائرة ، استعداداً للإقلاع ، فإذا بصوت قبطان الطائرة يقول : الأساتذة الكرام ، هذه الطائرة من صنع طلابكم!

من شدة الفزع قام الأساتذة هاربين يبحثون عن أول مخرج ، ولكن مدير الجامعة قال لهم : اجلسوا ، اجلسوا ، سأقطع يدي إن طارت بنا متراً واحداً!

وإن كانت دعوى «فريد آلن» القضائية يمكن إدراجها تحت قول شاعرنا :

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتدَّ ساعده رماني

فإن القضية الثانية التي أنا بصدد الحديث عنها لا أعرف تحت أي باب يمكن إدراجها!

الكاتب الأمريكي «Kurt Vonnegut» كان مدخناً شرهاً، يستهلك من السجائر كمية تكفي الشلة من الأصحاب، ثم أنه رفع دعوى قضائية ضد شركة التدخين لأن السجائر لم تقتله كما هو مكتوب على العلبة!

يبدو أن الفضاوة وقلة الأشغال والعياذ بالله توحي إلى الإنسان بأفكار ما أنزل الله بها من سلطان!

ومما يدخل في باب الفضاوة أعاذنا الله وإياكم منها، قام «ترينس ديكسون» وهو لص منازل محترف، بعد أن انتهى من سرقة أحد المنازل، بإغلاق الباب ونزل إلى كاراج المنزل ليهرب من هناك، ولكنه تفاجأ بأن عطلاً مفاجئاً أصاب الباب الكهربائي للكراج، فلم يستطع العودة إلى المنزل، ولا المغادرة من باب الكراج فبقي حبيساً لأسبوع يشرب البيبسي ويأكل طعام قطة أهل البيت، وعندما عاد أصحاب البيت فرَّ هارباً، ولكنه بدل أن يستر على نفسه، قام برفع دعوى ضد شركة الأبواب الكهربائية وطالب بتعويض عن الضرر النفسي والمادي الذي أصابه، إلى هنا يبقى الجنون معقولاً، ولكن أن تحكم المحكمة لصالحه وتأمر الشركة بدفع تعويض له، فهذا ما يسمى الجنون فنون! والسلام!

الوطن

٢٠١/١٠/٢٣

الدَّراهم مراهم!

يقولُ وينستون تشرشل في مذكراته :
ركبتُ سيارة الأجرة يوماً متجهاً إلى مكتب الـ«بي بي سي» لإجراء مقابلة ، وعندما وصلتُ ، طلبتُ من السائق أن ينتظرني أربعين دقيقة حتى أعود ، ولكنه اعتذر مني وقال : اعذرني يا سيدي ، لا أستطيع ، عليَّ الذهاب إلى البيت كي أستمع لوينستون تشرشل في الراديو!

فرحتُ جداً لشوق هذا الرجل للاستماع إليَّ في الراديو ، فأخرجتُ مبلغ عشرة جنيهات وأعطيتها له .

فقال لي بفرح غامر : ليذهب تشرشل والبي بي سي إلى الجحيم ، سأنتظرك هنا إلى أن تعود يا سيدي!

هذا عن مذكرات الفرنجة ، أما عن مذكراتنا فيحكي الناس فيما يحكون أن رجلاً كان عنده كلب عزيز على قلبه ، وبعد عمر طويل مات الكلب ، فقام صاحبه بدفنه في مقبرة المسلمين ، فشكاه الناس إلى القاضي ، الذي أمر بإحضاره إليه على جناح السرعة ، ولما صار بين يديه ، قال له : أمجنون أنتَ أيها الرجل حتى تدفنَ كلبكَ في مقابر المسلمين؟

قال الرجل : كانت هذه وصية الكلب يا سيدي القاضي!

فقال القاضي : ويحك ، تجمع بين ذنبين عظيمين ، دفن كلب نجس في مقابر المسلمين ، وتستهزئ بالقاضي ، أيوجد كلب يترك وصية يا أبله!

قال الرجل : أجل يا سيدي ، إن كلبي هذا فقيه متعلم ، وحتى أنه قد أوصى بألف دينار لمعاليكم لما سمعه من حسن قضائكم .

عندها قال القاضي : رحم الله الكلب الفقيه!

وعندما تعجب الناس من حكم القاضي ، قال لهم : لا تتعجبوا ، لقد تأملتُ في سيرة الكلب ونسله فوجدته من نسل كلب أصحاب الكهف!

أعتقدُ أن كل ما أريدُ قوله قد قلته من خلال هاتين القصتين ، ولكن لا بأس بمزيد من الكلام ، فالكلام ليس عليه جمارك كما تقول الجدات ، على أية حال لا تصدقوهن ، «وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»! فاللهم إني أعوذ بك من كلام مأجور يكبني في النار!

في الحقيقة إن المتأمل في الناس ، عوامهم على وجه التحديد ليجد آلاف النسخ الكربونية عن سائق سيارة الأجرة التي أقلت تشرشل إلى مبنى الإذاعة ، يبقى للناس مبادئ ، وخطب رنانة ، وأقدام ثابتة حتى يظهر المال ، فإذا ظهر المالُ مالوا!

وقد صدق ابن فارس يوم قال ما سُميَ المال مالاً إلا لأنه يميل بقلوب الناس!

على أن ميل العوام يسير شأنه ، مقدور على عواقبه ، المصيبة الكبرى حين تُشترى النُخب ، من أدباء وفقهاء وإعلاميين ونواب فيتحولون من أشخاص من المفترض أنهم يسهرون على المجتمع ، ويصححون عيبه ، إلى حفنة طبالين يسبحون بحمد سيدنا الوالي!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٢٥

اللين!

بينما الرشيد يطوف بالبيت الحرام ، إذ استوقفه رجل وقال له : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أكلمك بكلامٍ فيه غلظة ، فاحتمله مني!

فقال له الرشيد : لا ، فقد بعثَ الله من هو خير منك ، إلى من هو شر مني ، فأمره أن يقول له قولاً ليناً!

واستطراداً –على مذهب الجاحظ شيخ النثر العربي– علّق ابن الجوزي رحمه الله على قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ .

قال : قولاً ليناً! يا رب هذه رحمتك بمن قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾! فكيف هي رحمتك بمن قال : ﴿سبحان ربي الأعلى﴾!

المهم أني لأقسمُ غير حانث أنه ما من أحدٍ منكم ، إلا وفعلَ على الأقل فعلاً لم يكن له رغبة فيه إلا لأن الذيً طلب منه طلبه بأدب جم ، وقلب لين ، وأسلوب عذب! وما من أحدٍ منكم إلا ولم يفعل على الأقل فعلاً كانت له رغبة فيه إلا لأن الذّي طلب منه طلب بقلة أدب ، وقلب قاسٍ ، وأسلوب خشن! فلطالما عدَّ اللغويون الأسلوب جزءاً لا يتجزأ من المعنى! وإنه قبل اللغة واللغويين هي سُنة الله في الناس ، لا أحد يطيق الإنسان الفظ الغليظ ولو كان على حق ، مع أننا نعذر المخطئ متى وجدنا منه عذب التبرير وندم المخطئ ، ولا حقَّ أكثر جلاءً من هذا الدين ، ولا رجل جاء إلى هذا

الكوكب يوماً بدعوة أصوب مما جاء به رسول الله صلى عليه وسلم ، ومع هذا قال له ربنا جل في علاه : ﴿ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾! ومن جميل ما قيل في التعقيب على هذه الآية : حتى لو كان خطابك مقنعاً ، وحجتك ظاهرة ، والحق معك ، الأخلاق أولاً!

يكره الناس النقد ويُحبون النصح ، ولكنهم على كرههم للنقد يتقبلونه إذا أُهدي على طبقٍ من اللطف! وعلى حبهم للنصح إلا أنهم لا يتقبلونه إذا جاء إملاءً خشناً ، وإرشاداً فيه فوقية ، ومساعدة فيها وصاية! ومن جميل ما قال فيلسوف الهند ، رابندرانات طاغور : لين الكلام قيد القلوب! وخير منه قول نبينا عليه الصلاة والسلام : «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نُزع من شيءٍ إلا شانه»!

وانظر لأدب القرآن ، ورفق الله سبحانه بالناس ، وحلو كلامه حين يقول : ﴿قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾!

المُخاطِبُ هو الله ، الغني عن الناس طائعهم وعاصيهم ، ولو أطاعوه جميعاً ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو عصوه جميعاً ما أنقص ذلك من ملكه شيئاً!

والمُخاطَبُ : عصاة الخلق المسرفين على أنفسهم في اقتراف الذنوب

ومع غناه عنهم وفقرهم إليه إلا أنه يناديهم تحبباً ﴿يا عبادي﴾ ، ويبشرهم تحبباً ﴿لا تقنطوا﴾ ، ويفصِّلُ لهم تحبباً ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾!

تذكـروا وأنتم تخـاطبـون الناس أن المعنى الجـمـيل يفـسـده الأسلوب القـبـيح ، وأن الأسلوب العـذب يُصلِحُ من المضـمـون غـيـر العــذب بعض الشيء! وفي الحــديث : «إن شـــر النـاس منزلة يوم القيامة من يتقيه الناس مخافة لسانه»!

الوطن
٢٠١٨/١٠/٢٨

هناك عبقريٌّ مُختبِئ!

كيف تحدد ارتفاع ناطحة سحاب باستخدام الباروميتر؟!

كان هذا أول سؤال في امتحان الفيزياء في جامعة كوبنهاجن في الدانمارك . وطبعاً فإن الإجابة الصحيحة والتقليدية لهذا السؤال هي : قياس الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وعلى سطح ناطحة السحاب!

إحدى الإجابات استفزتْ أستاذ المادة ، فقرر أن يُرسب صاحبها دون قراءة بقية إجاباته ، والإجابة المستفزة كانت : أربط الباروميتر بحبل طويل وأنزل الخيط حتى يلمس الأرض ثم أقوم بقياس طول الحبل!

في رأي الأستاذ كانت هذه إجابة غبية لا علاقة لها بالفيزياء!

اشتكى الطالب إلى الجامعة مؤكداً أن حله صحيح فعيّنت الجامعة خبيراً للفصل بين المعلم وتلميذه .

اعتبر الخبير أن الإجابة صحيحة ، ولكنها فعلاً تدل على جهل بالفيزياء ولكنه قرر أن يمنح الطالب فرصة ويعيد طرح السؤال عليه شفهياً ، فقال الطالب : حسناً هناك عدة إجابات وليس إجابة واحدة!

١- يمكن إلقاء الباروميتر من أعلى ناطحة السحاب وقياس الزمن الذي يستغرقه للوصول إلى الأرض ومن ثم يمكن حساب ارتفاع ناطحة السحاب باستخدام قانون الجاذبية!

٢- إذا كان الطقس مشمساً يمكن قياس طول ظل الباروميتر وطول ظل ناطحة السحاب فنعرف ارتفاع ناطحة السحاب من قانون التناسب بين الطولين والظلين!

٣- أما إذا أردنا حلاً يريح عقولنا فنعطي الباروميتر لحارس ناطحة السحاب نظير أن يخبرنا عن طولها!

٤- وإذا أردنا تعقيد الأمور فنحسب ارتفاع الناطحة بواسطة الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وعلى ناطحة السحاب باستخدام الباروميتر!

هذا التلميذ المدهش هو «نيلز بور» ولم ينجح في مادة الفيزياء فقط بل إنه الدانماركي الوحيد الذي حصل جائزة نوبل في الفيزياء!

إن مهمة المدرسين هي البحث عن أي طالب له جناحين ومحاولة غرس ريش إضافي فيهما ليحلق عالياً لا أن يعملوا على قص هذه الأجنحة لأن صاحبها غير تقليدي ولا يمكن التنبؤ به!

نحن لا نجد إلا ما نبحث عنه ، إن كنا نبحث بين طلابنا عن أبي بكر ، وعمر وعثمان وعلي ومصعب وخالد وفاطمة وخديجة وأسماء وعائشة فسنعرفهم فوراً عندما نعثر عليهم ، وإن كنا نبحث عن فرد في قطيع فإن المدارس لا تعد بهذا المنظور صانعة مواهب أو مكتشفتها على أقل تقدير وإنما تصبح جهاز تدجين كبير ، وإن هؤلاء الصغار اليوم هم بذورنا للغد ، نحن أدينا الذي علينا ، لقد أنبتنا ، وكبرنا ، وعما قليل نحصد ولم يتغير شيء ، فإن لم نراهن على هذه البذور التي أمامها حقل الحياة بطوله فعلى أي شيء نراهن للحصول على غد أفضل!

الوطن

٢٠١٨/١٠/٣٠

مدير الأباريق!

انتشرتْ الحمَّامات العمومية زمن الخلافة العثمانية في بلادنا ، وكان يُعيَّنُ على كل حمَّام رجل مهمته الإشراف على نظافته ، وملء الأباريق بالماء ليستخدمها من أراد أن يقضي حاجته . . . ويُحكى أنه في أحد هذه الحمامات دخل رجل لا يكاد يمسك نفسه ، وتناول إبريقاً بسرعة وتوجّه إلى أحد المراحيض داخل الحمام العام ، ولكن الرجل المشرف على الحمام نهره بصوتٍ عالٍ وقال له : أعطني الإبريق الذي في يدك وخذ هذا مكانه!

استجاب الرجل للأمر خصوصاً أن وضعه لم يكن يسمح له أن يجري أي نوع من المفاوضات والنقاشات ، ولكنه أثناء قضاء حاجته -أكرمكم الله- كان يفكر بفعل المشرف على الحمام العام ، ويقول في نفسه : كلها أباريق ، لماذا نهرني بهذا الشكل!

المهم أنه وهو في طريقه لمغادرة الحمَّام العام قال للمشرف عليه : أريد أن أعرف الفرق بين الإبريقين من بعد إذنك .

فقال له : لا فرق بينهما .

فقال له الرجل : ولمَ نهرتني إذاً؟

فقال له مشرف الحمام : أنا المسؤول هنا ، وأنا أحدد أي إبريق تستخدم!

الحمامات العمومية كانت فكرة جميلة تُضاف إلى عشرات الأفكار التي طبقها العثمانيون ، واستطراداً جاحظياً ، أقول أن اختزال عمر الخلافة العثمانية بالخمسين سنة الأخيرة حيث أصابها الترهل حال الدول عندما تبدأ تحتضر ، ظلم وقلة مروءة أو في أحسن الأحوال جهل بالتاريخ!

وبالعودة إلى صاحبنا مدير الأباريق الذي أفضى إلى ما قدَّم ، فإنه يوجد منه عينة في كل بيت ، ومدرسة ، ومستشفى ، ووزارة ، وورشة ، ومحكمة ، وجيش ، وحارة! ثمة أشخاص عندهم عقدة الإدارة ، يشعرونك أن كل شيء يجب أن يمر من خلالهم وإلا سيبدو العمل ناقصاً!

من الأمراض الاجتماعية المستعصية التي نعاني منها هي تضخم «الأنا» وتورم الذاتية!

مدير الأباريق ليس إلا حلقة في سلسلة طويلة تكاد لا تنتهي ، أذكرُ أننا ذهبنا منذ شهرين إلى البحر ، غرسنا خيمة صغيرة تظلِّلنا ، فجاء عامل البلدية ووجه إلينا بعض الملاحظات التي هي من صميم عمله مشكوراً عن ضرورة النظافة ، والانتباه للأولاد ، وبعد قرابة النصف ساعة حضر عامل آخر على ما يبدو أن مهمته أن يجوب الشاطئ ذهاباً وإياباً ويشرف على سير الأمور ، فأعطانا ذات الملاحظات ولكن بطريقة أخرى ، كان كأنما يقول لنا : أيها القوم أنا مدير البحر!

المهم من هذا كله ، يكفي الناس ما عندهم من مدراء في أعمالهم فلا داعي أن ينصب كل إنسان نفسه مديراً حيث يعمل ، بدءاً بخادم المسجد الذي يشعرك أحياناً أنه رضوان خازن الجنة وانتهاءً بالبواب الذي يؤز الناس أزاً كأنه مالك خازن النار!

الوطن

٢٠١٨/١١/١

الوجه الآخر للصورة!

يُحكى أن ثلاثة عميان دخلوا إلى غرفة فيها فيل! وطُلب منهم أن يكتشفوا ما هو الفيل ويبدأوا في وصفه ، وبالفعل تحسس العميان الفيل ثم خرجوا من الغرفة ، وبدأ كل واحد منهم يصفه :

قال الأول : الفيل هو أربعة عمدان على الأرض!

قال الثاني : الفيل يشبه الثعبان تماماً!

وقال الثالث : الفيل يشبه المكنسة!

وحين وجدوا أنهم مختلفون بدأوا في الشجار ، وتمسك كل منهم برأيه ، وراحوا يتجادلون كل واحد منهم يتهم صاحبيه بالكذب والخداع!

لا شك أنكم لاحظتم أن الأول أمسك بأرجل الفيل ، والثاني بخرطومه ، والثالث بذيله!

الحياة فيل كبير ونحن عميانها الذي طُلب منا وصفها يا سادة!

للحقيقة أكثر من وجه ، وللقضية أكثر من رأي ، وليس بالضرورة أن وجهة النظر الأخرى خاطئة ، ولكننا نحسب أنفسنا المسطرة التي يجب أن يُقاس بها هذا الوجود بحقائقه ، وقضاياه ، ووجهات نظره!

نحن عندما نعطي رأينا في قضية ففي الغالب إننا نعطي حقيقتنا نحن وليس حقيقة هذه القضية! لا يستطيع إنسان أن يهرب من تجاربه السابقة! من الطبيعي أن يكون الفيل كالطاولة لمن لم يرَ إلا أرجله ، وكالثعبان لمن لم يرَ إلا خرطومه ، وكالمكنسة لمن لم يرَ إلا

ذيله! رأي رجل ما في النساء هو حقيقته وتجربته وتربيته ، وليس حقيقة النساء ، ورأي امرأة في الرجال هو حقيقتها وتجربتها وتربيتها وليس حقيقة الرجال! ولكن مأساتنا نحن البشر أننا نجعل من تجاربنا الصغيرة الخاصة حقائق عامة الويل والثبور لمن خالفها!

العميان في القصة تشاجروا لأن كل واحد منهم اعتقد أن تجربته في الحياة هي الحقيقة المُطْلَقة ، والصواب أن لا حقيقة مطلقة إلا الله ، وما تبقّى حقائق نسبية أو هي أقرب إلى الانطباعات الخاصة منها إلى الحقائق! إن رأي الطفل اللقيط الذي أُلقي على باب مسجد عن الأبوين مختلف تماماً عمن عاش في كنف والديه ، لهذا وراء كل رأي ، وخلف كل وجهة نظر ، تجربة أنتَ لا تعرفها ، الناس أيها السادة صنيعة تجاربهم في هذه الحياة!

قصة العميان والفيل تخبرنا أنه ليس بالضرورة أن الحقيقة الكاملة مع شخص واحد ، من الممكن أن يملك كل شخص جزءاً من الحقيقة ، ولكن مصيبتنا أننا نحسب أن الجزء الذي نملكه هو الكل الذي لا يملك أحد منه شيئاً!

فحبذا حين نختلف أن نعرف أني إذا لم أكن معك فلستُ ضدك ، أنا مع تجاربي وانطباعاتي وأنتَ مع تجاربك وانطباعاتك ، ولا يغب عن بالكم أن بعض الذين تظنونهم جُناة هم في الحقيقة ضحايا تجاربهم وانطباعاتهم!

الوطن

٢٠١٨/١١/٤

عقليَّةُ النَّصر والهزيمة!

خلال عامه الأول في جامعي بيركلي ، وصل «جورج دانتزيغ» متأخراً إلى الصف ، فوجد مسألتين على السبورة ، قام بنسخهما وأخذهما إلى المنزل معتقداً أنهما واجب منزلي ، بعد عدة أيام قام «دانتزيغ» بالاعتذار من أستاذه لتأخره في إعادة الواجب الذي كان أصعب قليلاً من المستوى المعتاد!

القصة لم تنتهِ هنا ، فبعد مراجعة الحل لحوالي ستة أسابيع ، قام الأستاذ باستدعاء جورج إلى مكتبه ، وقال له : هذه المسائل لم تكن واجباً ، وإنما كتبتها على السبورة كمثال عن مسائل رياضية عجز العلماء عن حلها! لقد اجتمعنا لمدة ستة أسابيع وناقشنا ما قمتَ به ، أهنئك يا بُني لقد قمتَ بحل المسائل حلاً صحيحاً!

لا شك أن «جورج دانتزيغ» عبقري في الرياضيات ، والمسائل التي حلها كانت فاتحة نبوغه وتفوقه في هذا المجال ، ولكن برأيي هناك عامل أثّرَ في نجاحه في حل هذه المسائل بالإضافة إلى قدراته التي لا أقلل منها ألا وهو انطلاقه في حلها بعقلية أن هناك حل ، وأعتقد أنه لو حضر إلى المحاضرة مبكراً وسمع أستاذه يقول هذه المسائل لا حل لها ، لربما لم يكن ليعمل عقله فيها ، ولو أعمله فمن باب الترف ، وهذا لا شك ترف مدفوع بعقلية أن لا حل للمسائل ، ولكنه عندما اعتقد أنها واجب منزلي ، أعمل عقله فيها على أن هناك حل لا محالة ، لذلك أمضى وقته يبحث عن الحل ، بعكس بقية الطلاب الذين ربما قالوا ما دام علماء الرياضيات قد عجزوا عن حلها فهل سننجح نحن!

الفكرة أن آراء الآخرين ، وانطباعاتهم السابقة ، هي قيود لنا ، شئنا أم أبينا ، أحكام الناس السابقة تؤثر في أفعالنا أو ردات أفعالنا ، صحيح أنه في بعض الأحيان تشكل هذه الانطباعات حافزاً يملؤنا بالتحدي ، ولكنها في أغلب الأحيان مثبطات وهزائم مسبقة! سر الإنجاز أن لا نسمح بأن يكبلنا الآخرون مسبقاً ، لأن سر النجاح هو أن نؤمن بداية بقدرتنا على النجاح ، الإنسان المهزوم في داخله لا يمكن أن ينتصر!

بعيداً عن الرياضيات ، ولكن في نفس الفكرة لطالما استوقفني موقف حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قبل معركة بدر ، فعندما اصطفَّ الجيشان قبالة بعضهما البعض ، نظر في جيش قريش ثم في جيش المسلمين وقال لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : إن كل ما أمامي لا يخيفني ، هم أكثر منا عدداً ولكننا بالإيمان أكثر قوة!

لقد انتصر حمزة قبل أن تبدأ المعركة ، لأنه كان منتصراً في أعماقه ، كل ما أمامه لم يكن يخيفه ، العدد لا يعنيه ، إنه يؤمن أن الإيمان هو الذي يحسم المعارك ، وما انتقموا منه يوم أُحد إلا لأنه كان يوم بدر أشرس جنود المسلمين وأكثرهم إثخاناً في قريش!
لكل هزيمة سبب ، ولكل نصر سبب ، ولكن أول أسباب النصر والهزيمة تبدأ من داخلنا لا من الظروف المحيطة بنا!

الوطن
٢٠١٨/١١/٦

قِطْعَةُ حلَوى!

سُئِلَ أحد الممرضين المتقاعدين عن أغرب ما رآه خلال سنوات عمله في المستشفى فقال :

في أحد الأيام دخل إلى المستشفى رجل كبير في السن ، وكان طوال فترة إقامته في المستشفى يزوره شاب كل يوم ، يجلس معه قرابة الساعتين ، يطعمه بيده ، ويبدل له ملابسه ، يمازحه ويلاعبه كأنه طفل ، وأحياناً كان يمسكه وينزل به إلى حديقة المستشفى ، فأعجبني ما رأيته من بر الولد بأبيه ، وفي إحدى المرات التي كنت أعطي الرجل العجوز المريض دواءه ، قلتُ له : يا عم إني أغبطك على هذا الابن البار ، حقيقة كنتُ أعتقد أن أمثاله قد انقرضوا من هذه الدنيا .

فقال لي : ليته كان ابني فعلاً .

تملكتني الحيرة والدهشة ، وقلت له : ليس ابنك ويفعل كل هذا؟! من هو إذاً؟

فقال : هذا ولد يتيم كان يسكن في الحي الذي كنا نسكن فيه ، رأيته ذات مرة بعد أن توفي والده بباب المسجد يبكي ، فهدأتُ من خاطره ، ومسحتُ على رأسه ، وكنتُ كل يوم أعطيه حبة حلوى ، فيأخذها بكل سعادة ، ويشكرني ، وبعد سنة أخذه أقاربه من حارتنا ، ولكنه بقي كل مرة يزور مسجدنا فيصافحني ، وها هو قد كبر وصار مهندساً ، وعندما علم بمرضي صار يزورني كل يوم هنا كما ترى ، وعندما سألته لماذا تتكبد كل هذا العناء؟ ابتسم في وجهي وقال لي : يا عم ما زال طعم حبات الحلوى في فمي!

يقول ابن الجوزي : اصنعْ الخير وليقع حيث يقع ، فإن وقع في أهله فهم أهله ، وإن وقع في غير أهله فأنت أهله!

صنائع الخير لا تضيع ، وإن ضاعت عند الناس فلن تضيع عند الله ، وإني على يقين أن صانع المعروف إنما يفعله لوجه الله لا يريد عليه من الناس ثواباً ، ولكن ما أجمل أن يكون الإنسان وفياً ولا ينسى معروفاً أُسدي إليه ، فهذا خُلق الأنبياء!

في غزوة بدر خرج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مع قريش مكرهاً ، ووقع في الأسر ، وكان قد تمزق ثوبه ، وكان رجلاً جسيماً ، كان يشابهه بهيئته عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول رضي الله عنه ، فأعطاه ثوبه ، فحفظها رسول الله ﷺ له ، لهذا عندما مات والده عبد الله بن أبي زعيم المنافقين أعطاه النبي ﷺ ثوبه ليكفن به أباه ولم يرده وفاءً لما كان منه يوم بدر!

وعندما رُجم ﷺ في الطائف ، وبلغه أن قريش قد قررتْ أن لا تسمح له بالعودة إلى مكة ، فنزل في جوار مطعم بن عدي الذي أدخله إلى مكة وتعهد بحمايته ، ويوم بدر جيء بالأسرى إلى رسول الله ﷺ . فقال من فرط وفائه : لو أن مطعم من عدي كان حياً وكلمني في هؤلاء لأطلقتهم له!

ضَعْ قِطعَ الحلوى في أفواه الآخرين ، وانسها ، ولكن إياك أن تنسى اليد التي وضعتْ في فمك يوماً ما قطعة حلوى ، فإن حفظ المعروف من شيم الأنبياء!

الوطن ٢٠١٨/١١/٨

وظيفةٌ طريفة!

قرأتُ البارحة خبراً طريفاً حول وظيفة طريفة ، يقول الخبر :
تستطيعُ استئجار إنسان يرافقك ويسليك أو يساعدك في السياحة أو مرافقتك لمطعم أو مركز تجاري ، هذه الخدمة مشترك فيها ستمئة ألف شخص حول العالم ، وسعر استئجار الإنسان الواحد خلال الساعة يتراوح بين عشرة دولارات وخمسين دولاراً حسب الخدمة التي تريد!

هذه الدنيا لا تكف عن مفاجأتي بوظائفها الحلوة ، حدثتكم منذ فترة عن «دانيال فون» الذي يعمل ناقداً للمشاوي وكل عمله عبارة عن الذهاب إلى مطعم وتناول وجبة مجانية ثم كتابة مقال عنها! وعن «روزين ماديكان» التي تعمل ناقدة للأسِرَّة الفاخرة وكل عملها أن تتمدد لساعات في السرير الفاخر ثم تزود الشركة بملاحظاتها! وعن «هاري ويشلر» الذي يعمل متذوقاً للحلويات وكل عمله أن يتناول الكب كيك كان الله في عونه ثم يعطي توجيهات لتحسين الأشياء! وعن «جينارو بيليشيا» الذي يعمل متذوقاً للقهوة ، ويتقاضى راتباً لا يتقاضاه جنرال في الجيش!

المهم أن كل هذه الوظائف الجميلة فاتتني ، ولكني عازم على أن لا أدع هذه الوظيفة الجديدة تفلت مني! حيث أنوي -وفقني الله- بالتسجيل في الموقع لأكون مرافقاً لمن يشعر بالملل فكان الله في عوني إذا استطعتُ الحصول على هذه الوظيفة الشاقة ، حيث سيتصل بي شخص ما ، ويقول لي أنا بصدد الذهاب إلى باريس لعدة أيام وباريس مدينة موحشة لا بد من شخص يرافقني إلى المطاعم الفاخرة ، وتناول البوظة الشهية ، ومشاهدة برج إي?يل!

طبعاً لن أبدو متلهفاً وأقبل مباشرة ، سأقول له : يا الله ، باريس مرة أخرى! ثم بعد أن أقنعه أني أعرف باريس كما أعرف القطط في حارتنا ، وأحفظ سكانها كما أحفظ صوت جارتنا التي تصرخ على أولادها وهي تشرح لهم مسائل القسمة ، سأبدأ بالتنازل شيئاً فشيئاً لوجه الله ولإسعاد هذا السائح المسكين ، وأني لن أكسر خاطره! طبعاً أنتم لا تنتظرون مني أن أقول له فوراً : يا الله! باريس مرة واحدة ، أنا جاهز ومستعد أن أذهب الآن دون حقيبة حتى!

لا يجب على الإنسان أن يبدو متلهفاً حتى وإن كان فعلاً متلهفاً ، تماماً كما تفعل الفتاة التي تصلي ليل نهار لأجل أن يرزقها الله عريساً ، ثم عندما يأتي العريس تطلب من أبيها أن تفكر قليلاً وتصلي ركعتي استخارة!

سأبقى محافظاً على رباطة جأشي ، موقف واحد سأبدو فيه متلهفاً دون تحفظ وهو أن يتصل بي رجل عجوز مقعد يريد من يجره وهو يؤدي عمرته ، إن طوافاً واحداً بالكعبة يساوي ألف باريس!

الوطن

٢٠١٨/١١/١١

تحذير!

في حديقة الحيوان في «دبلن» لوحة تحذيرية مكتوب عليها :
لا تقفْ أو تجلس أو تتكئ على أسوار الحديقة ،لو سقطتَ من الممكن أنَ تأكلك الحيوانات ، وهذا شيء يجعلها تمرض!

في الحقيقة إن أغلب التحذيرات التي نراها لا تهتم بنا ، ولكن الفرق بين هذا التحذير وبين التحذيرات الأخرى التي تعتقد أنها لبقة وأنها تهتم لمصلحتنا هو أن هذا التحذير صريح بينما بقية التحذيرات دبلوماسية!

فعلى سبيل المثال عندما نقرأ تحذيراً من نوع : انتبه لا تجلس على هذا المقعد فإن الطلاء جديد ، فلا تعتقد أنهم يقولون لك عزيزي نحن نهتم لثيابك ولا نريد لها أن تتسخ! إن الترجمة الحرفية لهذا التحذير هي كالتالي : لا تفسد الطلاء بملابسك التي لا تعنينا!
والشيء بالشيء يُذكر ، قرأتُ منذ فترة عن تحذيرات طريفة ، تدخل في باب اللقافة والاستظراف أكثر منها في باب التحذيرات :
- كُتب على علبة بطاريات صغيرة تحذيراً يقول : غير قابلة للأَكل ، إذا ابتلعتها اذهب فوراً إلى الطبيب!
- كُتب على ولاعة سجائر : أشعلها بعيداً عن وجهك!
- هناك قطرة للأطفال الرُّضع ، تُسبب الخمول والنعاس ، كُتب عليها : أيها الطفل الرضيع هذه القطرة تسبب الخمول ، فلا تقم بتشغيل الآلات الثقيلة ، ولا قيادة السيارة طوال فترة العلاج!

- أما شركة نيسكو للأجبان فكتبت على علبة الجُبن : لنتيجة جيدة ، وطعم أفضل ، انزع غطاء العلبة!
- إحدى شركات صنع المكيفات كتبت على المكيف : لا تُلقِ هذا المكيف من النافذة مهما حدث!
- أما إحدى شركات مواد التنظيف فكتبت بعد خطوات الاستعمال جملة في النهاية تقول : أنتَ الآن في الحمام ونسيتَ هاتفك خارجاً وهذا هو السبب الذي جعلك تقرأ طريقة الاستعمال!
- على مكواة الملابس كُتب : لا تكوِ الملابس وأنتَ ترتديها!

بالمناسبة أحد أصدقائي حاول أنَ يكوي ياقة قميصه وهو يرتديه وحرق رقبته ، وهذا بالمناسبة أفضل أصدقائي ولكم أن تتخيلوا البقية . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الوطن

٢٠١٨/١١/١٣

شكراً سيدنا يونس!

١- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أن لا أركنَ إلى الدنيا ، وأن أحذرَ تقلباتها مهما بلغتُ من الإيمان عتياً! فقد ظننتَ أن لن يُضيِّقَ اللهُ عليكَ فانتهى بكَ المطاف من سعة الأرض إلى ضيق بطن الحوت!

٢- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أنَّ قَدَرَ اللهِ نافذٌ لا محالة ، مرةً تلو المرة يعيدوا القرعة كي يكون المُلقى في البحر غيرك ، ويأبى الله إلا أن تكون أنتَ!

٣- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أن لا أيأس من هداية أحد ، كنتَ بينهم تدعوهم ليلاً نهاراً ، فما آمنوا ، فلما تركتهم وذهبتَ آمنوا! هو درس آخر يا سيدنا : إن الله قادر على أن يهدي دون أنبياء ولكنه سبحانه جعل لكل شيءٍ سبباً وليقيم الحُجة على الناس!

٤- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أن البلاء ينزله الله بأحبابه رفعةً وتطهراً وليس انتقاماً ، فسبحان من يبتلي ليرفع ويُطهِّر حتى يلقاه عبده وما عليه من خطيئة!

٥- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أن الإنسان لا يستطيعُ أن يخرجَ من قفص بشريته ، رغم نبوتك إلا أنك كنتَ مثلنا جميعاً تحبُّ أن ترى أثر دعوتك ، ونتيجة عملك ، وقد آلمك أنهم لم يؤمنوا!

٦- شُكراً سيدنا يونس من قصتك تعلمتُ أننا نُسألُ عن الأسباب لا عن النتائج ، وعن الطريق لا عن الوصول ، وهذا من رحمة الله بنا ، سبحانه لن يسألنا لماذا لم يتبعكم الناس بل سيسأل

أي دعـوة قـدمـتـمـوها للناس ، وأي طريق هذا الذي أمـضـيـتم أعماركم فيه!

٧- شُكراً سيدنا يونس من قصتكَ تعلمتُ أن مؤمن الأرض له في السماء شُهرة ، من قبلكَ لمّا أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار ضجتْ مـلائكة السـمـاء ، وأنتَ لما ناديتَ ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين﴾ قالت الملائكة : يا رب صوت معروف من عبد معروف!

٨- شُكراً سـيـدنا يونس من قـصـتـكَ تعلمتُ أنه لا يُنجـينا من الكروب إلا أن نكون مع الله ﴿فلولا أنه كـان من المسـبـحين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون﴾!

٩- شُكراً سـيـدنا يونس من قـصـتكَ تعلمتُ أن الإقرار بالذنب من شيم الأنبياء والغطرسة والعزة بالإثم من شيم الشياطين ، وما أجـمـلك وأنت تردد ﴿لا إله إلا أنت سـبـحـانك إني كـنت من الظالمين﴾ ، ليس على المرء حـرج في أن يبكي على خطيئـتـه ، إنما الحرجُ أن لا يفعل!

١٠- شُكراً سـيـدنا يونس من قـصـتكَ تعلمتُ أن أهل التـسـبـيح لا يطولُ شقاؤهم ، وأهل الذكر لا تستمر كروبهم ، فسبحان من إذا ذُكـر اسمه العظيم على صعب لان ، وعلى عسير تيسَّر ، وعلى مستحيل صار ممكناً!

الوطن

٢٠١٨/١١/١٥

أنتَ ما تبحثُ عنه!

يُحكى أنه في إحدى القُرى البعيدة كانت الأخبارُ تصلُ عن تطور المدينة ، عن شوارعها ومستشفياتها وحدائقها ومرافقها . . . فجمعَ مختارُ القرية الناسَ واتفقوا على إرسال وفد من رجال القرية ليعرفوا حقيقة الأخبار التي تصلهم .

تشكَّل الوفد على جناح السرعة ، وانطلق نحو المدينة وعندما وصل اتفق أعضاؤه أن يتفرقوا ويلتقوا نهاية النهار في مكان محدد ليعودوا ، وبالفعل عند المساء اجتمعوا وعادوا إلى القرية التي كان أهلها بانتظارهم على أحر من الجمر ليرفعوا إليهم تقريراً عما يوجد في المدينة ، وعندما اجتمع الجميع في مضافة القرية ، طلب المختار من أعضاء الوفد أن يرفعوا تقاريرهم .

قال الأول : في المدينة مساجد كبيرة ، عالية المآذن ، فاخرة السجاد ، وفيها رائحة طيبة ، إن المدينة مكان عامر بالإيمان!

قال الثاني : في المدينة ملاه ومراقص ، خمور وموسيقى ، هناك لا يمكن للإنسان أن يشعر بالملل!

قال الثالث : في المدينة مطاعم فاخرة ، تُقدم طعاماً لم تسمعوا به يوماً ، أصناف كثيرة من اللحوم والدجاج والعصائر والحلوى!

قال الرابع : في المدينة مسارح ومكتبات وأماكن تُقام فيها فعاليات ثقافية!

دُهش أهل القرية من هذه التقارير المتفاوتة التي قدمها الرجال عن المدينة ، لدرجة أنهم قد تساءلوا هل ذهبوا جميعاً إلى المدينة نفسها؟!

عندها قال مختار القرية : نعم لقد ذهبوا إلى نفس المدينة ولكن كل واحد منهم رأى ما كان يبحث عنه!

هذه القصة الرمزية تصلح أن تكون مثالاً للحياة برمّتها ، فكأن الناس جميعاً هم وفد القرية الذي ذهب لاستكشاف المدينة ، وكأن المدينة هي الحياة على اتساعها!

تجلس مع أحدهم فيصور لك الحياة رحلة عذاب ممتدة من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت ، وآخر يخبرك أنها نزهة جميلة اسمها العُمر!

أحدهم يحدثك أن لا خير في الناس وأن لا تثق إلا بنفسك ، وآخر يحدثك أن الطيبة موجودة ، والخيِّرين تغص بهم طرق الحياة!

أحدهم يرى أن الوصول إلى الهدف يُبرر كل طريق نسلكها مهما كانت هذه الطريق خسيسة ، وآخر يرى أن نُبل الطرق من نبل الغايات ، وأنه تباً للوصول إن كان سيصل إلى غايته ملوثاً!

أحدهم يعمل للدنيا كأنه باق فيها إلى الأبد ، وكأنه حاز على الإنذار الذي حاز عليه إبليس ﴿إلى يوم يُبعثون﴾! وآخر يرى أنها ليست إلا محطة عبور ، وطريق لا تلبث أن تنتهي ، ومزرعة نبذر فيها والحصاد هناك ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾!

الحياة ليست قطعة من العذاب ، ولا هي رحلة سياحية ، إنها بين بين . . . فيها من هذا وذاك! والناس ليسوا شياطين وليسوا ملائكة أيضاً ، على أن فيهم من فاقوا الأبالسة شراً وفيهم من قارب الملائكة خيراً! والغايات لا تُبرر الوسائل إلا عند أصحاب مبدأ ﴿أنا ومن بعدي الطوفان﴾! وطوبى لمن رفض وسيلة قذرة لأنه يرى أن خسارة نفسه لا يجبرها ربح العالم كله ولو ربحه! ولكن الشيء المؤكد أن كل إنسان في هذه الحياة يرى ما يبحث عنه!

الوطن ٢٠١٨/١١/١٨

وُلد الهُدى!

كان لا بد أن تأتي ، فكل إخوتك الأنبياء بشروا بمجيئك ، آخر المُبشِّرين كان ابن البتول ، أما الآن فالدنيا بانتظارك! قافلة النبوة أوشكتْ أن تبلغَ تمامها ، بقي فقط أن يأتي مسك الختام ، وعندما يكون المسك على هيئة بشر من عساه يكون غيرك يا رسول الله؟!

رأتْ أمك في منامها أن نوراً خرج منها أضاء العالم كله ، أما نحن فقد رأينا نور رسالتك في يقظتنا ، فالسلام عليك يوم ميلادك يا سيد الناس!

السلام عليكَ طفلاً يتيماً علَّم فيما بعد آباء العالم كيف يربوا أولادهم!

السلام عليكَ ابن السادسة أمام قبر أمك تعلم أبناء العالم فيما بعد أن «أمك أمك أمك ثم أباك»!

السلام عليك ابن الثانية عشرة ترعى الغنم كي لا تكون عالة على عمك ، رجُلاً كنتَ في طفولتك ، ورجلاً في صباك ، ورجلاً في رجولتك!

السلام عليك تاجراً في الشام لا تكذب ولا تغش ولا تبيع بضاعتك بحلف كاذب ، صادقاً أميناً كنتَ ، حتى الذين كذَّبوك في رسالتك ما اتهموك يوماً بأخلاقك ، ويكفيك شهادة ربك ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾!

السلام عليك ابن الخامسة والعشرين يوم زواجك من خديجة ، خديجة يا رسول الله ، كهفك وملاذك ، جبهتك الداخلية ، وأشجع فرسانك ، تلك التي بقيتَ حتى آخر رمق من حياتك تقول عنها : ما أبدلني الله خيراً من خديجة!

السلام عليك ابن الأربعين ، نضجتَ بما يكفي لتحمل عبء الرسالة ، فيا أيها الأمي ﴿اقرأ﴾ ، ويا أيها الذي لم يخط حرفاً من قبل ﴿خذ الكتاب بقوة﴾ ، هذا العالم لن يعود بعد اليوم كما كان قبله ، وهذه الأمة المتناحرة على قليل كلأ وماء ستقارع الإمبراطوريات وتهد الدول ، أي عظمةٍ هذه يا رسول الله أي عظمة؟!

السلام عليك يوم بدر تخبرنا أن وطن الإنسان عقيدته ، وقبيلته دينه!

السلام عليك يوم أحد تخبرنا أن القائد لا يهرب ، شجوا رأسك ، وكسروا رباعيتك ، وأنت ثابت تمسح الدم عن وجهك وتقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم ، واللهِ إن كوكباً سال فيه دمك لهو كوكب سوء!

السلام عليك يوم فتح مكة تخبر قريشاً أنك لستَ مثلهم ، هم الطلقاء فليذهبوا! كذَّبوك ، وآذوك ، وتآمروا لقتلك ، وطردوك من قريتك ، وحاربوك ، وقتلوا أصحابك ولكنك لا تنتقم ، يا لقلبك!

السلام عليك يوم حجة الوداع تضع النقاط على الحروف ، أن كلكم لآدم وآدم من تراب ، هذا دين العقيدة لا دين الأنساب ، ودين القلوب لا دين لون البشرة ، بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي في الجنة وأبو لهب الهاشمي وأمية بن خلف القرشي في النار ، وليس بين الله وبين عبد من عباده قرابة!

السلام عليك يوم خُيرت بين الخلد في الدنيا وبين الرفيق الأعلى من الجنة ، فاخترت ما عند الله ، نشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديتَ الأمانة ، ونصحتَ الأمة ، ولم تترك خيراً إلا دللتنا عليه ولا

شراً إلا وحذرتنا منه ، يعز علينا أننا ما رأيناك ، ولا كحلنا عيوننا بنور وجهك ، ولكن العزاء الذي عزيتنا به يرضينا ، «موعدكم معي عند الحوض»!

الوطن
٢٠١٨/١١/٢٠

أعطِني حظك!

قرأتُ البارحة عن مُدرس موسيقى يُدعى «فرانك سيلاك» من كرواتيا ، كان في العام ١٩٦٢ يركب قطاراً انحرف عن سكته فمات جميع ركاب القطار باستثنائه الذي قذفه الانحراف من النافذة إلى النهر القريب فسبح وعاد إلى اليابسة سليماً معافى!

بعدها بسنة ركب طائرة تعطلت محركاتها ، ففُتِحَ البابُ من قوة الضغط الذي سحبه إلى الخارج وحده ، فوقع فوق كمية كبيرة من القمح المحصود ونزل سليماً معافى بينما مات جميع ركابُ الطائرة!

عام ١٩٧٠ اشترى سيارة وأثناء ركوبها لأول مرة احترق محركها ، فقفز منها قبل انفجار المحرك بثلاث ثواني ، خرج كالعادة سليماً معافى!

وفي العام ١٩٩٥ صدمه باص ولكنه تعافى بسرعة ، وفي نفس العام أيضاً انزلقت سيارته الجديدة في طريق جبلي فقفز من النافذة وتمسك بغصن شجرة بينما سقطت السيارة واحترقت!

وفي العام ٢٠٠٥ اشترى فرانك سيلاك ورقة يانصيب وربح مليون ومئة ألف دولار أمريكي!

إن كنتم تحسبون أن ما حصلَ مع «فرانك سيلاك» غريباً وقلما يتكرر فإن ما حدثَ مع «فيوليت جيسوب» لأشد عجباً!

كانتْ فيوليت تعمل مضيفة على ظهر السفن السياحية ، كانت على متن سفينة أولمبيك عندما اصطدمتْ بالسفينة هوك ، فمات خلقٌ كثير ونجتْ هي! وكانت على متن سفينة التايتانيك عندما غرقتْ ، فمات خلقٌ كثير ونجت هي! وكانت على متن سفينة بريتانيك عندما اصطدمت بلغم بحري فماتَ خلقٌ كثير ونجتْ هي!

في الحقيقة أنا لا أؤمن بالحظ ، وإنما أؤمن بالقدر ، وأن الله سبحانه قد قدَّر الأعمار والأرزاق وتفاصيل الحياة كلها ، وأن كل إنسان في هذه الحياة لن يمشي خطوة واحدة خارج طريق ما قدَّره الله له!

إن الذي نجا من عشرات الحوادث نجا لأن الله قدَّر له أن لا يموت ، والتي نجت من حوادث الغرق إنما نجتْ لأن ساعتها لم تحنْ بعد!

الذي نجا من حادث طائرة قد تكون منيته في لقمة تعلقُ في حلقه ، والتي نجتْ من حوادث الغرق قد تكون منيتها أن تشرق في شربة ماء ، والناس لا يمشون إلا في دروب أقدارهم!

الوطن

٢٠١٨/١١/٢٢

شُكراً سيدنا سُليمان!

١ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن لا أفخر بإنجازاتي وكأني صانعها ، وإنما أن أتأدبَ مع الله وأردَّ الفضل إليه ، فها أنتَ تعلنها : ﴿عُلِّمنا منطقَ الطير﴾! لم تنسب الفضل لنفسك ولا لاجتهادك ، ومساعدك الذي أحضرَ لكَ عرش بلقيس قبل أن يرتدَّ إليكَ طرفك ، قال متأدبا مع الله : ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾!

٢ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن أتواضع ، ولا أنسى طرفة عين أني من التراب وإلى التراب ، كنتَ تملكُ الأرض من مشرقها إلى مغربها ومع هذا تواضعتَ ، وأوقفتَ جيشكَ لتسمعَ كلام نملة!

٣ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن ألتمسَ العُذر للناس ، فالخطأ وارد ، وليس كل من أضرني كان ينوي هذا ، والحكمة ضالة المؤمن ، وفي كلام نملة وقفت في طريقك لحكمة ، ودرس في التماس العذر ، وحسن الظن بالناس ، وما أرقى كلامها يوم قالت : ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾!

٤ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن المسؤولية تكليف لا تشريف ، وأن الإنسان النبيل كلما كبرت مسؤوليته كبر تكليفه ، وها أنتَ تتفقدُ رعيتك ، وتسأل عنهم واحداً واحداً ، كنتَ تملك الجن والإنس والريح والدواب ولكنك قلتَ متفقداً : ﴿ما ليَ لا أرى الهُدهد﴾!

٥ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن لا أُغلق الباب في وجه غائب ، فكل غائب عذره معه ، وما أجملكَ إذ توعدتَ الهُدهد ، تركتَ له مخرجاً ، وتركتَ للصُلح مطرحاً ، فقلتَ : ﴿لأعذِّبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينِّي بسلطان مبين﴾! ولما عادَ ، دخلَ من المخرجِ الذي تركتَه له ، وولجَ من مطرحِ الصُلح ، فجاءَكَ من سبأ بنبأ يَقين!

٦ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن الإنسان مهما بلغ من العِلم والنُّبوة فإنه لا يعلم إلا ما علّمه الله له ، فعلى سعة ملكك ، وعظيم علمك ، عِلمَ هدهدٌ ما غاب عنك أنت النبي! فعلمتني هذه الحادثة أن أتواضع لأن الذي أجهله قد يكون أكثر من الذي أعرفه!

٧ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أن لا تأخذني العاطفة فأُصدِّقَ كلّ كلام أسمعه ، وأن لا أكون ساذجاً فينطلي عليَّ أي ادِّعاءٍ وأيّة حُجة! فلما سمعتَ كلام الهدهد قلتَ : ﴿سننظرُ أصدقتَ أم كنتَ من الكاذبين﴾! فالعاقل يتحققُ ويتثبتُّ ، ولا يتحرّكُ إلا على بيِّنة ، ولا يبني مواقفه على شُبهة!

٨ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أدب المشورة ، وأن الحاكم العادل هو الذي يسمع صوت الناس ، والمستبد هو الذي لا يسمعُ إلا صوته ، ولا يبيح إلا رأيه ، وما أجمل بلقيس يوم جاءها كتابك ، تجمع قومها وتقول لهم قبل نشوء الديموقراطيات بآلاف الأعوام : ﴿ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون﴾!

٩ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أنَّ صاحب المبدأ لا يُشترى! بغض النظر أكان غنياً أم فقيراً ، ثم إن مقدار ما يملك الإنسان لا علاقة له ببيع نفسه أم لا ، هذا ما أثبتته التجربة ، وقال به الواقع! وما أنقاكَ يوم قلتَ مُتعففاً : ﴿أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾!

١٠ . شُكراً سيدنا سُليمان ، من قصتك تعلمتُ أنَّ على المرءِ أن يكون دقيقاً في إجاباته ، فعندما سألتَ بلقيسَ : ﴿أهكذا عرشك﴾؟ قالتْ لكَ : ﴿كأنه هو﴾! وهذا أبلغ جواب في التاريخ ، فلو قالتْ هو ، فكيف جاء قبلها؟! ولو قالت ليس هو ، فكيف يجهل المرء عرشه؟! وإن الإنسان مأخوذ بلسانه ، وكل وعاء بما فيه ينضح!

الوطن
٢٠١٨/١١/٢٥

هل يعرفون حقاً!

وُلد الكاتب الأمريكي مارك توين عام ١٨٣٥ ، في اليوم الذي شُوهد فيه مذنب هالي يقترب من الأرض . وفي العام ١٩٠٩ قال مارك توين ساخراً : لقد وُلدتُ يوم وصول مذنب هالي والذي سيعود العام المقبل ، وأتوقع أنه سيأخذني معه .

ومن المعلوم أن مذنب هالي يقترب من الأرض كل ٧٥ سنة ، وبالفعل توفي مارك توين في ٢١ نيسان/إبريل عام ١٩١٠ في اليوم الذي غادر فيه مذنب هالي بعد اقترابه من الأرض!

وفي سياق متصل حدثتني جدتي -التي كانت تؤمن أن الإنسان يشعر بدنو أجله- عن أخوين كان بينهما قطيعة بسبب ميراث ، واستمرت هذه القطيعة لعشرين سنة ، وفي أحد الأيام استيقظ أحدهما ، ولبس ثيابه ، وتوجّه إلى بيت أخيه ، وطرق الباب ، فلما خرج أخوه إليه ، عانقه بحرارة وقال له : إن الموت انتظرنا كثيراً كي نتعانق لا أعتقد أنه سينتظر أكثر!

بكى الأخوان ، وتسامحا ، وفي اليوم التالي مات الأخ الذي بادر إلى الصلح بسكتة قلبية رغم أنه لم يكن يشكو من أي مرضٍ!

وفي سياق متصل آخر ، قرأتُ عن مذيع أمريكي في إذاعة محلية ، كان ينتقد تهور سائقي الدراجات النارية الضخمة ، وقال على الهواء مباشرة : وصل الأمر حداً لا يطاق هؤلاء المتهورين قد يقتلون أحداً ما بكل بساطة ، لا تستغربوا إذا صدمتني دراجة سريعة على الطريق ٢١٠ اليوم وقتلتني ، وبالفعل بعد ساعات صدمته دراجة على الطريق السريع ٢١٠!

سمعتُ قصصاً كثيرة أيضاً عن أشخاص أخبروا من حولهم أنهم يشعرون أنهم سيموتون وقد ماتوا فعلاً كما أخبروا!

أما عن رأيي في الموضوع فلا أصدق هذه القصص إلى درجة الإيمان أن شيئاً كهذا قد يحدث حقاً، ولا أكذبها إلى درجة أقول أن هذه الأشياء مستحيلة الحدوث!

حقيقة لا أملك إجابة شافية أخبركم بها، ومن حسن حظي أني أؤمن أن الأدب ليس من وظيفته أن يقدم إجابات عن كل مسائل الحياة التي ليس لها إجابة، وقد قلتُ مرةً: النص الجيد هو الذي يثير فينا أسئلة أكثر مما يقدم لنا إجابات!

لا أعرف إن كان ما كتبته نصاً جيداً، ولكني على يقين أني أثرتُ فيكم أسئلة لا إجابات لها عندي!

الوطن

٢٠١٨/١١/٢٧

الكلُّ يريدُ أن يكتب!

يقولُ ياقوتُ الحمويّ في رائعته معجم الأدباء :

كان ابن الخشّاب ، وهو نحويٌّ ومُحدِّث ، يوماً في داره وقت القيلولة والحرُّ شديد ، وقد نام ، وإذ طُرِقَ البابُ عليه طرقاً مزعجا . . . فانتبه ، وخرج فزِعاً ، فإذا بالباب رجلان من العامة .

فقال لهما : ما خطبكما؟

قالا : نحن شاعران ، وقد قال كل واحد منا قصيدة زعمَ أنها أجود من قصيدة صاحبه ، وقد رضينا بحكمك

فقال : ليبدأْ أحدكما .

فأنشدَ أحدهما قصيدته وهو مُصغٍ إليه إلى أن فرغَ منها ، وهمَّ الآخرُ بالإنشاد .

فقال له ابن الخشَّاب : على رِسلك ، شِعرك أجود من شِعره .

فقال له : كيف عرفتَ شِعري ولم تسمعه .

فقال : لأنه لا يمكن أن يكون شِعر أنحس من شِعر هذا!

كان هذا الكلام يوم لم يكن للعرب من عِلم غير الشِّعر كما يقول دارسو الأدب ونقاده ، فكان الجميع يريدون أنَّ يصبحوا شعراء ، فالشعر يومذاك وسيلة الإعلام الوحيدة المتاحة ، وفرصة ذهبية للتكسب عند الأمراء والولاة! غير أن العرب عرفوا أن الشعر لا يستقيم للجميع ، لهذا كانت القبيلة توقد النار في مضاربها ثلاث ليالٍ إذا بُشِّرتْ بشاعر!

وبالعودة إلى صاحبنا ابن الخشاب ، ففي الحقيقة أتفهم وضعه ومشاعره ، لقد مررتُ بتجربته عشرات المرات!

أولاً : لست أدعي حرفة الكتابة والبيان ، ولا أحكم على نتاجي الأدبي بالجودة ، ولا أزعم أن ميزان الأدب ، كل ما في الأمر أن الكتابة هوايتي التي لا أتخيلني بدونها!

ثانياً : لا يمرُّ أسبوع إلا ويرسل أحدهم ، أو إحداهن كتاباً أو رواية يريدون رأيي فيها! وإني وبعيدا عن الفكرة ومضمون الأشياء المُرسلة أشعر بالامتنان لهذه الثقة ، ولحسن الظن الذي ظنه بي من أرسل الكتاب!

ثالثاً : بعض الأشياء المرسلة تجعلني أكاد أنتف شعر رأسي من مستوى الكلام المكتوب ، هناك سطحية مفرطة ، أو إن شئت قل سطحية تحت مستوى سطح الأدب!

لا شك أن هناك أدب جيد يصلني ، وأنا رغم ضيق وقتي أحرص على تزويد من أرسل بملاحظات أعتقد أنها تفيده من خلال ما أعتقد أنه صواب ، ولكن الغالبية الساحقة لا ترقى لمواضيع الإنشاء التي تكتبها ابنتي في الصف الخامس الابتدائي!

من حق كل إنسان أن يمارس هواية الكتابة ولو كان أدبه من النوع المحفز على نتف شعر الرأس ولكن من واجب النقاد ودور النشر أن يضعوا حداً لكثير من الهراء الذي يُطبع هذه الأيام! وأيضا من واجبهم أن يبحثوا عن المواهب الجديدة ويفتحوا لها الطريق ويعطونها الفرصة ، فكلما زاد عدد الكُتّاب الجيدين كانت اللغة بخير ، واللغة أهم من الجميع!

الوطن

٢٠١٨/١١/٢٩

نظرةٌ أُخرى!

أراد رجل أن يبيع بيته وينتقل إلى بيت أفضل ، فذهب إلى أحد أصدقائه وهو رجل أعمال وخبير في مجال التسويق ، وطلب منه أن يساعده على كتابة إعلان لبيع البيت ، وكان الخبير يعرف البيت جيداً ، فكتب وصفاً مفصلاً له ، أشاد فيه بالموقع الجميل والمساحة الكبيرة والتصميم الهندسي الرائع!

ثم قام بقراءة كلمات الإعلان على صديقه الذي كان يصغي إليه باندهاش شديد ، وقال له : أرجوك أعِد قراءة الإعلان!

وحين أعاد خبير التسويق القراءة ، قال له صاحب البيت : يا له من بيت رائع ، لقد ظللتُ طول عمري أحلم باقتناء مثل هذا البيت ولم أكن أعلم أنني أعيش فيه إلى أن سمعتك تصفه!

ثم ابتسم قائلاً : من فضلك ، لا تنشر الإعلان ، فبيتي غير معروض للبيت!

بعيداً عن فكرة أن الإعلانات التجارية تجعل «من البحر طحينة» كما يقول المثل العامي ، وهي في الغالب تخدعنا بكلمات رنانة تشبه إلى حد كبير لائحة الطعام في الطائرة! أول مرة سافرتُ فيها أعطوني لائحة الطعام قرأتُ فيها شيئاً يشبه : طحين مستخرج من سنابل القمح الذهبية التي ترتوي من ماء نقي يتدفق من بين الصخر الشامخ ، مع بيض الدجاج المربى في أحسن المزارع الذي يسمع الموسيقى ويرقص الباليه! مع أشهى التوابل العالمية المستوردة خصيصاً ، بالإضافة إلى الخضروات التي يُشرف عليها مُختصون متخرجون من أرقى جامعات العالم!

قلتُ في نفسي لا شك أن هذا طبق من أطباق الجنة ، أو على الأقل هو الفالوذج الذي أقرأ عنه في أخبار الخلفاء والأمم الغابرة! لدرجة أنني لم أقرأ الخيار الثاني لشدة رغبتي في أن أرى هذه الوجبة ، التي كانت عجة والتي يوم تصنعها أمي في البيت أعرف أن الحجة في هذا اليوم مفلسة أو على شفا الإفلاس أو أنها تقوم بغسل السجاد ، ولا وقت لديها لصناعة المعجزات!

وبالعودة إلى صاحبنا صاحب البيت ، أسأل : لماذا على الآخرين أن يخبرونا دوماً بالأشياء الجميلة التي نملكها! مشكلتنا أننا نريد أن نملك دوماً أكثر بدل أن نفكر في أن نستمتع بالأشياء التي نملكها!

نحن دوماً نريد بيتاً أكبر ، ولكننا ننسى أن البيت ليس جدراناً وأثاثاً فقط ، إنه وطن صغير فيه من المشاعر والحكايا والذكريات أكثر مما فيه من المساحة والأثاث!

نحن دوماً نريد وظيفة أفضل ولكننا ننسى أن هذا العالم يغص بالعاطلين عن العمل ، وأن الوظيفة ليست مالاً يُجنى فقط ، إنه كرامة ورغيف خبز بِعزة ، وإحساس رائع بالإنتاج والعطاء!

نحن دوماً رجَالاً ونساء ، نريد زوجة أفضل ، وزوجاً أفضل ، وننسى أن نكون نحن الأفضل أولاً!

لا شيء في سعي الإنسان لامتلاك بيت أكبر ، أو الحصول على وظيفة أرقى ، أو الرغبة في العيش مع شريك عمر ممتاز ، ولكن لماذا علينا دوماً أن نشعر بالنقص تجاه الأشياء التي لا نملكها بدل أن نشعر بالامتنان تجاه الأشياء التي نملكها!

الوطن

٢٠١٨/١٢/٤

شكراً سيدنا إسماعيل!

١- شكراً سيدنا إسماعيل ، من قصتك تعلمتُ أن فرجَ الله إذا جاء أذهلَ ، أمك التي كانت تسعى بين الصفا والمروة وغاية أملها قربة ماء تشرب منها وتسقيك ، فجَّرَ الله لها بين قدميك ماء زمزم الذي لم ينضب حتى اليوم!

٢- شكراً سيدنا إسماعيل ، من قصتك تعلمتُ أن الله لا يترك أهله ، وأنه سبحانه دوماً عند ظن عبده به ، فعندما تركك أبوك أنتَ وأمك وحيدين ، قالت له : آلله أمرك؟ قال : نعم! قالت : اذهبْ فلن يضيعنا الله!

ولم يضيعكم الله ، جاء بقبيلة جرهم إليكم وكان هذا إيذاناً أنه لن يكون هناك قرية فحسب وإنما أم القرى!

٣- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن البعض رغم نعومة أظفارهم يكونون طاعنين في الإيمان ، وما أجملك إذ يخبرك أبوك أنه سيذبحك ، فتقول له : ﴿يا أبتِ افعلْ ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾!

٤- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن الله يبتلي الذين يحبهم ليجعلهم خالصين له ، فعندما تعلق قلبُ أبيك بك ، طلبَ منه أن يذبحك ، ولكن الله افتداك ، لأنه كان يريد من أبيك أن يذبح هواه لا أن يذبحك ، وعندما نجح في الامتحان كان الفداء!

٥- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن الأب عليه أن لا يُفوت فرصة ليجعل أبناءه مميزين ، عندما صدر أمر الله بذبحك ، كان بإمكان أبيك أن يذبحك غيلة وأنت لا تشعر ،

ولكن الله قدّر أن تدخل التاريخ من أوسع أبوابه كأشهر ابن بار في تاريخ البشرية!

٦- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن عِظم التضحية يُخلد ، وأنه لا شيء يضيع عند الله ، سعي أمكَ بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء صار ركناً من أركان العمرة والحج ، ورجم أبيك ركن ، وذبح الخراف ، والطواف مكرمة من الله لهذه الأسرة التي نذرتْ نفسها لله!

٧- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، كنت تتقن رمي السهام والنبال ، وقد مرَّ نبينا ﷺ ببعض أصحابه يتدربون على الرماية ، فقال لهم : ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً!

٨- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن الرجل يكد على لقمة أهله ويهتم ببيته مهما كانت مسؤولياته عظيمة ، لم تشغلك النبوة عن واجبك في بيتك ، فعندما جاء أبوك زائراً وسأل عنك ، قالت زوجتك : خرج يبغي لنا!

٩- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن الساخط على الله لا يُعاش معه ، فعندما شكت زوجتك الأولى لأبيك قلة المال والرزق ولم تحمد الله ، قال لها أن تقول لك : غيِّر عتبة دارك ، ففهمت الرسالة وطلقتها ، ليبدلك الله خيراً منها ، نجحتْ في الامتحان ، وحازتْ على وسام : احفظْ عتبة دارك!

١٠- شكراً سيدنا إسماعيل من قصتك تعلمتُ أن الله إذا أحبَّ عبداً وظفه لخدمة دينه ، وما أوكل الله إليك وأبيك ببناء الكعبة عن قلة جند عنده ، ولكن عن كثير حب لكما ، أراد أن يشرفكما ، وإنكما لأهل!

١١- شكراً سيدنا إسماعيلٍ من قصتك تعلمتُ ما الذي يفعله الدعاء ، دعا أبوك قائلاً : ﴿واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ فأصابنا سهم دعائه ، وما من مسلم في الأرض إلا وقلبه يحن إلى مكة!

الوطن
٢٠١٨/١٢/٦

نسبية من نوع آخر!

في العام ١٩٢٢م كان ألبرت آينشتاين في جولة في اليابان ، وفي أثناء جلوسه في غرفته جاءه عامل الفندق برسالة ، لم يجد أينشتاين في جيبه مالاً ليعطيه للعامل بقشيشاً ، فكتب له نصيحة على ورقة قائلاً : خذها ربما تساوي قيمتها يوماً ما أكثر من قيمة المال!

غادر العامل وهو يحمل نظرية من أهم نظريات آينشتاين ، وهي نظرية آينشتاين للسعادة :

حياة هادئة ومتواضعة خير من نجاح مقرون بالقلق!

كانت هذه نصيحة آلبرت لعامل الفندق!

في العام ٢٠١٧م صدقت نبوءة آينشتاين ، لقد بيعت تلك الورقة في مزاد علني بمبلغ مليون ونصف دولار!

بعيداً عن نظرية السعادة الآينشتانية ، فإن ألبرت مثلنا جميعاً لا يعلم الغيب! صحيح أن الرجل كان داهية ، وقد أُمرنا أن نعدل حين نحكم على الناس ، ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاَّ تعدلوا﴾! ولكنه على دهائه يبقى تنبؤه قراءة بشرية للمستقبل ، قد تصيب وقد تخيب ، ومن تنبؤاته الخائبة مثلاً ، أنه عندما عُرض عليه رئاسة دولة الكيان الصهيوني ، رفض قائلاً : لا أقبل أن أكون رئيساً لدولة لن تعيش أكثر من خمسين سنة!

ومن أقواله التنبؤية التي لم يتضح صوابها من خطئها قوله : لا أعرف أي سلاح ستستخدم البشرية في الحرب العالمية الثالثة ، ولكن الحرب العالمية الرابعة ستكون بالعصي والحجارة!

وبالعودة إلى نظرية السعادة الآينشتانية فإنها نظرية اجتماعية حياتية لا تقل أهمية عن نظرية النسبية العلمية ، ولا عن نظرية النسيج الكوني التي تحدث عنها آلبرت!

حياة الإنسان هي بمقدار ما يستمتع بها ، وبمقدار الأشياء التي يملكها لا بمقدار الأشياء التي تملكه!

صدقوني إن البيوت أسرار ، والناس صناديق مغلقة ، والكثير من الوظائف المرموقة التي تشاهدونها ليست إلا رق في ثياب أنيقة ، وعبودية في زي من بدلة وربطة عنق!

إنه ليس هناك أصعب من حياة مسكونة بالقلق ، أشفق عليهم هؤلاء الذين يهرولون كالقطط الأليفة بين أقدام المدراء والمسؤولين ، لا يعرف أحدهم متى يتم ركله وتنتهي وظيفته الأليفة!

أشفق عليهم أصحاب البورصات الذين يأكلهم القلق على مدار اليوم ، ويبلعون حبوب الضغط كما يبلع طفل كيس حلوى كأنه على سباق مع الوقت يريد أن ينجز مهمته قبل أن تضبطه أمه!

منذ خمسين سنة كان الموت بالسكتة القلبية نادراً كالجِمال في القطب الشمالي وكالفقمات في الربع الخالي ، اليوم لا يمر يوم إلا ويسقط رجل كالجبل بسكتة قلبية ، إن حياتنا متسارعة ، يقضمها القلق كفأر جشع لا عمل له إلا الخراب!

هنيئاً لمن ملكَ حياته ولم تملكه ، ولمن عاش حياة بسيطة بعيداً عن الأضواء ، ما ضره أن يجهله الناس ما دام أن الله يعرفه!

الوطن

٢٠١٨/١٢/٩

فضفضوا يرحمكم الله!

في ولاية نيفادا بأمريكا يوجد حائط يقوم الناس بتفريغ همومهم عليه، وكتابة ما يخشونه، ليتم تنظيفه آخر كل يوم كإشارة أن الخوف والهم يمكن إزالتهم!

وكي لا يتهمني أحد بالافتتان ببني الأمريكان، وأني أدعو إلى اتباعهم حذو القذة بالقذة، حتى إذا فضفضوا على جدار، قلتُ لكم فضفضوا مثلهم، فإني وبعد أن أقول أنه ليس كل ما في الغرب قبيح، وليس كل ما في الشرق جميل، أجيئكم بمن لا أُتهم باتباعه، يقول ابن حزم في طوق الحمامة: إنّ الهموم إذا ترادفتْ في القلب ضاق بها، فإن لم يسترح إلى الشكوى لم يلبث أن يهلك غماً!

بل وزاد ابن حزم في قوله ما أظنه قد سبق أهل نيفادا إليه حيث قال: وقال بعض الذين اعتزلوا الناس لعدم اطمئنانهم لمن يكتم السر أنه كان ينفرد في المكان النازح عن الأنيس ويناجي الهواء ويكلم الأرض، ويجد في ذلك راحة كما يجد المريض في التأوه، والمحزون في الزفير!

فضفضوا يا عباد الله، لا تتركوا الهموم داخلكم تقتلكم، بُثَّ شكواك إلى صديق، وتحدثْ عن مخاوفك مع حبيب، وعن أمانيك الصعبة مع من تثق، لا تتركْ نارك داخلك تأكل حطب صدرك، وأنت تدري أن الهموم تنهش المرء كما تفعل الضباع الكاسرة في جسد غزال غض طري!

ثم فإن عزّ الصديق ، وشح الحبيب ، وندر من تثق به ، خذ ورقة وقلماً ، واجه مخاوفك ، دوِّن أحلامك ، سجِّل أمانيك ، ثمة أشياء يجب أن لا تبقى حبيسة ، سِرْ قرب البحر ، تحدث مع نفسك ، تأمل كيف أن الموجٍ لا يتوقف إنه ينظف نفسه دائماً ، الماء الراكد يأسن ، فلا تكن ماءً راكداً!

ثم إن فكرة العلاج النفسي التي جاء بها فرويد الذي هو بحاجة إلى علاج ، تقوم على فكرة أن يُخرج المريض مخاوفه ومكبوتاته من لا وعيه إلى وعيه ، بنفس طريقة جدار أهل نيفادا ، وبنفس فلسفة ابن حزم في طوق الحمامة!

غير أنه لا بد من نقطة نظام ، إياك أن تخلط بين أن تفضفض وبين أن تشكو الله إلى الناس ، وقد جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه ، أن الفضيل بن العياض سمع رجلاً يشكو بلاءً نزل به إلى رجل يجالسه ، فقال له : يا هذا ، أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!

الوطن
٢٠١٨/١٢/١١

المبادئ لا تتجزأ!

يقول مارتن نيمولر :
في ألمانيا عندما اعتقلوا الشيوعيين ، لم أُبالِ لأنني لستُ شيوعياً ، وعندما اضطهدوا اليهود لم أُبالِ لأنني لستُ يهودياً ، ثم عندما اضطهدوا النقابات العمالية لم أُبالِ لأنني لم أكن منهم ، بعدها عندما اضطهدوا الكاثوليك لم أُبالِ لأنني بروتستنتي! وعندما اعتقلوني لم يكن قد بقي أحد حينها ليدافع عني!

عندما قرأتُ مقولة مارتن نيمولر ، تذكرتُ الذي يحدث في بلادنا بين التيار الإسلامي والتيار الليبرالي بشأن موضوع الاعتقالات ، تقومُ الليبرالية على مبدأ أساسي غير قابل للمساس ألا وهو الحرية ، ولكنك تجد الليبرالي لا ينبس ببنت شفة إذا شنت حكومة ما حملة اعتقالات ضد الإسلاميين ، إنه يجد في الأمر فرصة للتشفي والانتقام ، لقد خلصته الحكومة من بعض خصومه ولا يهمه إن كان هذا الخلاص ظلماً أم عدلاً!

الأمر نفسه يحصل في التيار الإسلامي ، فعندما تعتقل حكومة ما بعض الليبراليين لا تسمع لهذا التيار صوتاً ، إنه يعيش نشوة النصر ، ويردد : اللهم اضرب الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين! ثم قد تكون خطبة الجمعة عن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، ولكن الخطيب لا يدافع عن إنسان محبوس ظلماً وإن كان خصمه الفكري!

المبادئ لا تتجزأ يا سادة ، فإما أن نكون مع المظلوم أياً كان فكره وعقيدته ورأيه أو نحن مع الظالم! الظلم الذي يطال فرداً أو جماعة في المجتمع يضع مبادئ وقيم البقية على المحك ، فإما أن تقف ضد الظلم وهي بهذا تقف مع نفسها أولاً ، لأنها تدافع عن قيمها ، ولأنها تُخبئ يداً للغد تمتد لها إذا وقع الظلم عليها ، وإما أن تقف مع الظالم ، لا طريق ثالث في القضية ، اللهم إلا من أنكر بقلبه وذلك أضعف الإيمان!

طبعاً أتفهم خوف الإنسان على نفسه ، وأعرف تماماً وضع الإنسان العربي الذي لا يقدر أن يقول لا! ولكن مربط الفرس ليس هنا ، مربط الفرس في الإنسان القادر على أن يقول لا ، ولكنه لا يقولها إلا حين يقع الظلم عليه أو على تياره ، هذه هي الانتقائية المقيتة التي تخدش قيمنا ومبادئنا وترسخ للظلم والقهر!

الوطن

٢٠١٨/١٢/١٣

قيلوا عباد الله!

يقول إدواردو غاليانو :

في العام ١٧١٤م ، ماتَ بمدينة بادوا ، الطبيب «بيرناردينو رامازيني» . كان طبيباً غريب الأطوار ، يبدأ مريضه بالسؤال : أين تعمل؟!

لم يكن يخطر لأحد أنه يمكن أن تكون لهذا الأمر أية أهمية! ولكن «رامازيني» كان قد كتب أول بحث في طب العمل أسماه «مرض اسمه العمل» خلص فيه إن العمال الذين يعملون تحت الضغط بلا راحة وفي ورش مغلقة نادراً ما يتم شفاؤهم إذا مرضوا!

في الحقيقة لقد قرأتُ هذا الكلام لإدواردو غاليانو منذ سنة تقريباً ، ولعلَّ سائلاً يسأل : ما الذي ذكرك به الآن؟ وهذا سؤال وجيه بالمناسبة ، الجواب عليه : ذكرني به ما قرأته صبيحة اليوم!

يقول بروفيسور المخ والأعصاب «فينسن والش» :

النوم خلال الدوام من عشرين إلى ثلاثين دقيقة ، يقلل من الإصابة بالجلطات ويزيد إنتاجية الموظفين!

بادئ الأمر أعجبتني الفكرة ، وقلتُ إنها لدراسة جيدة ، لا أجمل من قيلولة أثناء الدوام كي تزيد إنتاجيتي خدمة للأمة! ولكني عدتُ وقلتُ في نفسي لعل هذه الدراسة غير صحيحة ، أو لعل هذا الشخص ليس له وجود أساساً كحال الكثير من الدراسات التي نسمع عنها ، والعلماء الذين يقومون بها وليس لهم وجود على ظهر هذا الكوكب!

ثم إني دفعاً للشك ، قلتُ في نفسي : ما ليَ ولجهينة ، نحن في القرن الواحد والعشرين وعند غوغل الخبر اليقين! وبعد سياحة غوغلية تبين أن هذا الشخص موجود بالفعل وهو طبيب مخ وأعصاب!

بل وأزيدكم من الشعر بيتاً ، أن مبدأ القيلولة أثناء العمل وعلاقتها بزيادة الإنتاجية لم تعد خبراً عادياً ، أو دراسة حبر على ورق بل إن كبريات الشركات العالمية بدأت بتنفيذها ، فشركات عملاقة مثل «غوغل» و«نايكي» توفر غرف قيلولة لموظفيها لتزيد إنتاجيتهم ، فقد تبين لهم أن أخذ الموظفين القيلولة ساهم في كسب ثمانية عشرة مليار دولار لكل شركة!

وعليه فإني باسمي واسم كل العمال والموظفين البؤساء المحرومين من القيلولة ، والممنوعين من زيادة إنتاجيتهم أطالب بتوفير غرف قيلولة في العمل لما فيه صلاح العباد والبلاد ، وأتمنى التعامل مع الحقائق التي أوردتُها بموضوعية وعدم اعتبارها كلام كفار!

الوطن

٢٠١٨/١٢/١٥

من سرقَ الفأس؟

يقول الراوي :

لم أعثر على فأسي ، فاشتبهتُ بأن جاري قد سرقه مني ، فبدأتُ أراقبه عن كثب! كانت مشيته مشية سارق فأس ، وكلامه كلام سارق فأس! حتى حركاته وإشارات يده توحي أن لا أحد غيره قد سرقَ فأسي!

أمضيتُ تلك الليلة حزيناً ولم أعرف كيف أنام وأنا أفكر بأي طريقة أواجهه ، ولكني في الصباح الباكر عثرتُ على فأسي ، كان ابني الصغير قد وضع كومة من القش فوقه!

نظرتُ إلى جاري في اليوم التالي ، فلم أجد فيه شيئاً يشبه سارق فأس ، لا مشيته ولا كلامه ولا إشارات يديه ، كان كالأبرياء تماماً!

فأدركتُ لحظتذاك بأني أنا من كان اللص ، لقد سرقتُ من جاري أمانته

وذمته ، وسرقتُ من عمري ليلة كاملة أمضيتها ساهراً أفكّر كيف أواجه بالتهمة رجلاً بريئاً منها!

من هذه القصة يمكن أن نستخلص عدة دروس ، أهمها :

الدرس الأول:

مشاعرنا تحكم على نظرتنا إلى الحياة! نحن عندما نحب لا نرى إلا حسنات الذين نحبهم ، أو لعلنا حين نرى السيئات نوهم أنفسنا بأننا لا نرى ، وعندما نكره لا نرى إلا السيئات ، حتى عندما نرى

الخير نوهم أنفسنا أيضاً بأننا لا نرى ، الحقيقة التي نتجاهلها جميعاً ونحاول أن نهرب منها هي أننا نرى العالم بقلوبنا أكثر مما نراه بعقولنا وعيوننا!

الدرس الثاني:

لحظة شك بأن الجار هو سارق الفأس جعلته يبدو كذلك فعلاً ، ولحظة يقين تبين بعدها أنه ليس السارق جعلته يبدو بريئاً! في كثير من الأحيان نحن نصنع أوهامنا ، ونحن الذين نصنع قيودنا وأغلالنا ، لو تأملنا في كثير من مشاكلنا لاكتشفنا أننا ضحايا أنفسنا!

الدرس الثالث:

الإنسان حين يصدر حكماً على قضية ما ، فإنه لا يشرح للآخرين حقيقة هذه القضية بقدر ما يشرح لهم حقيقته هو! نحن نصدر أحكامنا بناءً على مبادئنا وأفكارنا وقيمنا ومعتقداتنا ، لهذا بالضبط تختلف أحكام الناس في قضية واحدة! القضية هي القضية ولكن المسطرة التي يقيس بها الناس تختلف ، لهذا لا تحدثني عن نفسك ، مواقفك من قضايا الآخرين تخبرني أي إنسان أنت!

الدرس الرابع:

إحسان الظن إلى درجة اعتقاد أن جميع الناس ملائكة سذاجة ما بعدها سذاجة! وإساءة الظن إلى درجة اعتقاد أن جميع الناس شياطين خبث ما بعده خبث! بل على الإنسان أن يعيش بظنه بين قولين ، قول الله تعالى ، وقول العرب ، يقول الله تعالى ﴿إن بعض

الظن إثم﴾ ولم يقل كله ، لأنه أرادنا أن لا نكون ساذجين ولا خبثاء! وتقول العرب : سوء الظن من حُسن الفِطن! وهم يقصدون بهذا أن الإنسان عليه أن يلتقط الإشارات ويتأمل في الناس ويتفرس ، فمن شاهدته قد غدر بغيرك فلا تأمن لهله ، فهذا من حُسن العقل وتمام الفطنة ولا يقصدون بها أن كُن مريضاً ذكياً لا تأمن من الناس أحداً!

الوطن
٢٠١٨/١٢/١٧

إعادة بناء العالم!

يُحكى أن الأب كان يحاول أن يقرأ الجريدة ، ولكن ابنه الصغير لم يكف عن مضايقته ، وحين ضاق بابنه الصغير ذرعاً ، قام بقطع ورقة من الصحيفة كانت تحوي خريطة العالم ، ومزقها قطعاً صغيرة كالأحجية ، وأعطاها لابنه وطلب منه أن يعيد تركيب خريطة العالم وهو يظن بهذا أنه سيشغل ابنه عنه لأطول فترة ممكنة ، ولكن لم تمضِ نصف ساعة حتى كان الصغير قد أعاد تركيب خريطة العالم!

دُهش الأب مما فعله ابنه ، لدرجة أنه سأله ما إذا كانت أمه تدرسه الجغرافيا خلال غيابه عن البيت!

فقال الصغير : لا يا أبي ، لقد كان على خلف الخريطة صورة إنسان ، وعندما أعدتُ تركيب الإنسان ، أعدتُ بناء العالم!

بعيداً عن صحة القصة من عدمها ، إلا أن القصص كالأمثال بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والعبرة بالمعنى ، وإن أعمق ما سطرته البشرية من حكم وخلاصة تجارب نجده يسير على ألسنة الحيوان والسباع والطير . وما كليلة ودمنة منكم ببعيد ، وعند الفرنجةالفرنجة ، فالأمر سيان ومن شاء فليقرأ مزرعة الحيوان لجورج أورويل!

إذا أردنا أن نبني العالم ، علينا أولاً أن نبني الإنسان ، لستُ ضد الأبراج ، ولا ضد ناطحات السحاب ، ولا يزعجني التطاول في البنيان ما لم يكن على حساب الإنسان ، لأن الاستثمار في الإنسان يبقى ، أما الاستثمار في الأشياء فإنه سرعان ما ينقضي

ويزول ، بل وإني أعتقد أن الاستثمار في الأشياء بدل الإنسان سيجعل الأشياء معرضة للتهديد من قبل الإنسان غير المؤهل للحفاظ على الأشياء!

الحدائق ، الطرق ، المباني ، الجامعات ، المستشفيات ، المدارس كل هذه الأشياء إنما تكتسب فعاليتها من ثقافة الإنسان الذي يستخدمها ، فعلى سبيل المثال كل سلال العالم لا تجعل إنساناً يلقي ورقة فيها ما لم تكن النظافة مغروسة فيه أولاً!

هذه بديهية وعاها الإسلام العظيم باكراً ، إن النقلة النوعية التي نقلها الإسلام للعرب في غضون سنوات قليلة كانت بسبب أن الإسلام أعاد بناء الإنسان ، ثم إن الإنسان بطبيعة الحال أعاد بناء الأشياء! في البداية لم يشق الإسلام الطرق ، ولا أقام المستشفيات ، ولكن البشر الذين أعاد الإسلام صياغتهم وهيكلتهم هم الذين شقوا الطرق ، وأقاموا حضارة الأندلس على سبيل المثال لا الحصر!

وصغروا الدائرة قليلاً ، ما يصح مثالاً على الدول ، يصح مثالاً على البيوت ، إن أسوأ استثمار يستثمره الأبوان هو في الأشياء على حساب الإنسان ، مع أن الإنسان أبقى من الأشياء ، بل لا بقاء للأشياء إلا بوجود الإنسان الذي يعرف قيمتها!

الوطن

٢٠١٨/١٢/١٩

لا توطيه!

حضرَ بواب المدرسة باكراً ليجد كتابات على الجدران الخارجية ، فاتصل بالمدير الذي كان في طريقه إلى المدرسة ، فأخبره المدير أنه سيصل عما قليل وسيعرف حتماً من الفاعل . وصل المدير وقال للبواب : حتماً الفاعل أحد طلاب المدرسة!

قال له البواب : ما الذي يجعلك متيقناً إلى هذا الحد سيدي المدير؟

قال المدير : لا أحد له مصلحة بفعل هذا ، ثم هذا الفاعل الغبي لا يعرف أننا وضعنا كاميرات مراقبة دون أن نخبرهم بالأمر ، سترى كيف أنه أحد تلاميذ المدرسة!

بالفعل عاد المدير إلى تسجيلات كاميرات المراقبة وسرعان ما تبين له صدق حدسه ، الفاعل أحد طلاب المدرسة!

استدعى المديرُ الطالب ، وجعله يشاهد نفسه وهو يفعل فعلته ، ثم اتصل بولي أمره . حضر الأب ، واستمع لكلام المدير وشاهد التسجيل دون أن يتلفظ بحرف واحد ، غير أنه أخرج هاتفه واتصل بشركة الدهان وأعطاهم عنوان المدرسة ، وطلب منهم أن يعيدوه أجمل مما كان على حسابه ، ثم قال للمدير : سيدي المدير أعدك هذا الأمر لن يتكرر ، والتفتَ إلى ابنه وقال له : إذا ما قدرت ترفع راسي لا توطيه!

وقف المدير ومن حضر من المدرسين مدهوشين من تصرف الأب ، أما الابن فبكى بكاءً مراً وقال : ليت أبي ضربني أو قتلني حتى ولم يقل لي تلك الجملة!

بعيداً عن القصة وتفاصيلها ، وعن طريقة تصرف الأب في هذه المشكلة ، لنأخذ قوله : إذا ما قدرت ترفع راسي لا توطيه!

في الحقيقة هذه أكبر من جملة ، وأبلغ من تأنيب ، وأعمق من إرشاد ، إنها قاعدة عامة للحياة! ليتنا نتصرف على أساسها في كل مجالات الحياة!

إن لم نستطع أن نجعل الناس يقولون للواحد منا : رحم الله من رباك ، فعلى الأقل لا يقولون : لعن الله من رباك!

من قال أنه إذا لم نستطع أن نكون ملائكة فيجب أن نكون شياطين ، لماذا لا نكون بشراً ، بشراً فحسب!

إن لم نستطع أن نكون نماذج جيدة عن ديننا ، ودعاة بأخلاقنا ، فلماذا يجب أن نكون نماذج سيئة تُنفر الناس وتصد عن سبيل الله ، لماذا لا نكفي خيرنا وشرنا وننشغل بأنفسنا!

لماذا علينا أن نبحث عن الشهرة ، كالبائل في ماء زمزم! تروي لنا كتب الأخبار أن رجلاً بال في ماء زمزم ، فانهال الناس عليه ضرباً ولكماً ، فخلصته منهم شرطة الحرم وهو في الرمق الأخير ، وعندما عُرض على الأمير ، قال له : قبحكَ الله ما حملكَ على ما فعلتَ؟!

فقال : أردتُ أن أشتهر ويُقال هذا الذي بال في ماء زمزم!

الوطن

٢٠١٨/١٢/٢١

الفهرس